



بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة أم درمان الإسلامية  
كلية الدراسات العليا  
كلية اللغة العربية  
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

# الهجاء في العصر العباسي الثاني

"دراسة تطبيقية تحليلية في شعر  
البحثري وابن الرومي وابن المعتز"

((.. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد..))

إعداد الطالب :

عبد المنعم إبراهيم الحاج محمد

إشراف الدكتور :

عبد الرحمن عطا المنان

٢٠٠٨م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الآية

قال تعالى :-

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيَّاهِ عَجْمِي  
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

صدق الله العظيم

سورة النحل الآية (١٠٣)

# الإهداء

والى روجي والديّ أسأل الله ان يسكنهما فسيح جناته وان ينزل عليهما سحائب

من رحمته،،

إلى: زوجتي الغالية،،

والى: إبنتي الصغيرة بدور،،

إلى أخواني وأخواتي

إلى: زملائي

والى: كل الذين آزروني ووقفوا معي

أهديهم هذا الجهد المتواضع،،

## الشكر والتقدير

اتوجه للمولى عز وجل بالشكر والثناء عليه ولايسعني إلا ان اشكر كل من ساهم وساعد في هذا العمل وأخص بالشكر الجزيل جامعة أم درمان الإسلامية كما أقدم شكري وعظيم تقديري للدكتور/ عبد الرحمن عطا المنان المشرف علي هذا البحث والذي كان له الأثر الواضح في إخراج هذا البحث وكذلك الدكتور/ عماد علي الخطيب .

## فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الرقم
أ	آية	.١
ب	إهداء	.٢
ج	شكر وتقدير	.٣
د	فهرس الموضوعات	.٤
هـ	مستخلص الدراسة عربي	.٥
و	Abstract	.٦
١	المقدمة	.٧
٢	تمهيد	.٨
٤٢-١٠	الفصل الأول: "تطور هجاء العصر العباسي الثاني	.٩
٩٥-٤٤	الفصل الثاني: هجاء البحتري "حده، فنه، غرضه، نمطه، شكله، تطوره"	.١٠
١٤٤-٩٦	الفصل الثالث: هجاء ابن الرومي "حده، فنه، غرضه، نمطه، شكله، تطوره"	.١١
١٦٦-١٤٥	الفصل الرابع: هجاء ابن المعتز "حده، فنه، غرضه، نمطه، شكله، تطوره"	.١٢
١٦٧	الفصل الخامس: التقنيات والخصائص الفنية	.١٣
١٧٩-١٦٧	(أ) الصورة والخيال:	.١٤
١٨٧-١٨٠	(ب) الرمز والدلالة	.١٥
١٨٩-١٨٨	الخاتمة	.١٦
١٩٣-١٩٠	المصادر والمراجع	.١٧

## ملخص البحث

يتناول البحث تعريف مفهوم الهجاء في الأدب العربي بصورة عامة بدءاً بالعصر الجاهلي مروراً بالأموي والعباسي متتبِعاً تاريخ نشأته ومبيناً أساليبه مثل الأسلوب التعريضي والواقعي والصريح وأنواعه مثل الفردي والجماعي والخلقي والخلقي. ثم تناول مكانة الهجاء بين الفنون الأدبية الشعرية الأخرى وتطوره عبر العصور المختلفة.

بعد ذلك تناول البحث بالتوصيف الهجاء في العصر العباسي الثاني بخاصة عند البحتري وابن الرومي وابن المعتز كنموذج للتطبيق مستصحباً حدوده الزمنية والتاريخية من العصر الجاهلي حتى العباسي، والسياق الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي في هذا العصر. ثم تناول أغراض الهجاء ودوافعه السياسية والاجتماعية وأنماطه متمثلة في الأنواع المذكورة سابقاً التي أبرزها الهجاء الشخصي الذي يُعد أصل الهجاء ولم يكن الشعراء يفردون له قصائد مستقلة بل كانوا يصوغونه في ثنايا فخرهم وحماستهم وأشادتهم بأمجادهم ثم أوردنا صوراً مختلفة من شعر الهجاء عند هؤلاء الشعراء الثلاثة.

وأخيراً تناول البحث تقنيات شعر الهجاء في العصر العباسي وخصائصه الفنية مثل الصورة والخيال والرمز والدلالة مع شرح مفهوم الصورة في الدراسات البلاغية والأدبية القديمة بالتركيز على ابن الرومي مع إيراد نماذج من شعره موضحاً الصورة الحسية والخيال وكذلك الرمز والدلالة متناولاً الأشكال الفنية التي جسدت الصورة الرمزية.

## **Abstract**

This research dealt with identifying the concept of satiric in Arab Literature as general starting with the darkness era through the Amawi and Abbasy Era and followed up its initiative history and explaining the procedure used as well as the exposition approach and the actual, frankly. The types of satiric are individual , group , manner and naturally. Then addressed the position of satiric between others poems and also addressed its development through different eras.

The study used the descriptive method to addressed satiric in second Abbasy Era specially El Buhtory , Ibn Elromi and Ibn El Mutaz as a sample to be applied accompanied with time and history boundaries from the darkness era to Al Abbasy , as the planning , cultural , political and social in that era. Then addressed the purpose of satiric and its political and social concepts and its form represented in all the above mentioned types. The famous one of these types is personnel satiric which considered as a root of satiric , the poets were not determine a standard poetries but they used it when they need to proud themselves and their abandon, the study gives different examples for three poetries mentioned.

Finally, the study addressed the technological of satiric poems in Abassy era and its technical features as well as the magic images and symbols and indications with explaining the image concept of eloquence and old literature focused on Ibn El Romi and give a sample to his poems voluptuousness and magician also used symbol and indications to addressed the artesian shapes which illustrated the natural image



## المقدمة :

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وجعله يعبر بالقلم عن ما في نفسه ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد ،وملك زمام اللغة والمعنى والبيان ، فلم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ وهو القائل : " أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً "وعلى آله ينابيع المعاني وغاياتها، وأصحابه نجوم الهدى ،ودلائل الارتقاء للمعاني الساميةوعلى آله وصحبه الذين سارت بينهم العبارة البليغة، والكلمات الفصيحة، حتى تنزلالقرآن بذلك استجابة لدواعي فهمهم ،وتلبية لحوائج عقولهم.

### أما بعد:

فإن اللغة العربية هي أفصح اللسان،وهي التي يتكلم بها أهل الجنة في الجنة ، فالمحافظة عليها مراعاة للمدارك السليمة ، وأن من ضلح فيها أوتي فهماً ثاقباً.فهي لغة تمتاز بالتوازن والانسجام والتوافق بين مبناها وسعة مدرجها الصوتي ، وتفقو غيرها بكثرة المعاني الكامنة في أصولها التي تمكنها من استمرارية النمو والحركة والحياة .وهي لغة ظهرت كاملة قوية الألفاظ، واسعة الأصوات، عميقة المعاني. وسر جمالها في عمق معانيها التي تعبر عن جرس الألفاظ لتصل إلى أهدافها، غير إن المعنى غاية كل كلام ومقصده.

أحدد بها المنهج الذي هو دراسة وصفية تطبيقية أسلوبية ، وصف ظاهرة الهجاء من حيث التعريف والمفهوم والأنماط والأشكال والخصوصية ، ثم الدراسة الاستقرائية التي يستقري بها الباحث ظاهرة الهجاء وتطوره من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي ثم العصر العباسي .

ثم يستقري الباحث فن الهجاء عند ابن الرومي والبحتري وابن المعتز فيذكر حده وفنه وغرضه ونمطه وشكله وتطوره عند كل منهم .ويدعم الباحث ذلك بالدراسة الأسلوبية الذي يدرس بها الباحث تسلسل المحددات، والأغراض والأنماط والشعراء وتطور القصيدة الهجائية عند كل منهم.

يقوم البحث على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة، أما التمهيد فيشمل معنى الهجاء وحدود العصر العباسي الثاني و الهجاء بين الفنون " الهجاء غرض أم فن " .

أما الفصل الأول سيكون بعنوان الهجاء وتطوره إلى العصر العباسي ويندرج تحته الهجاء في العصر الجاهلي ، الهجاء في العصر صدر الإسلام ، الهجاء في العصر الأموي ، الهجاء في العصر العباسي .

ويدرس الباحث في كل منها المحددات الزمنية والتاريخية والثقافية والفكرية والدينية والقبلية والاجتماعية، والأغراض والدوافع السياسية والقبلية والاجتماعية والفردية والفلسفية والأنماط والشعراء الكبار وشكل القصيدة الهجائية وأقسام الهجاء " الفردي والمجمعي والسياسي والفكري والديني .

أما الفصل الثاني سيكون هجاء البحتري من خلال دراسة حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الثالث فدراسة هجاء الرومي من خلال بسط حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الرابع فسيدرس هجاء ابن المعتز حده ، فنه ، غرضه، نمطه ، شكه ، وتطوره ، أما الفصل الخامس فسيتناول التقنيات والخصائص الفنية عند شعراء الهجاء ويشمل : الصورة والخيال ، والرمز والدلالة ، والتناص . وفي النهاية الخاتمة ثم المصادر والمراجع

## تمهيد :

الهجاء هو فن من الفنون الأدبية الغنائية التي وُجدت في الآداب العالمية ، ووجدت في الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وهذا الوجود أمر طبيعي، فحينما وُجد أناس يستحقون المديح وُجد آخرون يستحقون الهجاء . وهذا الفن ذو مجريين : شعري ونثري.<sup>(١)</sup> إذا كانت الآثار الفنية ومنها الهجاء إفراغ طاقة عاطفية<sup>(٢)</sup>، فإن الشاعر يلجأ إليه ليعبر عما يجول بنفسه نحو شخص من الأشخاص ، أو جماعة من الجماعات، وقفوا معه موقف لا يرضاه فيجد نفسه غاضباً ثائراً فيضطر أن يخفف عن طريقة ما يحسه في أعماقه ، من ألم مبرح يشعر به نحو من آذاه. فيحاول إيذائه وإيلامه بكل ما يتتافى مع الفضائل المعنوية التي تعارف عليها العرب منذ أمد بعيد ، وامتدحوا بها كالكرم والوفاء والشجاعة ، وغير ذلك من القيم الفاضلة التي كانوا يقيمون لها وزناً كبيراً في حياتهم ، لأنها كانت تدل على مكارم أخلاقهم.

الهجاء وسيلة فنية يتوسل بها الشاعر لنفس ما تضيق به نفسه من معاناة ، تثير فيه الغضب على المصاعب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات المرغوب فيها<sup>(٣)</sup> ويرى " كولد زيهر" - وهو أول مستشرق قام ببحث جاد عن أهمية الهجاء الجاهلي وقيمتها الاجتماعية ، ووصفه في أصله عبارة عن تعويذة أو لعنة ، وان أصوله ربما تتصل باعتقادات قديمة تذهب إلى أن الجن تلهم الشاعر الهجاء ، فيكون كلامه ذا قوة سحرية ذات تأثير لا يمكن تجنبه على الأشخاص والأشياء التي يوجه إليها الهجاء. فكأن في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري<sup>(٤)</sup>

وللهجاء في اللغة معانٍ كثيرة ويعود أصله اللغوي إلى الفعل الثلاثي " هجا " ويكون المصدر منه هَجَواً وهَجَاءً ، والمعنى الذي يدل عليه الهجاء كما جاء في المعاجم العربية<sup>(٥)</sup>

(١) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري فحطان رشيد التميمي ص ١١

(٢) علم النفس والأدب للدكتور سامي الدروبي ط. دار المعارف ١٩٧١ م .

(٣) علم النفس في الحياة العملية للدكتور برنهارت ، ترجمة الدكتور إبراهيم عبد الله ط. الرابطة ١٩٥٥ م

(٤) تاريخ الأدب العربي . بروكلمان ٤٦/١ ط. دار المعارف .

(٥) والقاموس المحيط للفيروز أبادي : المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة : تاج العروس للزبيدي . منشورات مكتبة دار الحياة ببيروت . البستان : لعبد الله البستاني :

المطبعة الأمريكية بيروت ١٩٣٠

و لسان العرب (١) وهو الشتم بالشعر خلاف المدح، قال الليث: وهو الوقعة في الأنساب والسباب وذكر المثالب وتعداد المعاييب ، ويكون بالشعر غالباً. ففي لسان العرب : هجاء يَهْجُوهُ هَجْواً وَهَجَاءً وَتَهْجَاهُ بمعنى شتمه بالشعر وهو خلاف المدح ، والمرأة تهجو زوجها أي تَذُمُّ صُحْبَتَهُ . فالمرأة حين تقف على ما خَفِيَ عليها من عيوب زوجها ، فتكشف عن مساوئه ، وتعدد عيوبه ، وتشكوه وتذم عَشْرَتَهُ ، فهي بذلك تهجوه . فالهجاءُ والهاجةُ الضَّفْدَعُ ، والضَّفْدَعُ كما هو معروف قبيح الشكل بشع الصوت .

بالإضافة إلى ما تقدم ، فإن هذه المعاجم قد أمدَّتنا بمادة جديدة للهجاء ، فقد ورد فيها(٢): هَجْوٌ يَوْمُنَا هَجَاوَةً : اشتدَّ حرُّهُ ، لذلك يجوز أن يكون معنى الهجاء متصلاً بمعنى الشِدَّةِ والحرارة التي يحسها المهجو حين يسمع كلام الهاجي . والإنسان عادة يتضايق من اشتداد الحر، ويتأذى من قسوته ففيه معنى التعذيب والتكيل . وكذلك الهجاء لفظاً وقيماً ، وشدة وقعته ، وقسوة تكيله ، فإنه يجرح الشعور ويحطم النفس ويزري بقدر الإنسان وقيمه. ويجوز أن يكون اشتقاقها بمعنى الانكشاف من قولهم: (٣) هُجِيَ البيتُ هَجياً بمعنى انكشف. لان الهجاء يجرّد المهجو من الفضائل ويجعله يبدو للرأي أو السامع مسلوباً من المحاسن ، فتبدو للناس عيوبه ونقائصه ويظهر بمظهر قبيح مما يجعل الناس يهزأون به ويسخرون منه .

جاء فيها قولهم: هُجِيَتْ عَيْنُ البعير بمعنى غارت . والهجاء : القراءة ، وتقطيع اللفظة إلى حروفها فالذي يُعَدَّدُ حروف الكلمة يكشف عنها، والمعروف عن شاعر الهجاء أنه يكشف عن عيوب المهجوين، فيذكر مخازيهم ، ويتناول نقائصهم الاجتماعية وعيوبهم الخُلقية والخلقية فيكشفها ويعريها للحط من أقدارهم واحتقارهم أمام خصومهم وأعدائهم.

فإذا كانت معاني هذه المادة تدور في المعاجم العربية حول البشاعة والشدة والنكال والكشف ، فهي تعنى ذم الإنسان وكشف مساوئه وتعداد عيوبه ، التي يحرص أشد الحرص على سترها وكتمانها ، ويحاول أن يخفيها عن الناس حتى لا تتكشف ويُفضح أمره .

لذلك يصعب تحديد معنى من هذه المعاني على أنه أصل للمادة ، فقد يكون الهجاء بمعناه الأدبي مأخوذاً من الضَّفْدَعُ ، فهو قبيح الشكل ، بشع الصوت وقد يكون مأخوذاً من

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٠/٢٨٨ ط . أولى . المطبعة الميرية ببلاق مصر ١٣٠٧هـ .

(٢) أنظر مادة "هجا" في محيط المحيط : بطرس البستاني لبنان بيروت ١٨٧٠ . ولسان العرب : ابن منظور

(٣) أنظر مادة "هجا" في لسان العرب لابن منظور . وتدور مادة هجا حول عدة معان أخرى لا نستطيع استقصاءها .

اشتداد الحر ، ففيه معنى التنكيل والتعذيب، وقد يكون مأخوذاً من الأصل اليائي ، فهو يكشف عن سيئات المهجو، ويُعدّد مثالبه ، ويُحيط بما خفي ودقّ منها ، ثم تتطور الهجاء وارتقى تبعاً لتطور الفنون الشعرية ، وارتفع عن الأحقاد الخاصة ، فكان منه الهجاء الشخصي والهجاء السياسي والاجتماعي.

إذا كانت معاني هذه المادة تدور حول البشاعة والشدة والنكال والكشف ، فإن الهجاء نشأ عند العرب كما نشأ عند غيرهم من الأمم تنديداً بالمعائب الشخصية أول الأمر ، ثم تقدم عندهم كما تقدم عند غيرهم ، وارتفع عند الأحقاد الخاصة إلى عنصر الحياة العامة ، فكان منه السياسي والأخلاقي والديني<sup>(١)</sup>

أبلغ أنواع الهجاء ما يمس المزايا النفسية كأن يصف الشاعر خصمه بالجبن والبخل والكذب وغيره ...

#### أساليب الهجاء :

الهجاء الواقعي :الذي يصور فيه الشاعر الشخص المهجو على حقيقته دون زيادة.<sup>(٢)</sup>  
الأسلوب الساخر الكاريكاتوري: وهو الذي يتفنن فيه الشاعر بإلصاق الصفات المثيرة للسخرية بالشخص المهجو .

الأسلوب الصريح : الذي لا يتورع فيه الشاعر عن ذكر اسم المهجو والإشارة بشكل مباشر.

- أسلوب الهجاء التعريضي : فيه يشير الشاعر إلى المهجو من بعيد إشارة خفية ويترك الناس يفهمون إلى من يوجه هجاءه .

#### أنواع الهجاء:

الهجاء الفردي : الذي يتوجه فيه الشاعر إلى شخص معين .

الهجاء الجماعي : يتوجه فيه الشاعر إلى جماعة معينة .

الهجاء الخُلقي : يتناول فيه الشاعر العيوب الأخلاقية للمهجو كالجبن والكذب ..

الهجاء الخُلقي : يتناول فيه الشاعر عيوب الجسد مثل أنفه طويلة أو قامته قصيرة..

ومن الباحثين من يذهب إلى أن في الهجاء "إصلاحاً للأخلاق لما تحمل عليه من تجنب الرذائل الموجبة للهجو"<sup>(١)</sup>. فالهجاء يسهم في كشف العيوب التي يذم الأفراد بسببها ، وهو

(١) الهجاء والهجاءون في الجاهلية . محمد محمد حسين . مطبعة أحمد مخيمر ١٩٤٧ م .

(٢) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين محمد دار الراءب الجامعية ص ٦

بذلك يبنه هؤلاء الأفراد بشكل غير مباشر، إلى تجنب هذه العيوب ليكونوا في مأمن من رمي الهجائيين وطعنهم. ففي فن الهجاء إحصاء للعيوب والمثالب، وهي في حقيقتها مثالب المجتمع وعيوبه، فهو في الظاهر هجاء، وفي الحقيقة إصلاح وتهذيب وتقويم لكل اعوجاج في المجتمع سواء ما اتصل بالفرد أو بالجماعة (٢) ولا يعني ما تقدم أن الهجاء العربي عامة، كان في غايته نشداناً للإصلاح والتهذيب والتقويم، فليس من شك في أن جانباً من هذا الهجاء صدر عن نفوس حاقدة لئيمة تتميز بالأنانية المظلمة، وأكثر ما تتجلى هذه الأنانية في الهجاء ذي الدوافع الفردية البحتة، على أن جانب من هذا الهجاء ذو هدف غايته التنبيه والتوجيه والبناء الاجتماعي الصالح، "وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح" فالمديح يرسم المثالية الحلقية لهذه التربية، والهجاء يرسم المساوئ الفردية الاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الرشيد (٣) فللهجاء في الحياة رسالة تهدف إلى خلق مجتمع فاضل من خلال فضيلة الحاكم والمحكوم؛ متمثلة في حياة تتكامل فيها صور المحبة والتسامح والكمال والعدل الإنساني، فهو "قوة بنائية إلى جانب هذا المظهر الهدّام، الذي هو أول ما يطالع المتصفح له، فهو حين يهاجم شخصاً من الأشخاص أو نظاماً من النظم أو نزعة من النزعات، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى بأشخاصها ونظامها وأسلوبها، هي مثله الأعلى الذي يطمح إليه ويدعو له، فالهجاء له فلسفة في الحياة، يريد أن يؤديها إلينا(٤).

فالهجاء البناء يهدف إلى خلق مجتمع فاضل يسوده العدل والمساواة وحياة تتكامل فيها صور المحبة والتسامح. لذلك ليس الهجاء في هذه الحالة كما تصوره رؤية العجاج عندما سئل أنك لا تحسن الهجاء فقال (٥) : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ. ولذلك فليس صحيحاً أن الهجاء مطلق "يُعبّر عن وجوه القبح واليأس، وأنه تجسيد

(١) عنوان الأريب - محمد النيفر ط ١ المطبعة التونسية ١٣٥١ هـ .

(٢) فصول في الشعر ونقده . شوقي ضيف ط ٢ . دار المعارف ١٩٧١ .

(٣) العصر العباسي الأول . شوقي ضيف ط . ثانياً دار المعارف ١٩٦٩ م .

(٤) الهجاء والهجاؤون في الجاهلية : د . محمد محمد حسين دار النهضة العربية ط ٣ ١٩٧٠ ص ٢٣

(٥) الشعر والشعراء : ابن قتيبة : تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ ١٩٧٧ / ١ / ١٠٠ . والعمدة : ابن رشيق : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : دار الجيل ط ٤

بيروت ١٩٧٢ م : ١ / ١١٢ .

لملامح الشر والاختلال والشعور بالنقص والاختلاف" (١) فقد تكون السمة الإصلاحية هدفاً من أهداف الهجاء .

لا يعد الهجاء شعراً ذا غاية تهنئية تربوية خالصة ، إلا إذا تأثر بعاطفتين اثنتين: الحب و الحقد ، ولن نجد في تاريخ الآداب العربية كاتباً مجيداً أو شاعراً بليغاً أو خطيباً منطقياً خلت نفسه من رقة الحبّ أو قسوة البغض ، فالسر في عبقرية البحتري يرجع إلى قوة شغفه بمعالم الجمال ، كما أن السر في عبقرية ابن الرومي يرجع إلى تطيّره وحفده على من عرف وما لم يعرف من سعداء الناس" (٢) فالشاعر حين يمدح ويفخر ويرثي ويتغزل بالمرأة أو بالطبيعة يصدر في ذلك كله عن عاطفة الحب والرضا ، ولكنه حين يهجو ويعتب ويؤنب وينذر ويتوعد ، يصدر عن عاطفة السخط والبغض وعدم الارتياح ، فمع الغضب يكون الهجاء والتوجع والعتاب الموجه (٣) كل هذه الفنون الشعرية إلى هاتين العاطفتين المتناقضتين ، ولعل الإحساس بأثرهما في قول الشعر هو الذي أدى إلى جعله نوعين : مدح وهجاء.

### الهجاء بين الفنون الشعرية (٤):

يحتل الهجاء مكان واسع في ديوان الشعر العربي ، فقد لا نجد شاعر إلا تناول هذا الفن في شعره ، وكذلك لا نجد باحث قديم تحدث في فنون الشعر إلا جعل الهجاء في أبرز مكان فيها. وأبو تمام أقدم من تعرض لتبويب الشعر العربي ورتبه في عشرة أبواب وهي الحماسة والحالة والأدب والنسيب والهجاء والأضياف والمديح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء (٥) ومن بعده مجموعة من الشعراء مثل قدامة بن جعفر فجعل أبواب الشعر ستة المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه (٦) وهذه الأبواب في كتاب " نقد النثر " المنسوب لقدامة أربعة هي : المديح والهجاء والحكمة واللهو (٧) . ويقسم أبو هلال العسكري الشعر العربي إلى اثني عشر باباً يقع الهجاء في الباب الثالث منها (٨)

(١) فن الهجاء وتطوره عند العرب . إيليا حاوي - المقدمة ٧ - ط . دار الثقافة بيروت .

(٢) النثر الفني في القرن الرابع . دزكي مبارك ١٣٣/٢ ط . ثانياً السعادة ١٩٣٤ م .

(٣) العمدة . ابن رشيد القيرواني ١٢٠/١ - ١٢١

(٤) لخصت المعلومات من اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري قحطان رشيد التميمي ص ١٥

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام ط . ثانياً لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٨ م (التقديم ٧)

(٦) نقد الشعر . قدامة بن جعفر ٥١ ط . الخانجي ١٩٤٨ م

(٦) نقد النثر قدامة بن جعفر ٨١ مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ١٩٣٩ م .

(٨) ديوان المعاني . أبو هلال العسكري ١/ ٩١ طبعة مصر ١٣٥٢ هـ .

وغيرهم مثل ابن رشيق القيرواني بعد هؤلاء فيورد في عمدته مجموعة آراء في تقسيم الشعر فيجعل الهجاء الثالث<sup>(١)</sup> ، ويجعلها أستاذه عبد الكريم أربعة ويجعل الهجاء الثاني<sup>(٢)</sup>، ويرى آخرون الشعر كله نوعان : مدح وهجاء<sup>(٣)</sup> وواضح أن الهجاء في كل هذه التقسيمات يكون قسماً رئيساً من أقسام الشعر .

الأدب بفنونه وموضوعاته ، صورة للحياة وتعبير عن أفكار يحس بها الأديب من خلال تفاعله مع هذه الحياة. والشعر أداة فنية جميلة يستخدمها الشعراء للكشف عن أحاسيسهم وأحاسيس غيرهم في كل حالة . وحتى هذه المشاهد المؤذية المزعومة التي يتناولها الهجاء إنما هي جزء من هذه الحياة.

إن الهجاء إذا صدر عن عاطفة صادقة وعبر عما يحسه الشاعر من صراع نفسي وألم ذاتي، لا يمكن عده قبيحاً، أو رديئاً أو عملاً شريراً. إن إحساسنا بقبح الهجاء في بعض الأحيان لا ينبغي أن يدفعنا إلى الحكم عليه بالقبح والرداءة " ما دام يثير الإعجاب بالشاعر الذي استطاع أن يرسم بقلمه النقائض التي يراها فيمن يهجو، وبهذه المهارة التي رسمها بها. ويعتبر الهجاء من أصق الفنون الشعرية بحياتنا اليومية لأنه يوضح لنا الوجه السيئ الذي يحرص الكثيرون أشد الحرص على إخفائه وستر عيوبه ومخادعة النفس بإبراز الوجه الحسن من حياة الفرد والمجتمع. ولكن ذلك لا يقف حائلاً أمام الهجاء الذي يكشف لنا عن كثيراً من حقائق الحياة والواقع كشفاً أدبياً يثير في نفوس الكثيرين الألم والغضب . " فهو فن من فنون الأدب الرفيعة في الأدب العربي قد يعين على تصور الحياة عند الأفراد وفي المجتمع ، وقد يساعد على تاريخ الحياة العربية حين يصدق الشاعر ويحذر المؤرخ في بحثه حين يريد أن يعلم ما كان للعربي يستحسن ويستقبح ، وما كان يذم ويقدر ، وأن نتبين ما كان العرب والمسلمون يجدونه من مثالب ومآخذ عند الشعب والحكام " (٤) . فمن خلال الهجاء نستطيع أن نحكم على كثير من الحقائق التي أغفلها تاريخنا فيما يتصل بالمجتمع والأخلاق والمذاهب .

(١) العمدة ابن رشيق القيرواني ١ / ١٢١ م

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٢٢

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٢٢

(٤) الهجاء " الهجاء سلسلة فنون الأدب العربي " ١١ ط . سامي الدهان ط . دار المعارف ١٩٥٨ م



## تطور الهجاء :

الهجاء فن ذائع مارسه معظم الشعراء على امتداد العصور العربية والإسلامية ، مدفوعين إليه بدوافع كثيرة : سياسية و اجتماعية و خلقية . ولذلك كان الهجاء وثيق الصلة بالحياة العامة شديد الارتباط بها . يقول الأستاذ طه أحمد إبراهيم : " أما الأغراض التي كان الذوق العام يفضلها على غيرها فأربعة : النسب والفخر والمديح والهجاء ، يؤثرونها لأن لها صلة وثيقة بحياة الشعور والاجتماع ، فالنسيب لشيوع الغناء وكثرة المغنين وانتقائهم أحسن الشعر تصويراً للجوانح وإبانة عن نوازع الفؤاد .. والأغراض الثلاثة الأخرى هي صور الحياة الاجتماعية عند العرب بما فيها من عصبية ونضال واكتساب معاش " (١)، فصلة الهجاء بالحياة تتجلى من خلال كشفه عن الأوجه السلبية الرديئة في الحياة . فعلى النطاق السياسي والإداري تبدو لنا في مرآة هذا الفن مظاهر التفسخ والانحلال والاستغلال في نظام الحكم والإدارة ، وتتكشف لنا حقيقة المتسلطين الذين استغلوا سلطانهم لأنفسهم وللمقربين منهم ، غير ناظرين إلى رعيتهم البائسة الفقيرة . وحين ننظر إلى المجتمع من خلال صفحة الهجاء يتبين لنا هذا المجتمع بزيفه وكذبه وملقه وريائه وفساده وانحرافه عن الفضائل الحميدة(٢).

كثيراً ما كشف لنا شعراء الهجاء عن النفاق الديني والرياء والمذهبي لدى الكثيرين ممن يتخذون من الدين والمذاهب ستاراً لتحقيق أحلامهم وآمالهم الشخصية ، دون تعمق في هذا الدين وهذه المذاهب. هذا بجانب تصوير الهجاء لمظاهر القبح والنقص في الأشخاص : خلقتهم وأخلاقهم.

(١) تاريخ النقد العربي عند العرب . طه أحمد إبراهيم ٦٢ ط . دار الحكمة .

(٢) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري قحطان رشيد التميمي دار المسيرة بيروت ص ٢٠

# الفصل الأول

تطور تاريخ الهجاء في الشعر العربي القديم

## الفصل الأول

### تطور تاريخ الهجاء في الشعر العربي القديم

#### الهجاء في العصر الجاهلي :

العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقبة وأزمة ، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده<sup>(١)</sup>. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا ينظرون وإنما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية، بل يكتفون بالحقبة التي تكاملت فيها اللغة العربية منذ أوائل خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. ولا حظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال : " أما عام، (العربي) فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس حُجر ومهلل بن ربيعة .. إلى أن جاء الله بالإسلام - خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام " (٢) ويقول أبو هلال العسكري : " وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيه والمراثي ، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً فأحسن فيه (٣)

#### حدّه الزمني والتاريخي :

من أجل هذا كله نقف بالعصر الجاهلي عند هذه والحمق. التي سبقت الإسلام بحوالي مئة وخمسين عام ، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى ، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية.

ينبغي أن نعرف أن كلمة جاهلية مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق ، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله جلّ وعزّ وما يطوى فيها من سلوك خلقي كريم . ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب ففي سورة البقرة : ﴿ قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ وفي سورة الفرقان : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول ﷺ

(١) د . شوقي ضيف : العصر الجاهلي ط ١٠ ، دار المعارف ص ٣٨

(٢) الحيوان للجاحظ ( طبعة الحلبي ) ٧٤/١

(٣) ديوان المعاني ٩١ / ١

قال لأبي ذر وقد عيّره رجلاً بأمه : " إنك امرؤ فيك جاهلية ". وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا \*\*\* فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وواضح في هذه النصوص جميعاً أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة،، وألف فيها ديواناً نظمته في بعض موضوعات في الشعر الجاهلي هي : الحماسة ، والمراثي ، والأدب ، والنسيب ، والهجاء والأضياف ، والمديح والصفات والسير والنعاس ، ومذمة النساء . وهي موضوعات يتداخل بعضها مع بعض . ووزع قدامه في كتابه نقد الشعر الجاهلي على ستة موضوعات هي المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه، وحاول أن يرد الشعر إلى موضوعين هما المدح والهجاء. وجعل ابن رثيق موضوعات الشعر الجاهلية فنجده العمدة تسعة وهي النسيب ، والمديح ، والافتخار ، والرثاء والاقتضاء والاستتجاز ، والعتاب، والوعيد ، والإنذار والهجاء ، والاعتذار ، ولا نستطيع أن نرتب هذه الموضوعات في الشعر الجاهلي ترتيباً تاريخياً ، و لا نعرف كيف نشأت وتطورت ؛ لأن الأصول الأولى لهذا الشعر انطمرت في ثنايا الزمن ، كما يظن البعض أنها تطورت من أناشيد دينية كانوا يتجهون بها إلى آلهتهم ؛ يستعينون بها على حياتهم فتارة يطلبون منها القضاء على خصومهم ، وتارة يطلبون منها نصرتهم ونصرة أبطالهم ، ومن ثم نشأ هجاء أعدائهم ومدح فرسانهم وسادتهم .

أما إذا نظرنا إلى الهجاء في الجاهلية فنجده مرتبطاً بروح الصحراء العربية التي كانت تقوم على التنافس والحروب بين القبائل. وكانت المعاني في قصيدة الهجاء تدم الضعف والبخل واختلاط النسب. وأصبح الهجاء غرضاً شعرياً يرهبه الأفراد والقبائل على حد سواء. " ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء، وهذا من أول كرمها " (١) فهم يخافونه ويخشون سلطانه ويحاولون ما استطاعوا أن يتخلصوا ممن يتهددهم به.

### حدّه الثقافي والفكري :

كثيراً ما يُلاحظ أن الشاعر يتخطى هجاء خصمه لينال من قبيلته أو من حزبه، ويقارن بين المهجو وقومه ، فنتناوب أبيات الهجاء مع أبيات الفخر ، فإذا تأملنا قصيدة نفهم منها دُروساً

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ١/ ٣٦٤ ط. البايي الحلبي ١٣٥٧ هـ.

أخلاقية تشجعنا على العمل بعكس هذه الصفات التي استدعت الهجاء ، والشاعر الجاهلي بقوة ألفاظه الهجائية يصور لنا وجهين للحقيقة وجه للخير ووجه للشر ، فهو إذاً يرسم لنا مثالاً أعلى يدعونا للتطلع إليه .

الأعشى يعير قبيلة إبادٍ بأنهم أهل زرع وليسوا أصحاب حرب: (١)

لسنا كمن جعلت إباداً دارها تكريت تتظرُ حبَّها أن يُحصدا  
قوماً يعالجُ قَملاً أبناؤهم وسلاسلاً أُجداً وباباً مؤصدا

كذلك كان الهجاء الجاهلي يدور على كل ما يناقض مُثل الجاهليين وفضائلهم في حياتهم ، وما يعتزون به ويفتخرون من شجاعة وكرم دافق ووفاء ، وقد يتعدى الهجاء ذلك إلى حد طعن الأعراس وقذف النساء (٢)، فهو لا يزال يُقرن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأولى من شعائر ، ولعلمهم من اجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشائمون ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .ومما يعرف عندهم أن الغزو والنهب كان دائراً بينهم ، مثال لذلك إذا أغارت جماعة ونهبت إبلاً بينها إبل لشاعر ، تعرّض لهم بالهجاء والشتم، يُروى الرواة أن الحارث بن ورقاء الأسدي أغار على عشيرة زهير ، واستاق فيما استاق إبلاً له وغلاماً فنظم زهير يتوعده بالهجاء المقذع ، يقول (٣)

ليأتينك مني منطقٌ قذعٌ \*\*\* باقٍ كما دنس القُبْطِيَّةَ الودَكُ

ففزع الحارث ورد عليه ما سلبه منه . واضح أن زهيراً يستخدم في وصف هجائه المنتظر كل) وبمقدار فهو سيلحق به عن طريق هجائه الرَّجْس والإثم .

أصبح الشعراء يصيئون أهاجيهم على خصومهم وعشائره ، فلم يسلم منها أحد من أشرافهم ، يقول الجاحظ : " وإذا بلغ السيد في السؤدد الكمال حسده من الأشراف من يظن أنه الأحق به ، وفخرت به عشيرته فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه ، ومن طلب عيباً وجده فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره وجد من يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجى حصن بن حذيفة ، و زرارة بن عُدس ، وعبدالله بن جُدعان وحاجب بن زرارة وهؤلاء هم الذين يمثلون سادات قبائلهم ولم يذهبوا فيما تحت أيديهم من قومهم ومن حلفائهم وجيرانهم مذهب كليب بن ربيعة ولا مذهب حذيفة

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين محمد دار الراتب الجامعية ص ٩

(٢) العصر الجاهلي . شوقي ضيف ٢٠١ ط . دار المعارف

(٣) مختار الشعر الجاهلي للسقا ، ص ٢٥٥ ، وديوان زهير (طبعة دار الكتب المصرية) ص ١٨٢ . القذع : القبيح . القُبْطِيَّة : كل ثوب أبيض . الودك : الدسم .

بن بدر ولا مذهب عيينة بن حصن ولا مذهب لقيط بن زرارة ... فإن هؤلاء وإن كانوا سادة فقد كانوا يظلمون<sup>(١)</sup> وبمقدار ما كان في القبيلة من شرف وأشراف كان هجاؤهم عندهم ، إذ كانوا لا يزالون يتعرضون لها ولأشرافها بأفبح الهجاء وأقذعه.

### أغراض الهجاء في العصر الجاهلي ودوافعه :

عرف الجاهليون ألوان أخرى من الهجاء ، هي الهجاء الشخصي والهجاء السياسي ، ثم عرفوا بعد ذلك لونا آخر ظهر بظهور الإسلام ، وما صحبه من حركة فكرية ، وهو الهجاء الديني ، يُعرف الهجاء القبلي بالهجاء الشخصي الذي يخرج به الشاعر من دائرة التحديد إلى دائرة العموم ، ومن الجزء إلى الكل ، فكأنه أراد أن يوسع من دائرة الألم ، ويصيب بسهمه غير المهجو ، فمن الممكن أن نرجعهما إلى شيء واحد وهو الهجاء الشخصي ، سواء اتخذ صيغة فردية خاصة أم جنح إلى العموم والشمول فقد كان ناتجمن المنازعات الفردية والخلافات التي نشأت من احتكاك الناس وتعارض مصالحهم ، في بيئة تقوم على القتال والنزاع في سبيل الحياة. ويميل الكثير من النقاد إلى الغض من قيمة هذا الفن في جملته ، واعتبارها حط أنواع الهجاء<sup>(٢)</sup> .

الهجاء القبلي فهو في الواقع ليس شعر سياسياً بالمعنى الدقيق، ولكنه يصور الشعر السياسي في طوره البدائي عند العرب. فالعرب في جاهليتهم لم يعرفوا نظام الدولة ومن ثم لم تكن لهم أحزاب منظمة تتقيد ببرامج خاصة. ولكن العربي مع ذلك كان يحمل لقبيلته من القداسة والإجلال، مثل ما يحمل المواطن لوطنه بل أشد. وكان للفرد من قبيلته من الحقوق، ما يشبه حق المواطن على وطنه. فهي مكلفة بحمايته أمامها، وهو مسئول أمامها ، مرتبط بها ، وهو يضع سيفه ولسانه في خدمتها .وما تقدم لا يعنى أن كل الهجائيين كانوا وثيقاً، في أهاجيتهم عن حس نقي وانفعال صادق ، فبينهم من يكتر من الكذب والافتراء في هجائه، ونقرأ فيه ما تمتحن به النفس الإنسانية من مثالب وسيئات صورها الهجاءون من خلال احتكاكهم بمجتمعاتهم ونقدتهم لحكامهم . ولأن الهجاء يتصل بالحياة العامة اتصالاً وثيقاً ، فإننا نجد معالم التطور فيه أعمق وأوسع منها في المديح الخالص<sup>(٣)</sup> . فالهجاء فن متطور يستمد معانيه مما تواضع الناس على أنه من الرذائل.

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ٢/ ٩٣

(٢) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، تأليف محمد محمد حسين ، ط ٢ ص ١١٥

(٣) د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، سنة ٢٠٠٤م ، ط ١٦ ، ص ١٦٧ .

وارتد إلى ما ألف الناس من الهجاء وهذا ما يمثله هجاء حسان لقريش وغيرها .  
أما الهجاء القبلي فهو الذي يدور بين شعراء القبائل ،ونقرأ فيه صوراً من منازعات القبائل  
ومنافساتها ، وهذا اللون من الشعر مزيج من الحماسة والهجاء فحين يتحدث الشاعر عن  
قبيلته،يفخر بآثرها ويعدد فضائلها ،وإذا تحول إلى القبيلة المعادية انقلب عليها غاضباً  
يذكر مثالبها وردائلها . وهذا الجانب من الهجاء يؤرخ للحياة العربية في الصحراء ، وهو  
يعتمد على التاريخ والأنساب فنجد الشاعر هنا أشبه بالمؤرخ ، إذ أنه يصور مجد قبيلته  
مُعدداً أيامها ،سارداً لتاريخها الحميد ،مثير في نفوس أبنائها الزهو والحماس والفخر ، هو  
بعد هذا يؤرخ ضعف أعدائهم ، معيراً بهزائمهم بما يوقع في نفوسهم الخزي والصغار<sup>(١)</sup>.  
وفي معلقة الحارث بن حلزة صورة واضحة لهذا الضرب من الهجاء ، كما أن في شعر  
حسان بن ثابت وقيس بن الخطيم أمثلة كثيرة للهجاء القبلي ، ومن ذلك قول حسان يخاطب  
ابن الخطيم<sup>(٢)</sup>

فلا تعجلن يا قيس وأربعُ فإنما قصارك أن تلقى بكل مهنـدٍ  
حسام وأرماح بأيدي أعزة متى ترهم يا ابن الخطيم تبـدٍ  
لقد لاقت الأوس الهوان وطُردت وأنت لدى الكنات في كل مطردٍ  
نفتكم عن العلياء أم لئيمة وزند متى تقدح به النـار يصلدٍ

واضح هذا الجمع بين الفخر والهجاء في سياق واحد ، لان العاطفة الكامنة وراءهما  
واحدة هي حب القبيلة والدفاع عنها ،والهجاء الذي يعبر فيه الشاعر بلسان جماعة هو  
أحدها ، فهو هجاء قبلي و يظل محدود المنطق والأهداف .وتسميته بالهجاء السياسي<sup>(٣)</sup> يبعده  
عن المفاهيم التي انطلق منها ، والمضامين التي عبر عنها ، فالقبيلة وحدة بناء كبيرة في  
المجتمع العربي الكبير في الجاهلية ، ولكنها لم تكن دولة لها كيائها ونظامها ، فالقبائل  
العربية التي تعيش متفرقة متنافرة لا تربطها وحدة تؤلف بينها وتكون منها شعباً متحداً  
منظماً تقوم به دولة عربية واضحة السمات كدولتي الفرس والروم اللتين عاصرتا العرب  
في ذلك العهد القديم<sup>(٤)</sup> وهذا الهجاء يصور نزاعاً من القبائل هو قريب من النزاع الفردي ،

(١) محمد حسين الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١١٧

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٣٣ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

(٣) محمد محمد حسين الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١١٤

(٤) تاريخ الشعر السياسي حتى منتصف القرن الثاني . أحمد شايب ص ٢٤

وهو شعر يقوم على منفعة الفرد ، كان النعمان كثير الوقائع في قبائل العرب وخاصة عبدالقيس فتعرض له شاعرها يزيد بن الحذاق يتهدد النعمان بن المنذر ويتهمه بالخيانة والخداع وبأنه يضر لهم الشر ، فيقول من قصيدة له : (١)

نعمانُ إنك خائنٌ خَدَعٌ \*\*\* يُخْفِي ضميرُك غير ما تُبْدِي

ربما لم يكن ذلك صحيحاً على إطلاقه فقد استطاع كثيراً من الهجائيين المتأخرين في الأدب العربي ، أن يفتتوا في الهجاء الشخصي ، ويبلغوا به درجة ممتازة . يلاحظ أن هذا الفن في معظمه كان متخلفاً عند الجاهليين ، على كثرة ما أنتج الشعراء فيه . فقد غلب عليه العجلة التي أبعدته عن الرؤية والجد الذي يبذله الفنان في فنه ، فكان تصويراً سريعاً حاراً لعاطفة الغضب ، التي تتحرف بطبعها عما ينبغي للفن من أناة ، وكان لذلك صورة خشنة مهوشة للتجربة ، لم يختزنها الحس الفني ، ليعيد عرضها بعد أن يستثيرها من مكنها ، وقد أضفى عليها من خياله وسحره ، فالهجاء سجل لمعركة بين فردين يتشاتمان ، يُرى فيه كل ألوان العنف الذي يصحب هذه الظاهرة ، فيه الاستعلاء على الخصم بكل شيء ، بالمال وبالحسب والأهل، وفيه السباب المقذع الذي يتعرض لأغلظ العورات دون احتشام ، وفيه التعبير والتهديد . وأكثر ما نجد فيه فخر كثير ، وتهويل بالقدرة على البطش بالسيف ، وبالشعر الذي يبقى ميسمه ، ويجري على كل لسان . ويقول مُزَرَّدِين ضرار الذبباني : (٢)

يهزون عرضي بالمغيب ودونه      لَقَرَمِهِم مندوحة ومآكل  
على حين أن جُرِّبْتُ واشتد جانبي      وأنبح مني رهبة من أناضل  
وجاوزت رأس الأربعين فأصبحت      قناتي لا يُلْفَى لها الدهر عادل

يقول قد كان لهم مندوحة ومنصرف عن أكل عرضي في غيابي ، وأنبح منه الذين يناضلونه صيرهم إلى أن ينبحوا كالكلاب ، ويصف نفسه باللدود في الخصومة ، والحدق بإصابة الخصم ، و نعثر في بعض الأحيان بشعر من هذا الباب ، لا يخلو من المتعة الفنية ، مثل قول ذي الأصبع العدوانى في هجاء ابن عم له : (٣)

(١) تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون : المفضليات : للضيبي : دار المعارف : ط ٥ ص ٢٩٦

(٢) محمد محمد حسين الهجاء والهجاءون سبق ذكره ص ١١٦

(٣) مرجع سبق ذكره ص ١١٧



لِي ابْنُ عم على ما كان من خُلُقٍ مختلفان فأقلّيه ويقلّيني  
أزْرِي بنا أننا شالت نعمتُنا فخالني دونه بل خلتُه دوني  
يا عمرو إن لا تدعُ شتْمِي ومَنَقَصَتِي أضربك حتى تقول الهامةُ اسقوني  
إني لعمرك ما بابي بذي غلق عن الصديق ولا خيري بمنون  
ولا لساني الأدنى بمنطلق بالفاحشات ولا فتكي بمأمون  
عني إليك ، فما أُمي براعية تراعى المخاض وما رأيي بمغبون

أقلّيه أي أكرهه ، وتفرق أمرنا و اختلفنا ، والهامة طائر كانت تزعم العرب في أساطيرها أنه لا يزال يصيح على قبر المقتول قائلاً (اسقوني اسقوني) حتى يؤخذ بثأره . يهدده بأن يضربه حتى يقتله ، يعتمد على مهاجمة الأفراد. وهو أقدم أنواع الشعر الهجائي وهو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية ، بعيد عن العدل والإنصاف ، لأنه لا يرتقي إلى عناصر الحياة العامة إلا في القليل من نواحيه ، فهو أقرب للسباب ، وأدنى إلى أن يتورط في الفحش ، ومثل هذا الشعر قد يعجب المعاصرين ويستدعي انتباههم ، فيرددونه شامتين أو ساخطين ، ولكنه يفقد جزء كبيراً من قيمته بتداول العصور فلا يتحمس له الإنسان ولا يجدون فيه مضحكة . وأكثر ما يكون الهجاء الشخصي ناجحاً إذا استطاع فيه الشاعر أن يخفي حقه نحو الأفراد ، فيبدو غضبه منصباً على رذائل سائدة وحماقات منتشرة ، لا تعرض فيها أسماء الأشخاص إلا على سبيل التوضيح والمثال ، كالذي نجده عند الجاحظ في البخلاء .

يتصل بعض الهجاء الشخصي بالقبائل وما بينها من خصومات ، فيكون الهجاء في ظاهره موجهاً لشخص ، وفي حقيقته موجه للقبيلة ممثلة في هذا الفرد الذي يمثل زعيمها أو شاعرها . وهنا يختلط الشتم والسباب بالتلميح إلى أسباب الخصومة بين القبيلتين ، فيجد الهجاء بين يديه مادة خصبة تعينه على المضي في قصيدته حتى تبلغ عشرات الأبيات .

### أنماط الهجاء :

نما الهجاء الشخصي الذي هو أصل الهجاء ، وتطرق إلى موضوعات أخرى ، فإذا نظرنا إلى العلاقة بين العرب نجدها غير حميمة لأنها يقوم نسيجها على التنافس والقتال . وهذا من شأنه أن يخلق النفور . ويؤثر العداوة كل ذلك من دوافع شعر الهجاء وهو الذي

يدور حول شخص معين لأنه ارتكب جريمة ، أو أتى ما يغضب الشاعر وإن كان محقاً أو محسناً عند نفسه ، وقد بدأ من هذه الدراسة الموضوعية لهذا النمط من الهجاء أنه يدور حول محورين :

الأول : ذكر العيوب الخلقية وما يتصل بها.

الثاني : التركيز على تقليل الشأن ، أو التهوين من القدر وما يترتب على ذلك من وسائل .فأما العيوب الخلقية ما يتصل بالشكل العام للإنسان من قصر وطول ولون وعيب في الأنف أو دناءة الأصل ورقة النسب ، ويرميه بأبيه ، أو يقذف أمه ..... وغيرها وخير مثال لذلك ما قاله الشاعر عن قيس بن عاصم ،وهو سيد أهل الوبر يذكر مثالب أبيه وأمه ، ولم يتعرض فيه لقيس مباشرة ، ولكنه أتى عليه بهذا البيت إذ يقول  
لحا الله أعلى تلعة حفشت به وقتنا أقرت ماء قيس بن عاصم (١)  
فالشاعر يتناول في هذا البيت أصول هذا السيد فأير أبيه مصاب . وفرج أمه مذموم ، ولا ينظر إلى هذا البيت على أنه تناول الأعراض ، ولكنه يسلبأصل الرجل وفي هذا إيلام وإيجاع ويقول طرفة في زوج أخته وابن عمه عبد عمرو ، يصفه بصفرة من الخيرات ، فليس له من الخير غير غناه ، وهذا أمر لم يأتيه عن كرامة وهو يقترب في تكوينه الجسدي من النساء إذ يقول : (٢)

فيا عجباً من عبد عمرو وغيه لقد سام ظلمي عبد عمرو فأنعما  
ولا خير فيه غير أن له غنى وأن له كشحاء إذا قام أهضما  
هذا الهجاء يقوم على التناقض من شأنه أن يثير الضحك وهو يدل على نفاذ الشاعر وبصره بما يبغى ، فعبد عمرو يروم البغي ، وهو يطلب الشدة والرجولة ، لكي يؤثر في نفس المتلقي يأتي بالشرط الثاني الذي يدل على كلف الرجل بالظلم وابتغائه ، ومن كان على هذه الصورة فهو ذو هيئة مهيبة وطلعة مخيفة ، وهنا يأتي دور البيت التالي حين يعكس الانفعال ، وينتقل بالإحساس والتصوير من النقيض إلى النقيض ، وذلك من شأنه أن يحدث المفارقة التي توجد السخرية ، ويصدر البيت بالنفي العام(و لا خير فيه) ، ثم يرتد فيترجع

(١) كتاب المعاني لابن قتيبة ج ١ ، ص ٥٠٧

(٢) الحيوان للجاحظ ص ١١٣

ذاكراً مناقبه ، ومعدداً أفضاله ، ويحددها في شيئين : الغنى ومشابهة المرأة ، ومن كان كذلك فالأولى به أن ينأى عن روم البغي ، وطلب الظلم <sup>(١)</sup>

النمط الثاني من الهجاء هو تقليل شأن المهجو مثال لذلك يتعلق بهجاء رجل شريف هو " عبد الله بن جدعان " ذلك الرجل الذي كان يؤم الناس بيته ، وتعقد فيه الندوات والأحلاف ، ولكن الشاعر " خدّاش بن زهير " هجاه ، فبكى من أثر هجائه . وقد ذكر الجاحظ خبر بكائه ولم يذكر الشعر فقال " بكى عبد الله بن جدعان من بيت لخدّاش بن زهير " <sup>(٢)</sup>. نقل هذا الخبر مصطفى صادق الرافعي في تاريخ آداب العرب ، وذكر انه لم يهتد إلى هذا البيت ، أما عبد الله بن جدعان فقد قال الجاحظ في الحيوان : أنه بكى من بيت خدّاش بن زهير ولم يذكره ولم نقف عليه <sup>(٣)</sup> ولكنني وقفت على أبيات خدّاش التي هجا بها عبد الله بن جدعان هي <sup>(٤)</sup>

وَأُنْبِئْتُ ذَا الضَّرْعِ ابْنَ جَدْعَانَ سَبْنِي فَإِنِّي بِذِي الضَّرْعِ ابْنَ جَدْعَانَ عَالِمٌ  
أَغْرَكَ أَنْ كَانَتْ بَبِطْنُكَ عَكْنَةً وَأَنْكَ مَكْفِي بِمَكَّةَ طَلْعُمُ  
تَرْضَى بَأْنَ يَهْدِي لَكَ الْعِفْلَ مُصْلِحاً وَتَخْنُقَ أَنْ تَجْنِي عَلِيكَ الْعِظَائِمُ  
أَبِي لَكُمْ أَنْ النَّفُوسَ أذْلَمَةً وَأَنْ الْقُرَى عَنْ وَاجِبِ الضَّيْفِ عَاتِمُ  
وَأَنْ الْحَلُومَ لَا حَلُومٌ وَأَنْتُمْ مِنَ الْجَهْلِ طَيْرٌ تَحْتَهَا الْمَاءُ دَائِمُ  
وَلَوْلَا رِجَالٌ مَنْ عَلَى أَعْزَةٍ سَرَقْتُمْ ثِيَابَ الْبَيْتِ ، وَالْبَيْتُ قَائِمُ

فنحن أمام هجاء رجل له مكانته ، ويبدو أن عبد الله بن جدعان قد نال خدّاشاً بسوء ، وهو من أهل بيت ، فجده عمرو بن عامر فارس الضحياء وهو شاعر كبير أشعر من ليبيد .

الشاعر الهجاء يجب أن يعرف من أمور المهجو ما يجله أكثر الناس فيبدأ الشاعر أبياته بذكر سب عبد الله له ، ولم يشأ أن يسبه ، وإنما سلب من شأنه ، أن يأتي عنه السب ، فمن البين أن الساب تتوفر فيه عناصر القوة والمواجهة والجرأة ما أمكن ، وقد سلب هذا من ابن جدعان ، ووصمه بالتضرع وهو غاية الذل والانكسار .

وَأُنْبِئْتُ ذَا الضَّرْعِ ابْنَ جَدْعَانَ سَبْنِي فَإِنِّي بِذِي الضَّرْعِ ابْنَ جَدْعَانَ عَالِمٌ

(١) د عباس بيومي عجلان: الهجاء الجاهلي صورته وأساليبه الفنية ص ١٦٤

(٢) تحقيق عبد السلام هارون: الحيوان للجاحظ ج ٢ ، ص ٩٠ .

(٣) تحقيق محمد سعيد العريان تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٨٠ .

(٤) الشعر والشعراء ج ١ ، ص ٦٥٠ ، ورواية خزانة الأدب ج ٢ ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

فقد ركز الشاعر على (ذي الضرع) فكأنه الضراعة ملازمة له لا تتفك عنه وحرى بمن كان هكذا أن يكف عن السب لأنه لا يقدر على تنفيذ ما يدعى وإبرام ما يزعم .

الشرط الثاني من البيت يقوم بدورين أحدهما إيجابي وهو ما يتهمه به من صفات مدعياً أنه لا يكذب فيها، ولا يجاوز الحق لأنه به عالم، أما السلبي نقي ما يترتب عليه السب، لأنه عالم بقائله ، والعلم يُهون من شأن ما يأتي ، ويقوي من أثر هجائه :  
أَعْرِكَ أَنْ كَانَتْ بِيْطَنُكَ عَكْنَةَ وَأَنَّكَ مُكْفِي بِمَكَّةَ طَلْعُمُ  
هذا أسلوب سخريّة ، فهو لا يسأل عن شيء ، ولكنه يسخر منه .

فأنت يسعي عليك ، ويقام بأمرك ، ولا تقوم بأمر أحد، وذلك شأن المرأة والعاجز ، وهذا عندهم من قذع الهجاء ، وهو ما قاله الأعشى في (يزيد بن مسهر الشيباني):  
وذرنا قوماً أن هموا عمدوا لنا \*\*\* أبا ثابت ، وأجلس فإنك ناعم  
وهو ما قاله الحطيئة في الزبرقان :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا \*\*\* وَأَقْعَدَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمَ الْكَاسِي

فكأن الذي سول له أن يسب خدashaً أمران كلاهما مخز ، ارتخاء البطن وثني طياتها ، وهذا ما تتيه به المرأة أحياناً ، ولكن ربما كان بن جدعان محامد لم يشأ أن يذكرها خداش ، ومن المعروف أن ابن جدعان كان كريماً ثرياً . فيأتي بالبيتين التاليين لنفي الكرم  
تَرْضَى بَأَنْ يَهْدِي لَكَ الْعَفْلَ مُصْلِحاً وَتَخْنُقُ أَنْ تَجْنِي عَلِيكَ الْعِظَائِمُ  
أَبِي لَكُمْ أَنْ النَّفَّوسِ أذْلَةَ وَأَنْ الْقُرَى عَنْ وَاجِبِ الضَّيْفِ عَاتِمُ  
أنني أعلم ما يسرك ، وأعرف ما يسوؤك، فكم أنت بخيل شحيح تروم تنمية المال ، وتتفر من أهانتة وبذله عبر الشاعر عن ذلك بالبيتين ، فهو يرضى حين يأتيه شيء يدل على نماء المال وان كان خسيساً، ويصيبه سوء حين يلتزم بأمر عظيم، وليس ذلك من شأن العظماء .  
وقد أتى الشاعر بالفعل (ترضى) و(تخنق) ليخلق تناقضاً في العاطفة ، والإحساس ينشأ عنه معرفة وثيقة بشخصية المهجو ، وخليق بالرجل السيد ، أن يرضى بجناية العظام ، ويخنق حين لا يؤدي من واجبه واجباً.

والرواية الأخرى : تضرك تضي بعداً جمالياً آخر ، وتعكس ما عليه ابن جدعان عند ابتغاء المعروف منه ، أو طلب النفع لديه ، وقد حال بينه وبين الكرم أمور : ذلة لسان ، وتأخير واجب الضيف ، والحمق ، وإذا كان الإنسان ذليل النفس فقد نأى عنه الخير ،

وربما جمع المرء بين ذلة النفس والبخل ولكنه ذو حلم فيعرف المجتمع له هذا فيعظم عنده لرجاحة عقله ، ولكن خدائشاً يسلب هذا أيضاً من ابن جدعان .

ولو كان للإنسان مسكه من عقل فلرب غطى على كثير من عيوبه ، وأخفى شيئاً من عوراته ، وأخرج منكراته مخرجاً حسناً ، فنفي العقل يقضي بنفي الفضائل عامة :

وَأَنْ الْحَلُومَ لَا حَلُومَ وَأَنْتُمْ مِنَ الْجَهْلِ طَيْرٌ تَحْتَهَا الْمَاءُ دَائِمٌ  
في إيراد الحلوم (بالجمع ما يوحي بأن الإنسان له حلوم كثيرة ، فقد يكون حلمه في تدبيره ، أو في حديثه ، أو في مظهره ، وقد يكون في سلوكه ، إلى غير ذلك) فحين ينفي الحلوم فكأنه ينفي كل صفة حميدة ، ويثبت كل شيء سيئة ، ويصور خدائش صورة جهلهم بذلك الطائر الذي يريد أن يستقر فلا بد فلا يجد غير الماء ، فيظل على طيرانه متخبطاً يتلمس أرضاً ينزل عليها فلا يجد ، وفي هذه إبانة عن صورة مركبة فيها الحركة ، والقلق ، وضياع الأمل .

خليق بمثل هذا الهجاء الذي يحمل طعنات أشد مضاء من وقع السيف ، أن تبكي ابن جدعان ، لأنه سيّد يحرص على كرمه ومنزلته ، فلم يسلك له سبيل الشتم أو ذكر العيوب الخلقية ، وإنما سلبه صفات الحمد ، وذكر له مثالب يندى لها الجبين ، من الضراعة والسمنة ، والخمول ، والحرص على إنماء المال وتزكيتها ، والنفور من موجبات السيادة ، وما ذلك إلا عن ذلة في النفس ، والتخلي عن واجب الضيف ، وفقد العقل .

هكذا ينأى هذا النموذج من الهجاء الشخصي عن ذكر المقابح الخلقية ، والقدرح في

#### الأعراض والأنساب<sup>(١)</sup>

أما الهجاء السياسي الذي يقوم على العصبية للوطن ، فيهاجم كل ما يؤذيه أو يهدد كيانه ، فالشاعر هنا يعبر عن جماعة هو أحدها ، ولا يكاد يحس شخصيته إلا في حدود هذه المجموعة التي يرتبط مصيره بها كل الارتباط ، فهو يفني فيها وجوده ، ويتجرد من نزعاته وأهوائه ، ليحس بإحساسهم ، ويرى بأعينهم ، ويسمع بأذانهم .

يتميز عن سابقه بأن صاحبه يرى مثله الأعلى في حزب من الأحزاب أو طائفة من الطوائف أو مذهب من المذاهب ، فهو يهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائص ومعايب تتمثل في أنصار حزب آخر . وهو يزعم في كل هذا - صادقاً أو متصنعاً إنه

(١) الهجاء الجاهلي صورته وأساليبه الفنية ، د . عباس بيومي عجلان ، ص ١٧٧

يهاجم في سبيل الفضيلة والحق ،فشخصية الفرد ضئيلة نحيلة ، لا يكاد تحس لها أثراً .  
والدولة أو الوطن شيء حي ، له وجود قوي وكيان ظاهر ملموس .

الوطن عند الجاهليين لا يصور حدود جغرافية معينة ، كما نتصور اليوم من هذه الكلمة. ولكنه يصور جماعة من الناس ، تربطهم أواصر من النسب ، صحيحة أو مزعومة ، التي قامت عليها حياتهم ، فعاشوا في حدود هذا التصور الصحيح أو المزعوم ، وقد ارتبطت مصالحهم ، متضامين في الخير والشر ،وهو قليل في الشعر الجاهلي لأن العرب لم يهتموا به الاهتمام الواجب نظراً لطبيعة حياتهم ووجودهم ، لأن جل الشعراء والشعر كان في نجد والحجاز وهذان لا يرتبطان بأطراف الجزيرة العربية وأهلها لا يعرفون الشعر السياسي عادة إذ لا يعرفه إلا من ارتبط بأمر أو سافر إلى الإمارات.

فهو شعر يصور الحرية ومقاومة الطغيان ويستند إلى عاطفة إنسانية دائمة (١) .ويتجلى في هذه الصور الكثيرة التي هاجم به الشعراء ملوكهم والدول الكبيرة القريبة منهم ، والتي كانت تفرض سلطانها على من جاورها من القبائل العربية . ويبدو لنا ذلك واضحاً من خلال تمرد الشعراء وثورتهم في وجه الفردية المطلقة في الحكم والاستبداد والاستغلال. والعربي بطبعه نفور من هذا كله ، لأنه قيد لحرية وطمس لمعالم شخصيته ،وثورات الشعراء في وجه ملوكهم مظهر لمواقف قبائلهم الساخطة المتمردة في وجه الذين يفرضون عليها ظلمهم وسيطرتهم.

له صور شتى ، منها هجاء يصور ما يقع بين القبائل من منازعات ومنافسات ، إلى هجاء يصور ما بين هذه القبائل، وبين الملوك الذين يحاولون بين الحين والآخر بسط نفوذهم ، مثل بني آكل المرار ، وبني الحارث بن معاوية ، الذين ساد منهم قيس بن معد يكربأبو الأشعث ، ومثل المناذرة والغساسنة ،ولون آخر من هذا الهجاء يصور ما صحب نشأة الدين الجديد الذي ظهر في الجزيرة العربية ، ومن قتال وكفاح في سبيل نشره وإقراره .

على الرغم من اختلافها ، تشترك في معظم مظاهرها ، فالغضب والحماسة يختلطان فيها ويتداخلان ، حتى يصعب تخليص أحدهما من الآخر ، فلا يستطيع قارئ الهجاء أن يميز بينهما ، فالشاعر إذا تعرض لتصوير العداء بين قومه وبين عدوه ، صوره من جانبيه ، القوي والضعيف ، فتطغى عليه الحماسة حين يصور قوة قومه مفتخراً ، ثم يغلبه الغضب

(١) محمد محمد حسين ،الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ص ١١٤

حين يتجه إلى عدوه ناقماً و مُهدداً .ولكنه في حماسته لا يبرأمن الغضب ، وفي غضبه لا يخلو من حماسة (١).

القارئ لهذه الألوان من الهجاء ، لا يجد فيها الحقد الدفين والغرض الخفي ، ولكنه يجد غضباً صريحاً غير مقنع ، هو صور من صحرائهم السافرة ،ومثلهم الصريحة الواضحة . خير مثال لذلك ما صوره الشاعر الضبي (عبدالله بن عتمة الضبي) (٢) كيف صور ما بين قومه بني السيد (وهم من مالك الضبي) وبين أبناء عمومتهم بني زيد (وهم من ذهل بن مالك الضبي) يبدأ الشاعر مستخفاً بالقوم ، فيقول :

ما إن ترى السيدُ زيداَ في نفوسهم كما يراه بنو كوزٍ ومرهُوب  
إن تسألوا الحقَّ نعطَ الحقَّ سائله والدرعُ محقبةُ والسيفُ مقروبُ  
وإن أبيتُم فإنا معشرُ أنفٍ لا نطعمُ الذلَّ إن السُّمَّ مشروبُ  
فازجرُ حمارك أن يرتعَ بروضتنا إذا يردُّ وقيدُ العيرِ مكُوبُ

إن بدا زيد في نفوس أبناء عمومته من بني كوزٍ ومرهوب شيئاً خطيراً ، فما نراه نحن خطيراً . ثم يلتفت إليهم قائلاً : إن تسألوا الحق نعظكم ما تسألون غير مكابرين ، والدرع في حقيبتة، والسيف في قرابه . فإن أبيتم ، فإننا لا نقبل الذل ، ولا نرضى الضيم ، فدونه شرب السم. فانتهاوا يا بني زيد خيراً لكم ، ولا تخوضوا فينا . ازجروا حماركم أن يرتع بروضتنا، فنحن جديرون أن نرده مضيقاً عليه ، مفتول القيد ، أشد ما يكون الفتل .

أما الهجاء الديني : لم يقف عند الشعر الجاهلي فحسب وإنما له وجود ما قبل البعثة المحمدية، وهو وجود مهتز ، لأنه لا يتعدى الخبر والنقل ، ومن هنا تطور شعر الهجاء الديني، فنجد له أمثلة في ما كان بين شعراء المسلمين وشعراء قريش أول ظهور الإسلام أما الهجاء الأخلاقي: فموضوعه الجرائم الأخلاقية أو الدينية ، والمفاسد الاجتماعية ، والعادات القبيحة ، والعيوب الإنسانية على وجه العموم . وقد يعم به الهجاء جنساً من الأجناس لا يعين منه أفراداً ، كالذي نجده في شعر المعري من السخط على المرأة أو رجال الدين، فهو لا يعنى فيه امرأة مقصودة أو رجلاً يعينه من رجال الدين ، ولكنه يرى رذائل في بعض من عرف من أولئك وهؤلاء، فيدفعه السخط والاشمئزاز إلى التعميم .

(١) محمد محمد حسين الهجاء والهجاؤون سبق ذكره ص ١٣٩

(٢) عبد الله بن عتمة الضبي (من ضبة بن أد طانجة بن اليأس بن مضر)شهد القادسية

وبعض شعر المعري يبدو مظلماً مملاً لا يروق المتقائلين، لأنه يبدو كأنه لا يصدر عن دافع أخلاقي، ولكن عن كراهية ونفور من الجنس البشري.

أدت الدوافع الفردية والقبلية والسياسية إلى تعدد أضرب الهجاء الجاهلي . ويعتبر الهجاء الشخصي أقدم هذه الضروب إلى الظهور. فالمنازعات الفردية التي تثيرها العواطف والأهواء وتضارب المصالح بكل أشكالها، تسبق زمنياً الخصومات القبلية والخلافات الجماعية والاضطرابات السياسية وتعارض المعتقدات الدينية. ولذلك فمن الطبيعي أن يتقدم الهجاء الشخصي في ظهوره ونشأته على ألوان الهجاء الأخرى ، مثل الهجاء السياسي والاجتماعي والديني، فالهجاء انتقل من الفردية إلى الجماعية<sup>(١)</sup>، والألوان الهجائية المتقدمة كلها ذات اتجاه جماعي، يدور الهجاء فيها من خلال نقده وثورته على نظام حكم ما ، أو مجتمع إنساني أو دين من الأديان . ولا يتناول الهجاء الأشخاص هنا لذاتهم ، وإنما لأنهم رجال دولة أو دين أو قبيلة وهكذا، أما في الهجاء الشخصي فالفرد وحده موضوع الطعن والذم ، ولذلك فليس صحيحاً أن الهجاء كان في الأصل جماعياً ثم تحول فردياً ، بل أن الهجاء الشخصي أقدم أنواع الشعر الهجائي<sup>(٢)</sup> .

### شعراؤه وأعلامه :

يمكن القول: إن أبرز شعراء الهجاء الشخصي في هذا العصر : الأعشى<sup>(٣)</sup> والمزرد بن ضرار<sup>(٤)</sup> الغطفاني<sup>(٥)</sup> والحطيئة<sup>(٦)</sup> واحترف الهجاء واتخذة معاشاً ، إذ عدا على الناس بالثتم ينال منهم قبل أن ينالوا منه.

(١) تيارات أدبية . إبراهيم سلامة ٣٣٥ .

(٢) محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاءون في الجاهلية ١٩ .

(٣) الأعشى شاعر جاهلي الموالي ٦٢٨ ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة ، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل والأعشى الكبير. من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات. كان كثير الوفود على الملوك من العرب، والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه. وكان يُعنى بشعره فسمي (صناعة العرب). (قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس فكثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض وفيها داره وبها قبره

(٤) ترجمته: (مزرد) لقب له لبيت قاله. واسمه: يزيد بن ضرار بن حرمة بن صيفي بن أصرم بن إلياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، الذبياني الغطفاني، شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام فأسلم، وله صحبة. وكان هجاءه خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا ينكب بيته إلا هجاه. ويظهر أنه أقلع عن الهجاء أخيراً، لقوله فيما نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ، وصاحب اللسان

(٥) ترجمته: (مزرد) لقب له لبيت قاله. واسمه: يزيد بن ضرار بن حرمة بن صيفي بن أصرم بن إلياس بن عبد غنم بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، الذبياني الغطفاني، شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام فأسلم، وله صحبة. وكان هجاءه خبيث اللسان، حلف لا ينزل به ضيف إلا هجاه، ولا ينكب بيته إلا هجاه. ويظهر أنه أقلع عن الهجاء أخيراً، لقوله فيما نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ، وصاحب اللسان



## شكله وسماته :

لم يكن الشعراء الجاهليون يفردون له قصائد مستقلة، بل كانوا يسوقونه في ثنايا فخرهم وحماستهم وإشاداتهم بأمجادهم .وقد يتصل الهجاء الشخصي بالقبائل وما بينها من خصومات، فيكون هذا الهجاء في ظاهره موجهاً لشخص، حقيقته موجه للقبيلة (٢) .والكثير من هذا اللون الهجائي قليل الحظ من الصورة والخيال، وكان يجمع مع أغراض أخرى مثل الفخر والحماسة والعتاب وغيرها .....

اتفق الجاهليون على أن الهجاء الشخصي ذو معانٍ محدودة بصور منتزعة من ذلك قول الحطيئة يسخر من بخيل (٣)

كَدَحْتَ بِأُظْفَارِي وَأَعْمَلْتَ مَعُولِي فَصَادَفْتَ جَلْمُوداً مِنَ الصَّخْرِ أَمْلَسَا  
تَشَاغَلَ لَمَّا جِئْتَ فِي وَجْهِ حَاجَتِي وَأَطْرَقُ حَتَّى قُلْتُ : قَدْ مَاتَ أَوْعَسَى  
وَأَجْمَعْتُ أَنْ أَنْعَاهُ حَتَّى رَأَيْتَهُ يَفُوقُ فَوَاقُ الْمَوْتِ حَتَّى تَنْفَسَا  
فَقُلْتُ لَهُ : لَا بَأْسَ لَسْتُ بَعَائِدَ فَأَفْرَخَ تَعْلُوهُ السَّمَادِيرَ مَلْبَسَا

خلاصة القول أن الهجاء الجاهلي كان سجلاً لحياة الأفراد والجماعة في هذا العصر، وهو يميل نحو بساطة العبارة وعفة اللفظ ولكنه يعبر عن عواطف ثائرة وانفعالات متصارعة .

## الهجاء في العصر الإسلامي والأموي :

تغيرت مع الإسلام بعض القيم الجاهلية التي كانت سائدة بين العرب وتتناهى مع تعاليم الإسلام وانهارت لتحل محلها القيم الإسلامية التي نشرها الرسول ﷺ وعززها الخلفاء الراشدون من بعده .ويسمى عصر المخضرمين (٤) ويشمل عصر النبي ﷺ والخلفاء الراشدين وسمي أدبائه مخضرمين لأنهم عاصروا الجاهلية والإسلام .لكن في بداية الدعوة الإسلامية لاقى الرسول ﷺ كل أنواع المعارضة وخاصة بسلاح الشعر ، إلا أن الإسلام لم يحرم الشعر كله ،بل حرم فقط ما يتنافى مع الروح الإسلامية وما يدعو إلى المعصية . فالرسول ﷺ كان يستمع إلى الشعر ويتذوقه . وكان الشعراء الذين أسلموا يردون على

(١) الخطيب جردول بن أوس بن مالك العبسي، أبو ملكية شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءً عنيفاً، لم يكذب يسلم من لسانه أحد، وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبير بن بدر، فشكاها إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣

(٣) ديوان الحطيئة ص ٢٨٢ ط . البابي الحلبي تحقيق نعمان أمين طه ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

(٤) تاريخ الأدب العربي تأليف أحمد حسن الزيات ص ٨ وما بعدها

القرشيين بالشعر فيهجونهم ويزودون عن الإسلام بالشعر ويمدحون الرسول والرسالة المحمدية ومن أشهر هؤلاء الشعراء شاعر الرسول حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعباس بن مرداس السلمي وعدي بن حاتم الطائي .

بدا واضحاً أن الإسلام قد أرسى من الفضائل ما يجعل الهجاء إثماً، ومع هذا فقد ظل الحطيئة سادراً في غوايته وهوايته فعاقبه عمر بن الخطاب، رضي الله عنه بالحبس كما أحدث الإسلام تحولاً مهماً في الهجاء، فاتجه شعراء النبي إلى هجاء المشركين وبخاصة أولئك الذين هجوا النبي وأصحابه، من شعراء المشركين، واضطر حسان ابن ثابت إلى أن يمطرهم بوابل من الهجاء المقذع معاملةً لهم بالمثل، وهكذا وظف الهجاء في خدمة الدعوة، طلب الرسول ﷺ من شعراء المدينة أن يعينوه بأهاجيهم في قريش ، ويُروى أنه قال لحسان بن ثابت ، وقد أخذ في هجاء القرشيين : " لشعرك أشد من وقع النبل " (١) وفي ذلك ما يصور مدى اثر الهجاء في نفوس العرب ، فقد كان سلاحاً لا يقل عن أسلحتهم في القتال ،ولذلك قرنه عبد قيس ابن خفاف البرجمي إلى ما يلقي به أعداءه من سيف ورمح ودرع ، يقول (٢)

فأصبحتُ أعددتُ للنباتِ عِرضاً بريئاً وعَضْباً صَقِيلاً  
وَوَقَعَ لِسَانِ كَحْدِ السُّنَّانِ وَرُمُحاً طَوِيلاً الْقِنَاةَ عَسُولا  
وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُوعِ تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَالِيلاً  
كَمَاءِ الْغَدِيرِ زَقْتَهُ الدَّبَّورُ يَجْرُ الْمَدَجَّجُ مِنْهُ فُضُولاً

فاللسان كان ينكأ بهجائه في الأعداء نكأ السيوف والرماح ، ويخيل إلى الإنسان كأنما تراص شعراء القبائل بجانب فرسانها وشجعانها في صفوف ، وقد أخذ كل منهم يريش سهام هجائه ويرمي بها أعداءه من الأشراف والقبائل ، وكل يحاول أن يكون سهمه أن يكون أنفذ السهام وأصماها .حتى لا تقوم للشريف وقبيلته قائمة . وكانوا ينتهزون فرصة تلاقبهم في الأسواق وخاصة سوق عكاظ ، فينشدون أهاجيهم لتذيع ، وليلحقوا بخصومهم

(١) تاريخ الأدب العربي ١ العصر الجاهلي ، تأليف د. شوقي ضيف دار المعارف ، ط ١٠ ، ص ٢٠٠

(٢) المفضليات ص ٣٨٦

كل ما يريدون من خزي و عار ، وفي ذلك يقول راشد بن شهاب اليشكري لقيس بن مسعود الشيباني<sup>(١)</sup>

ولا تُواعِدني إنني إن تُلَاقني معي مَشْرِفيُّ في مضاربه قَضَم  
وذمُّ يُغَشِّي المرءَ خِزياً ورهطه لدى السَّرْحَة العِشَاء في ظلها الأدم  
هو يشير إلى سرحة أو شجرة عظيمة كانت بعكاظ ، حيث تقام السوق الكبيرة هناك  
ويضرب العرب قباب الأدم ، وتجتمع العشائر من أنحاء الجزيرة ومعها شعراؤها وما  
يحملون في حجورهم من حجارة الهجاء .

---

(١) المفضليات ص ٣٠٨

## حدّه الزمني السياسي والاجتماعي الديني :

كان الإسلام بمثابة ثورة فكرية إنسانية ، عصفت بمظاهر التخلف الديني والانقسام القبلي والظلم الاجتماعي ، وتنتبت مبادئ المساواة والإخاء والعدل ، وانتشلت العرب من وهدة الفرقة والصراع القبلي ، ليعشوا أمة عربية واحدة لها أهدافها في الحياة ومشاركتها في سبيل التقدم الإنساني .

كان طبيعياً أن يصاحب الشعر هذه الثورة ويكون سلاحاً ماضياً من أسلحتها في وجه أعدائها والواقفين في طريقها الإصلاحية . ويعتبر الهجاء من أوسع الأبواب الشعرية التي وأكبت الإسلام في مسيرته .... إذ كانت له رسالة خلقية ، فكان حسان بن ثابت يهجو في سبيل الدعوة وتأييد الفضيلة الجديدة ، فضيلة المعتقد " وروح القدس تؤيده<sup>(١)</sup> ومن أجل هذا فقد كان الهجاء الديني من أبرز أقسامه في هذا العصر ..

ثم امتد قيام الدولة الأموية من سنة ٤٠هـ إلى سقوطها ١٣٢هـ (حوالي اثنين وتسعين عام) تألق الشعر في العصر الأموي وأصبح الأداة الفعالة للدفاع عن الأحزاب التي نشأت في هذا العصر وقويت وأهمها الحزب الأموي والحزب العلوي وحزب الخوارج . كان لكل حزب سياسته الخاصة فانبرى الشعراء يدافعون عنه ويهجون أعداءه . بالإضافة إلى هذه الأحزاب ، عادت العصبية القبلية ونمت الصراعات بين القبائل اليمنية والقبائل الشمالية . كذلك ظهرت عصبية جديدة أطلق عليها الشعبوية ، أي الصراع بين العرب والعجم الذين كثروا وارتفع شأنهم .

## شعراؤه وأعلامه:

كان حسان وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة أشهر من وقفوا يدافعون عن العقيدة الجديدة رامين المشركين وأعداء هذه الدعوة بسهام قاتلة . وكان لمناهضي الدين الجديد شعراؤهم وفي طليعتهم عبد الله بن الزبيري وضرار بن الخطاب وأمّية بن أبي الصلت . وقد أدرك النبي ﷺ قيمة هذا الهجاء في وجه أعدائه ، فكان الهجاء والقتال متلازمين في نشر الدعوة<sup>(٢)</sup>

(١) تيارات أدبية . إبراهيم سلامة ص ٣٤٥ .

(٢) الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ١٧٥

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍ قِتَالٌ أَوْ سِبَابٌ أَوْ هَجَاءٌ  
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مِنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلَطُ الدِّمَاءُ

وظهر في العصر الأموي فن هجائي جديد عرف بالنقائض اشترك فيه الأخطل والفرزدق وجرير والراعي النميري والبُعَيْث ودعل الخزاعي . يلتزم فيها الشعراء أصولاً شكلية . اشتعل فن النقائض ناراً متأججة في العصر الأموي كرجعة جاهلية عنيفة وغلب عليها تقابل المعاني وقلبها وشيوع الهجاء الصريح والهجاء المقذع وعاد التفاخر بالأنساب وذكر الحروب القديمة والحوادث التاريخية. ومثلاً لذلك ما قاله الفرزدق في هجاء قوم جرير<sup>(١)</sup>

يَا ابْنَ الْمُرَاوِغَةِ كَيْفَ تَطْلُبُ دَارِمًا وَأَبُوكَ بَيْنَ حِمَارَةٍ وَحِمَارٍ  
قَبْحَ الْإِلَهِ بَنِي كُأَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدُرُونَ وَلَا يُفُونَ لَجَارٍ  
يَسْتَيْقُظُونَ إِلَى نَهَاقِ حِمَارِهِمْ وَتَتَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ

### شكله وأنماطه وسماته:

كان انتشار التعاليم الإسلامية سبباً في قوة الهجاء ونموه، وظهر الأثر الإسلامي واضحاً في أسلوب الهجاء من حيث بساطته ووضوحه واقتباسه لبعض المعاني القرآنية . ولم يستمر لهذا اللون من الهجاء حدته وعنفه بعد انتصار الإسلام وكتبته لأعدائه .  
ظهر الهجاء الديني بظهور الإسلام ، واختلف عن الهجاء السياسي أو القبلي في أغراضه وأهدافه وأسلوبه، مثل ما قاله كعب بن زهير في هجاء أخاه بجير لأنه أسلم وأتبع دين محمد<sup>(٢)</sup>

فَفَارَقْتَ أَسْبَابَ الْهَدَى وَاتَّبَعْتَهُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيَبِ غَيْرِكَ دَلَّكََا

عَلَى مَذْهَبٍ لَمْ تَلْفَ أَمَّا وَأَبَاً عَلَيْهِ وَلَمْ تَعْرِفْ عَلَيْهِ أَحَاً لَكَا

لما بلغت أبياته هذه رسول الله ﷺ ، أهدر دمه ، وقال : " من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله " فكتب إليه أخوه بجير يخبره ، وقال له : " أنجه وما أراك بمفلت " وكتب إليه بعد ذلك يأمره أن يسلم ويُقبل إلى رسول الله ﷺ ، ويقول له : إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسوله ، قبل ﷺ منه ، وأسقط ما كان قبل ذلك .

(١) سراج الدين محمد : الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ، ص ٢٨

(٢) ديوان كعب بن زهير ص ١٢

حميد بن ثور يهجو قاتلي عثمان بن عفان: (١)

إن الخلافة لما أظننت ظننت \*\*\* عن أهل يثرب إذ غير الهدى سلكوا  
كانت العرب في جاهليتها وإسلامها تتقي الهجاء أشد من اتقائها السلاح ، حيث كانت  
تحامي عن أحسابها ، وترغب في اقتناء المحامد الباقي ذكرها على أعقابها ، لذلك قال  
رسول الله وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهما من الصحابة يهجون مشركي  
قريش : لهو أشد عليهم من وقع النبل " (٢)

النابغة الجعدي يهجو الأمويين: (٣)

قَدْ عَلِمَ الْمُصْرَانَ وَالْعِرَاقُ أَنْ عَلِيًّا فَحَلَّهَا الْعِتَاقُ  
إِنَّ الْأَلَى جَاوِرِكَ لَا أَفَاقُوا لَهُمْ سِيَّاقَ وَلَكُمْ سِيَّاقُ  
سَقَّتُمْ إِلَى نَهْجِ الْهُدَى وَسَاقُوا إِلَى التِّي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ

حسان بن ثابت يهجو أبا جهل: (٤)

مَشُومٌ لَعِينٌ كَانَ قَدَمًا مَبْغُضًا تَبَيَّنَ فِيهِ اللُّؤْمُ مَنْ كَانَ يَهْتَدِي

يتبين لنا مما تقدم أن الهجاء في هذا العصر الممتد بين ظهور الإسلام ونهاية عصر بني  
أمية ، إذ كان ذا تيارين : جديد يتمثل في الهجاء الديني والسياسي الذي قيل في ظل دولة  
ذات نظام إداري وكيان سياسي ، وقديم يتمثل في الهجاء الشخصي والقبلي . وهو في كلا  
تياريه جاري عصوره ، وكان صورة للحياة العربية والإسلامية في أيام تمزيقها وفرقتها  
وفي عهود دولتها الكبيرة .

وازدهر الهجاء في العصر الأمويّ بسبب عوامل عدة منها : تأثير العصبية القبلية

التي اشتعلت نيرانها ، وكثرة الفرق والأحزاب الإسلامي .

كان الشاعر يُنظم قصيدته الهجائية ، فيلجأ الآخر إلى الرد عليها ملتزماً نفس البحر والقافية  
والروي والموضوع ، وكل شاعر يلصق بالآخر وبقبيلته معاني الضعة والهوان . كل ذلك  
في سبيل العصبية السياسية والمنفعة الفردية خاصة وإن الشعر أصبح باب رزق يتكسب  
فيه الشاعر لدرجة أن بعض الشعراء بلغوا درجة كبيرة من الثراء .

(١) محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ص ٢٢

(٢) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي : التذكرة الحمدانية ، ج ٥ ، ط ١ ، ص ٩٥

(٣) ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي : التذكرة الحمدانية ، ج ٥ ، ط ١ ، ص ٢٣

(٤) سراج الدين محمد : الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ، ص ٢٣

نموذج آخر لدعبل الخزاعي يذم بخيلاً: (١)

أُنْقَلُ مطبخاً لا شيء فيه      من الدنيا تخاف عليه أكلُ  
فهذا المطبخ استوتقت منه      فما بال الكنيفِ عليه قفلُ  
ولكن قد بخلت بكل شيءٍ      فحتى السلحُ منك عليك بخلُ

هذا التنافس بين الشعراء دفعهم للغوص عميقاً بحثاً في المعاني لإظهار البراعة الشعرية ، غير أن لونا آخر منه اتسعت دائرته واضطربت ناره ، هو " الهجاء السياسي " إذا اشتدت الخصومات بين الجماعات والأحزاب حول الخلافة ، ومن أهم أحق بها. وكان ظهور الشيعة والخوارج والزبيريين وتصارعهم السياسي الدامي مع الحكم الأموي طوال عصره ، عاملاً خطيراً في نمو هذا اللون من الهجاء . إذ انبرى شعراء كل حزب من هذه الأحزاب يتبنى فكرة معينة ، يفخر بها ويدعو لها ويرد على خصومها والطاعنين عليها. كان الاحتكام إلى المنطق ودفع الحاجة بالحجة أبرز ما يميز هذا الهجاء وخاصة في العصر الأموي عصر الأحزاب والثورات والمعارك الدموية .

قد بدأ واضحاً في صفحة الهجاء السياسي السخط على الخلفاء والحاكمين والنظام والاجتماعي الذي بدت فيه مظاهر الطبقة المقيتة . فقد انقسم الناس إلى مترفين ومعوزين ، ومتسلطين ومغلوبين يقول عقيبة الأسدي مخاطباً معاوية بن أبي سفيان (٢)

مَعَاوِي إِنَّنَا بَشْرٌ فَأَسْجَعُ      فَلَسنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ  
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا وَجَرَدْتُمُونَا      فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ  
ذَرَوْا جُورَ الْخَلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا      وَتَأْمِيرَ الْأَرَاذِلِ وَالْعَبِيدِ

يعرض الهجاءون على لوحة الهجاء السياسي مشاهد من ظلم الولاة وانحراف العمال ، ولعل قصيدة الراعي النميري اللامية من أبرز المثل في هذا الهجاء ، إذ قال يخاطب عبد الملك بن مروان (٣)

إِنَّ السَّعَاةَ عَصَوَاكَ يَوْمَ أَمْرَتَهُمْ      وَأَتَوْا دَوَاهِي لَوْ عَلِمْتَ وَغُولَا

(١) سراج الدين محمد: الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ، ص ٢٨

(٢) العقد الفريد ص ٣١٩ / ٥

(٣) جمهرة أشعار العرب . أبو زيد القرشي ٣٥٨ ط . الرحمانية ١٩٢٦

إِنَّ الَّذِينَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعْدِلُوا      لَمْ يَفْعَلُوا مِمَّا أَمَرْتِ فَتِيلاً  
أَخَذُوا الْعِشَارَ مِنَ الْكِرَامِ ظَلَامَةً      مِنَّا وَيُكْتَبُ لِلْأَمِيرِ أَفِيلاً

في ظل هذه الصراعات تألق فن الهجاء وأصبح فناً مستقلاً يحترفه الشعراء الذين اشتركوا في المناظرات الدينية والفكرية .

أبرز ما يميز الهجاء السياسي لهذا العصر قوة الأسلوب وجزالته ووضوح عبارته . وغالباً ما يجيء هذا الهجاء في قصيدة متعددة الأغراض وربما لونتته العصبية القبلية وأشعلت نيرانه، وقد يمتزج بالدين إذا ما أتهم الهجّاعون الولاة والحاكمين بالخروج عن الدين ومبادئه. واتسعت دائرة الهجاء الشخصي الذي ظل يجري في تياره القديم ، فكان طعناً في الأنساب والأعراض، وظل قوياً لاذعاً ، وربما مال إلى الإفحاش في القول مثل تهاجي الثلاثي الكبير : جرير والفرزدق والأخطل كما كانت في أسلوبه نزعة ساخرة مثيرة ترمي إلى تمزيق المهجو وإضحاك الناس منه ، وجرير أبرز شعراء هذه النزعة وهو صاحب القولة المشهورة " إذا هجوت فأضحك " .

اتخذ الهجاء الشخصي لهذا العصر من النقيضة شكلاً تعبيرياً بارزاً ، وكانت العصبية القبلية تضي عليه نزعاتها ومقوماتها " فأساس الهجاء في النقائض كان يقوم على العصبية القبلية " (١) والنقائض الأموية مظهر من مظاهر تطور الهجاء عما كان عليه في الجاهلية على الرغم من وجود النقيضة في العصر الجاهلي ، ولكنها في عصر بني أمية أصبحت هجاء مستمراً دائماً له أوقاته ومواسمه وأماكن معينة يجتمع فيها الناس ليستمعوا إلى شعر النقائض " فالعرب قبل عصر بني أمية لم يعرفوا هجاء منظماً ، وإنما عرفوا هجاء منقطعاً يظهر من حين لآخر، تبعاً لنشوب حروب وأيام بينهم فلما جاء العصر الأموي واستقرت القبائل في مدينتي البصرة والكوفة وعادت العصبية جذعة ، رأينا هذه القبائل تجتمع وتحتشد في المربد وفي الكناسة حول الشعراء ، يستمعون منهم إلى ما ينشدونه في الهجاء وكأنهم وجدوا في ذلك لهواً لهم وتسلية ، حينئذ يتحول فن الهجاء من فن وقتي منقطع إلى فن دائم مستمر يحترفه الشاعر " (٢). وكثيراً ما كان الشاعر يتحول من المهجو إلى قبيلته طاعناً ذاماً كما هو الحال في تهاجي شعراء النقائض الأمويين

(١) العصر الإسلامي شوقي ضيف ص ٢٤٥

(٢) على قاعور: ديوان الفرزدق ، دار الكتب العلمية بيروت \_ لبنان ط ١، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م ص ٣١٠



المعروفين، وهو بهذا امتداد للهجاء الشخصي في العصر الجاهلي. ونموذج آخر دار بين الفرزدق وجريير والأخطل .

قال الفرزدق<sup>(١)</sup>

أنا القطران والشعراء جربي وفي القطران للجربي شفاءً

فرد الأخطل<sup>(٢)</sup>

فإن تَكُ زُقَّ زافلَه فإني أنا الطاعونُ ليس له دواءٌ

فرد جريير<sup>(٣)</sup>

أنا الموت الذي آتي عليكم فليس لها ربٍ مني نجاؤ

جريير يهجو الفرزدق<sup>(٤)</sup>

إنّ الفرزدقَ أخزتهُ مثالبُهُ عبدُ النهارِ وزاني الليلِ دَبَّابُ

**الهجاء في العصر العباسي الأول:**

**حده الزمني والتاريخي :**

امتدت الدولة العباسية أكثر من خمسمائة عام ، بدأ قيامها سنة (١٣٢هـ - ٧٥٠م) ، وانتهى بسقوط بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م، يعتبر الشعر العباسي من أشهر الفنون الأدبية<sup>(٥)</sup> وأكثرها انتشاراً على مر التاريخ الأدبي عند العرب ، وخصوصاً في عصوره الأولى فهو يمثل الصورة التعبيرية ، وقد شاركته بعض الفنون الأدبية الأخرى، وبعد تطور الكتابة وانتشارها واتصال العرب بغيرهم ، دخلت بقية الفنون الأخرى ، المتمثلة في النثر بأشكاله المختلفة ليسهم مع الشعر في تكوين تراث الأدب العربي، وكما يعد الشعر وثيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب وبيئاتهم وثقافتهم وتاريخهم ويلخص ذلك قولهم : الشعر ديوان العرب .

(١) سراج الدين محمد ، الهجاء في الشعر العربي ، دار الراتب ص ٢٩

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

(٣) المرجع السابق ص ٣٠

(٤) المرجع السابق ص ٣١

(٥) د عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه دراسة ونقد ، ط ٨ ، ص ٧٤

تعتبر الدولة العباسية مفخرة من مفاخر التاريخ التي يعتز بها العرب والمسلمون في مشارق الأرض ومغربها منذ أيام الإسلام الأولى ، ولقد برع العلماء العرب والمسلمون في كافة العلوم اللغوية والبلاغية والنقدية والتاريخية والجغرافية (١)

---

(١) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقدسي ص ٩٧

## حده الاجتماعي والفكري والسياسي :

شهد مطلع العصر العباسي تطوراً كبيراً في مظاهر الحياة المختلفة ، إذ كانت الحياة العباسية الجديدة ذات متغيرات سياسية واجتماعية وفكرية واسعة ، أثرت في حياة الناس العامة . وانعكس هذا التأثير على الشعر والشعراء لأنهما جزء من هذا الحياة ، فالشعراء أظلتهم حياة حضرية لينة ظهرت آثارها على صفحة شعرهم ، والشعر العباسي عامة استجاب للمؤثرات الجديدة وتطور بتطورها . وهذا التطور يختلف سعة وعمقاً من فن إلى فن ومن شاعر إلى شاعر<sup>(١)</sup>. والهجاء لشدة ارتباطه بالنفس كان أسرع الأغراض الشعرية استجابة لهذا التطور فقد كثر شعراؤه واتسع نطاقه وتوطدت موضوعاته السياسية والمذهبية والشخصية والاجتماعية فأصاب تحولاً بيناً في الهجاء القديم وخاصة هجاء العصبية إلى حد كبير متغلغلاً في مطاعن خلقية ونفسية<sup>(٢)</sup>، ومن جاء تقسيم العصر العباسي إلى عشرين وهما العصر العباسي الأول والثاني .

### شعراؤه وأعلامه:

شهد العصر العباسي الأول شعر هجاء منبعث عن العصبية القبلية خفت حدته في هذا العصر ، حتى كاد يتلاشى ، إلا بقايا قليلة تمثلت في نقائض ابن قنبر ومسلم بن الوليد ، كما تمثلت في نقائض دعبل وأبي سعد المخزومي ، ومرجع ذلك إلى تطور واسع في الحياة ، وكان أبو نواس يفتخر بمواليه القحطانيين افتخاراً حاداً ، ولكن الدولة كانت له بالمرصاد فقد حبس الرشيد أبا نواس بسبب أحيائه لهذه العصبية ، وعلى هذا النحو لم تعد تحتم العصبية وبالتالي خبت نار النقائض التي كانت مشتعلة في عصر بني أمية. وليس معنى ذلك أن الهجاء انطفأ لهيبه ، بل لقد تعالت نيرانه واضطراباً ، إذ ظل الشعراء يسارعون إليه كلما حجبهم وزير أو والي أو قائد أو قصر في عطائهم ، وقد يهجون بعض الخلفاء ، وهو جانب أوسع من أن يستقصى لكثرة ما قيل من أشعار ، مثل تهاجي حماد عجرد وبشار ، كما تبادل حماد الهجاء مع صديقه مطيع بن إياس ، وكان مبعث تنافسهما على بعض القيان ، ولعل شاعراً لم يُهَجَّفي هذا العصر كما هُجِّي أبان بن عبد الحميد ، مثل تبادل هجاء أبو نواس مع المعذل بن غيلان ، وفيه يقول<sup>(٣)</sup>

(١) فصول في الشعر ونقده. شوقي ضيف ص ٦١

(٢) المرجع السابق ص ٦١

(٣) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف العصر العباسي الأول ط ١٦ ، دار المعارف، ص ٣٦٠

صَحَّتْ أُمُّكَ إِذِ سَمَعَتْكَ بِالْمَهْدِ أَبَانَا  
قَدْ عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ لَمْ تُرِدْ إِلَّا أَتَانَا  
صَيَّرَتْ بَاءً مَكَانَ التَّاءِ وَاللَّهُ عَيَانَا  
قَطَعَ اللَّهُ وَشِيكَا مِنْ مَسْمِيكِ اللِّسَانَا

كان أبو نواس كثير التعايب فأكثر من هجاء زملائه ، و سلقوه بألسنة حداد، وفي مقدمتهم الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وكان كثيراً ما يهجوّه بأنه ليس عربياً وأنه دعيّ في ولائه لبني سعد العشيرة القحطانيين ، مما جعله يرد عليه بمثل قوله (١)

وجدنا الفضل أبعد من رقاشٍ من الأتّن ادّعتُ فيها الفيولُ  
وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأنّ الفضل مولاه الرسول

يشير بذلك إلى قول الرسول : " أنا مولى من لا مولى له " وتهاجى أبي العتاهية وواليه ، وكيف انتصر عليه أبو العتاهية بسلم الخاسر ، فتبادلا الهجاء ، وكان سلم يرميه بأنه كاذب في زهده ويرميه أبو العتاهية بشح نفسه وما يجره ذلك من الذل ، وممن اصطدم به مروان بن أبي حفصة وأبو الشمقمق وشاعر يسمى الجنّيّ وله يقول (٢)

غدا اللُّومُ يبغي مطرَحاً لِرِجَالِهِ فَنَقَّبَ فِي بَرِّ الْبِلَادِ وَفِي الْبَحْرِ  
فلما أتى مروانَ خيمَ عنده وقال رَضِينَا بِالْمَقَامِ إِلَى الْحَشْرِ  
وليسَتْ لِمَرْوَانَ عَلَى الْعَرْسِ غَيْرَةٌ وَلَكِنَّ مَرْوَانَ يَغَارُ عَلَى الْقِدْرِ

كان دعبل كثير الهجاء لكل من يظن أنه ارتفع على مرتبته من الشعراء حتى أستاذة مسلم بن الوليد لم يسلم منه ، وربما كان أهم شاعر حسده أبا تمام ، حتى كان لا يكتفي بهجائه ، بل يدعى عليه أنه سرق من قصائده برمتها من الشعراء السابقين وفيه يقول (٣)

أدعبلُ إن تطاولتِ الليالي عليك فإن شعري سمُّ ساعة  
وما وفد المشيبُ عليك إلا بأخلاق الدناءة والوضاعة  
ووجهك إن رضيت به نديماً فأنت نسيجُ وحدك في الرقاعة  
ولو بُدِّلَتْه وجهاً بوجهه لما صليت يوماً في جماعة

(١) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠

(٢) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠

(٣) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦١

كانت صلوات أبي تمام في كل بيئة ينزل بها سبياً في كثرة من هجوه ، ونموذج آخر لهجّاءين كبيرين هما أبو عيينة المهلبّي وعبد الصمد بن المعذلّ ، وكان لأبي عيينة أخوان شاعران هما عبد الله وداود ، ومن الغريب أنهم جميعاً كانوا هجّائين ، أما عبد الله فقصد ابن طاهر ومدحه ، ثم هجاه هجاء مرّاً ، وأما داود فتعلق بهجاء آل سليمان بن علي والي البصرة ، وقد تولّاهما من أبنائه غير واحد ، وفيهم يقول

قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامهمُ      واستوثقوا من رتاج الباب في الدارِ  
لا يقبسُ الجارُ منهم فضلَ نارهمُ      ولا تكفُّ يدٌ عن حُرمة الجارِ

أبو عيينة أشعر الثلاثة ، ويقول ابن المعتز إنه " أحد المطبوعين الذين لم يُرَ في الجاهلية والإسلام أطبع منهم ، وهم بشار وأبو العتاهية والسيد الحميري وأبو عيينة " .

وقد أستغل موهبته في فنين هما الهجاء والغزل ، وأكثر من هجائه في ابن عمه خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إذ صحبه معه في جنده حين توجه إلى جرجان والياً عليها للمهدي وكان خالد أوسع له في الأمانى وأنه سيغدق عليه ويوليه بعض الولايات ، ولما نزل جرجان جفاه وتنكّر له ، فبسط لسانه فيه وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته . وعبثاً حاول أبو عيينة أن يتخلص منه ومن الجنديّة ، فشكاه إلى الهادي وكان قد ولى الخلافة بعد أبيه ، فأمر له بصلّة وأقفله من جيش خالد ، فعاد وهو يهتف بهجائه ، وأكثر منه كثرة تدل على قوة طبعه وخصبه ، ومن قوله فيه :

لقد خزيتُ قحطان طُراً بخالدٍ      فهل لك فيه يُخزك الله يا مُضَرُ  
دنيء به عن كل خير بلادةً      لكلّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حَسَرُ  
له منظرٌ يُعمى العيونُ سماجةً      وإن يُختَبِرَ يوماً فيا سوءَ مُختَبِرُ  
أبوك لنا غيتُ نعيشُ بوبله      وأنت جرادٌ ليس يبقى ولا يذَرُ  
له أثرٌ في المكرمات يسرنا      وأنت تعفَى دائماً ذلك الأثرُ  
تسيءٌ وتمضي في الإساءة دائباً      فلا أنت تستحي ولا أنت تعتذر

يقال إن الرشيد أنشد البيت الأول ، فقال : بل الخزي موفر على قحطان . وقد عرف كيف يخزه وخز الإبر لا بما صور فيه خزيه الذي عم به عشيرته وأخلاقه السيئة وغباوته ، بل أيضاً بموازنته بينه وبين أبيه جامعاً في البيت الواحد بين المديح والهجاء . بل يكثر في

هجائه من الاستخفاف به والسخرية الشديدة ، مع الإفذاح والغمز واللمز ، ومن طريف ماله فيه قوله : (١)

خالِدٌ لولا أبوه كان والكلبَ سواءَ

لو كما ينقصُ يزدادُ إذن نال السماء

واضح من كل قدمت أنه كان نبعاً غزيراً من ينابيع الشعر العباسي ، ويقول أبو الفرج : " كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً... وكان يقرب البعيد ويحذف الفضول ويقل التكلف " وفي حديث ابن المعتز عنه ما يدل على أنه لحق خلافة المأمون ويظهر أنها لم تظله طويلاً

ونموذج آخر لعبد القيس من البصرة ، وهو من بيت شعر ، كان جده غيلان بن الحكم شاعراً ، ويروى أن محمد بن سليمان العباسي كان يستخدمه في ولايته البصرة على بعض أعشارها ، فظهرت منه خيانة فعزله وأخذ ما خانه فيه ، فقال حماد عجرد يهجو بهذين البيتين اللذين أنشدتهما في غير هذا الموضع :

ظهرَ الأميرُ عليك يا غيلانُ إذ خنته إن الأميرُ مُعانُ

أمع الدِّمامة قد جمعت خيانةً قَبْحَ الدِّميمِ الفاجرِ الخوانُ

كان ابنه المعذل شاعراً مجيداً ، وقد نشب بينه وبين أبان بن عبد الحميد من هجاء كانا يتعابثان به ، ومن طريف ما ينسب إليه من شعر قوله (٢) :

وإني لصَبَّارٌ على ما ينوبني \*\*\* وحسبك أن الله أثني على الصَّبْرِ

أم عبد الصمد أم ولد يقال لها الزرقاء ، وكان له أخ يسمى أحمد كان شاعراً أيضاً ، يقول أبو الفرج : " كان عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة " وفي أشعار عبد الصمد ما يدل على أنه يختلف إلى حلقات الرواة واللغويين إذ يقول :

لن نلبسوا منطقي بمشكة \*\*\* إلا عن الأصمعيِّ أو خلفِ

يريد خلفاً الأحمر . وكان على عكس أخيه أحمد فيه لهو وبحوث وتعابث ، وكان هجاء خبيث اللسان حتى ليصبح الهجاء عنده كأنه غريزة ، فإذا هو يتناول به أخاه ، وكان له جاه

(١) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٢

(٢) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٠

واسع في بلدته وعند حكامه لا يقاربه عبد الصمد فيه فكان يحسده ويهجوّه فيحلم عنه ، وحدث أن قدم على بعض الخلفاء فأكرمه وخلع عليه ووصله بمال كثير ، ورجع البصرة ، فأستقبله جلته استقبالا حافلا ، وكان لا يخف على نفسه أحد أبناء أخيه ، يقال إنه كان فيه تيه وعجب فتولاه كما تولى أباه بأهاجي كثيرة من مثل قوله :

يا ابغض الناس في عسر وميسرة وأقدر الناس في دنيا وفي دين  
لو شاء ربّي لأضحى واهباً لأخي بمُرّاً تُكَلِّكُ أجراً غير مَمْنُونِ  
إن القلوب لتطوى منك بابن أخي إذا رأتك على مثل السكاكين

طبيعي وهذا شأنه في أهله أن يعظم شره على من حوله من الشعراء ، وأن يقود معهم معارك هجاء كثيرة ، وهي معارك كثرت فيها السهام المسمومة ، على نحو ما نجد في أهاجي حمدان بن أبان له ، إذ قذف أمه الزرقاء طويلاً ، وكان كثيراً ما يأتي هو نفسه من هذه الجهة لا يتورّع ، من مثل قوله أبي رهم :

لو جاد بالمال أبوهم كجوده بالأخوتت والأُمِّ  
أضحى وما يُعرَفُ مثلاً له وقيل أسخى العُرب والعُجمِ

اشتبك مع الجمّاز ابن أخت سلم الخاسر ، وكان لا يقل عنه خبثاً في هجائه ولا شراً . هكذا تفنن الشعراء الهجّاءون في طريقة عرضهم وصياغة معانيهم إلى جانب السهولة في الأسلوب والبساطة في التعبير والميل إلى نظم المقطوعات القصار طلباً لسرعة إيلاّم المهجو وسرعة انتشار الهجاء (١)

ونموذج لأبو تمام يقول : (٢)

أفِيّ تنظّم قول الزورِ والفندِ وأنتَ أنزُرُ من لا شيء في العَدَدِ  
أشَرَجْتَ قلبك من بُغْضِي على حُرْقِ كأنها حركاتُ الروح في الجَسَدِ

ما زال أبو تمام يصب سياط هجائه على جيرانه ومن يختلط بهم من القيان اللائي يعرض عنه وأصحابهم من المقينين، وله مرثية كلها هجو في أحد الطفيليين وقد صور فيها نهمه وموته من النهم .

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني . محمد مصطفى هدارة : ط ٤٢١ . دار المعارف ١٩٦٣

(٢) تاريخ الأدب العربي ، د شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٣٦٨

## شكله وسماته:

إنّ شعر العصبية القبلية في العصر العباسي الأول خبت ناره وخبث معه نار النقائص ، وحل محله شعر شعوبي أحياناً ، ولكن الكثير كان هجاء شخصياً يتعرض للأعراض مزيماً بالمهجوين محقراً لهم ومهوناً . وبذلك كان الهجاء الشخصي هو اللون في العصر<sup>(١)</sup> مما يلاحظ أن العصر العباسي الأول شعراءه أكثروا في هجائهم من القول الفاحش المقذع في الأمهات والأخوات وظل ذلك في هذا العصر وظل معه ذكر العورات مما ينبو عن الذوق هو وكل ما يتصل به من بذاءة ، فالشعراء يسارعون إليه كلما حجبهم وزير أو قصر في عطائهم ، وكذلك كلما لقيهم قائد أو والي أو كاتب أو شخص نابيه أو عالم لقاء غير حميد . وكثيراً ما كانت تجرهم المنافسة إلى الدخول في معارك هجاء حامية الوطيس ، وما قيل عن البحري أنه هجا كثيراً ممن مدحهم ، منهم خليفتان هما المنتصر والمستعين ، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القواد ومن جرى مجراهم من جلة الكتاب والعمال وجوه القضاة والكبراء<sup>(٢)</sup> . وكذلك ابن الرومي إكثاره من الهجاء ونفوذه فيه إلى لون من التصوير الهزلي الساخر يكبر فيه عيوب المهجوين الجسدية والمعنوية . ابن الرومي والبحري أكبر شعراء العصر ، وكثيراً ما كانوا يخصون به الوزراء حين يحرمونهم الجائزة ، ولن ينفع الوزير عندهم أن يكون ممدحاً ، بل لعل ذلك أدهى إلى أن يسلط عليه الشاعر سهام هجائه، من

مثل قول دندن في عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل وكاتبه ابن يزيد<sup>(٣)</sup>

وإن ابن يزيدٍ لأحولُ حوُلٌ      ولكنه يقرأ ( إذا الشمس كورتُ )  
فقلْ لعبيد الله أحييتَ دولتي      مكاسير زمني ( عطلت ) فتحيّرتُ  
وأنت إذا ميّزتَ أبلداً منهم      فصوتكم : حيّ المنازل أقفرتُ

مجيبه بالآية القرآنية وكلمة ( عطلت ) الواردتين في سورة التكويد يريد أن يشير بذلك إلى خراب الدولة ، لأن السورة في وصف نهاية العالم وما يكون بعد ذلك من البعث والنشور. وكان الشعراء كثيراً ما يتعرضون لأحمد بن إسرائيل وزير المعتز بالهجاء من

مثل قول محمد بن مكرم<sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، د شوقي ضيف ، ص ٤٢٨

(٢) الموشح للمرزباني ص ٣٣٦

(٣) معجم الشعراء ص ٣٩٦

(٤) معجم الشعراء ص ٣٩٧



إن زماناً أنت مستوزرٌ فيه زمانٌ عسيرٌ أنكدُ  
يذمك الناس جميعاً فما يلقاك منهم أحدٌ يحمدُ

لما انتكست الوزارة في عصر المقتدر وكثرت الرشوة وعم الفساد وعم الظلم معه كما عمت مصادرة الأموال ،توالى على الوزارة اثنا عشر وزيراً ، ومنهم من تولى الوزارة مرتين وثلاثاً ، وكل وزير يصادر الذي قبله ويعمل كل ما في وسعه لينهب أكثر ما يمكن من أموال الدولة ، لما حدث كل هذا الانتكاس لأداة الحكم كثر هجاء الوزراء من مثل قول بعضهم في هجاء الخاقاني الوزير (١)

للدواوين مذ وليت عويلُ ولمال الخراج سقمٌ طويلُ  
يتلقى الخطوبَ حينَ أمتُ منك رأيٌ غثٌ وعقلٌ ضئيلُ  
إن سمنتم من الخيانة والجورِ فلارتفاع جسمٌ نحيلُ

كان الخاقاني معروف بسوء السيرة والتدبير ، أخذ الرشوة ممن يوليهم الأعمال ، ولذلك كثرت في أيامه الولاية ، وكان الدولة أصبحت دولة لصوص وقطاع طرق . ومن هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق ابن البريدي الوزير بأخرة من العصر وفيه يقول أبو الفرج الأصبهاني من قصيدة طويلة : (٢)

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي قد تولى الوزارة ابنُ البريدي  
هدُّ ركنُ الإسلام وانتَهك الملك ومَحَّتْ آثاره فهو مُودي  
فاستهلِّي يا عينُ بالدمع سحاً وقليلٌ أن تَذوفي وتجوذي

إن المنافسة بين الشعراء كثيراً ما تدفع إلى التهاجي ، وممن تعرضوا له بالهجاء كثيراً مروان بن أبي الجنوب شاعر المتوكل ، إذ كانوا ينفسون عليه الجوائز الطائلة التي كان يخصه بها المتوكل ، وحتى من كانت تصلهم منه جوائز مماثلة ، وكأنه تحاسد أهل الحرفة الواحدة ، على نحو ما حدث بينه وبين علي بن الجهم ، وكان أكثر توقراً منه في هجائه ، إذ لم يكن يسف فيه الأعراض ويتهاجى مع أبي نعامة الدقيقي ، ويكويه بمثل قوله في نعت شعره (٣)

(١) العصر العباسي الثاني شوقي ضيف سبق ذكره ص ٤٣٠

(٢) تكلمة تاريخ الطبري الهمداني ص ١١٣

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٩٢

رأينا البردَ مشتدًّا فسألنا عن القصّة

فقالوا مُنشدُّ يُنشدُّ شعرَ ابنِ أبي حفصّة

كان أبو نعامه شيعياً خبيث اللسان ،فقصر شعره هجاء القواد ورؤساء الدولة في أيام المتوكل ورماهم بأشنع القبائل ، وهو هجاء كانت بواعثه سياسية . وكانوا يهجون بالترندق والانحراف عن الدين والإلحاد من مثل قول الجَمَاز في الجاحظ (١)

يا فتى نفسه إلى مِلّة الكُفر تائِقَة

لك في الفضل والتزهد والنسك سابقَة

فدَع الكُفرَ جانباً يا دَعِيماً الزنادقة

هو كذب وبهتان على الجاحظ أحد المحامين عن الإسلام في عصره المدافعين المناضلين، ولكنه الهجاء يصم الناس بوصمات كاذبة افتراء وبهتاناً ، ومن مثل هذا الافتراء والبهتان قول شاعر في محمد بن يزيد المبرد العالم النحوي المشهور (٢)

سألنا عن ثَمالة كلِّ حَيٍّ فقال القائلون وَمَنْ ثَمالة

فقلت محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهمُ جهالة

ثمالة هي عشيرة المبرد ، والبيتان يحملان تحقيراً شديداً وتهويناً بعيداً للمبرد وأنه خامل الذكر ، وكان قد طبق آفاق البلاد العربية شهرة في عصره وقصده الطلاب من كل بلد يحلمون عنه علمه . وبلغ من شيوع الهجاء حينئذ وانتشاره في كل الأوساط أن المرأة شاركت فيه ، وكان لها قديماً مشاركة في رثاء أهلها وندبهم والتفجع عليهم والنواح ، وكذلك كان لها مشاركة في الغزل والتعبير عن عواطف الحب ومشاعره ، حتى إذا كان هذا العصر تضيف إلى هذين الموضوعين مشاركة في الهجاء من مثل قول الخنساء جارية هشام المكفوف في أبي الشبل الشاعر الماجن ، تهوّن من رجولته طاعنةً له في الصميم (٣)

ما ينقصي عجبي ولا فكري من نعجةٍ تكني أبا الشبّل

لما اكتنيت لنا أبا الشبّل ووصفتَ ذا النقصان بالفضل

(١) معجم الشعراء ص ٣٧٥

(٢) ديوان المعاني ١/ ١٧٨

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢٥

كادتُ تميدُ الأرضُ من جَزَعٍ وترى السماءَ تنوبُ كالمُهْلِ

هي تصوره متمرداً على حقيقته ، فهو من النعاج ويزعم أنه من الآساد ، وكأنما الدنيا انقلبت صورها وأوشكت على الزوال ، فالأرض تميد جزعاً ، وكأن يوم القيامة حل مواعده ، فالسما تنوب كالمهل أو الزيت المغلي . ولعل من الخير أن نعرض ثلاثة من كبار الهجائين في العصر هم الصيّمي<sup>(١)</sup> والحمدوني وابن بسّام<sup>(٢)</sup>

، كما يقال عنه أنه كان خبيث اللسان هاجي أكثر شعراء زمانه ، مثل قوله في إبراهيم بن المدبر، وكان قد تولى الولايات الكثيرة وترأس بعض الدواوين ، في سامراء وبغداد<sup>(٣)</sup>

أسلُّ الذي عطفَ المواكبَ بالأعنةَ نحو بابكٍ  
وأذلَّ موقفيَ العزيزَ على وقوفي في رحابكٍ  
وأراك نفسك مالكا ما لم يكن لك في حسابكٍ  
ألا يطيل تجرُّعي غصصَ المنية من حجابكٍ

له خبر طويل مع البحري هجاه فيه وسخر منه ، إذ حدّث الرواة أنه كان من عادة البحري إذا أنشد المتوكل شعره أن يتشادق ويتزوار في مشيه مرة متقدماً ومرة متأخراً ويهز رأسه ومنكبيه ويشير بكمه ويقف عند كل بيت ويقول : أحسنت والله ، ثم يقبل على المتوكل ومن في مجلسه فيقول : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما يحسن أحد أن يقول مثله . وكان المتوكل يضجر من ذلك ، فأقبل على الصيمري والبحري ينشده مدحته فيه :

عن أيِّ ثغرٍ تبتسمُ \*\*\* وبأيِّ طرفٍ تحتكمُ

قال له : أما

فبأيِّ عرضٍ تعنصم وبهتكه جفَّ القلمُ  
ولقد أسلتَ بوالديك من الهجا سئلَ العرمُ  
يا بن الثقيلة والثقل على قلوب ذوي النعم

(١)الصيمري اسمه أبو العنيس محمد بن إسحق ، أصله من الكوفة ، وتولى القضاء ، أنه عالم بالنجوم قدم سامراء في عصر المتوكل فقربّه منه ليمتاز به من

الفكاهة والتندير .

(٢)ابن بسّام هو محمد بن نصر ، وعرف بالبسامي ولد سنة ٢٠٣هـ وتوفي سنة ٣٠٣ .

(٣)أخبار الصيمري وأشعاره ، كتاب الأغاني (طبعة الساسي) ١٧٣/١٨ ، والفهرست ص ٢٢٢ وتاريخ بغداد ١/٢٢٨ ، ومروج الذهب ٤/٩ ومعجم الأدباء ١٧/٨ ،

والنجم الزاهرة ٣/٧٣ ، والوافي بالوفيات ١٩١/٢ .

تسمع ما يقول؟ فقال له الصيمري: بلى فمرني فيه بما أحببت، فقال: اهجه على هذا الرّوي ، فحضرتة على البديهة قصيدة هجاء طويلة من نفس الوزن والقافية ، فيها يقول (١)، مضى يفحش في القصيدة ويقذع فيها إقداماً قبيحاً ، ولا ريب في أن نظمه قصيدة طويلة بهذا النمط على البديهة يدل على شاعرية قوية . وظل خفيفاً على قلوب الخلفاء ، يسلكونه في ندمائهم حتى عصر المعتمد ، أو بعبارة أخرى حتى توفي في عصر هذا الخليفة لسنة ٢٧٥ . وله هجاء في طباخه المسمى صالحاً : (٢)

يا طيبَ أيامي بمعشوقٍ ونحن في بُعدٍ من السُّوقِ  
إذا طلبت الخبز من فارسٍ ينفخ لي صالحُ بالبوقِ

له بجانب أهاجيه مدائح لبعض الوزراء ورؤساء الدواوين ، ومما احتفظت له المصادر به قطعة في مديح الحسن بن مخلد وزير المعتمد حين كان يتولى ديوان الضياع للمتوكل. ونموذج آخر لإسماعيل بن إبراهيم الحمدوني (٣)

لبس السيفَ سعيدٌ بعد ما \*\*\* عاش ذا طمّرين لا نوبةَ له  
إن لله لآياتٍ وذا آيةٌ \*\*\* لله فينا منزلةٌ

فقد جرده من كل استحقاق للوظيفة وزيّها والسيف الذي كان يتقلده من يشغلها لعصره ، فهو خلو من كل كفاءة ، حتى ليعد تعيينه فيها معجزة لا يعلم سرها إلا الله. وكان سعيد ممن أتقنوا فن الكتابة لعصره ، ومن هجائه اللاذع قوله في بغيض (٤)

سألتك بالله إلا صدقتَ وعلمي بأنك لا تصدقُ  
أتبغض نفسك من بُغضها وإلا فأنت إذن أحمقُ

فهو خليق بأن يشترك مع مبغضيه في بغض نفسه ، وكأنما أصبح تمثالا للبغض الكريه ، لا عند الناس فحسب، بل أهم من ذلك عند نفسه. ويا ويل من كان يسلط عليه سهام هجائه. يتطور الهجاء في العصر العباسي ليصبح صوراً كاريكاتيرية على يد ابن الرومي خاصة، وعلى يد أبي الطيب المتنبّي في هجاء كافور الإخشيدي. كما يظهر من خلال تيار

(١) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٤٣٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٤

(٣) أخبار الحمدوني وأشعاره طبقات لابن المعتز ص ٣٧١ وفوات الوفيات ٢٤/١، والأغاني ١٢/١١ وترجمة أخيه أحمد في معجم الأدباء ٢١٧/٢ وتاريخ الطبري ٩/٢٦٤ والعقد الفريد (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة) ٢٩٨/٢ و ٢٤/٣، و ٣٤٣/٥ و ٢٨٧/٧ وديوان المعاني ٢٨٧/١ وزهر الآداب ٢٣٣ وما بعدها .

(٤) العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٤٣٦

الشعوبية نوعٌ من الهجاء للجنس العربي، اختلف بين الوضوح والخفاء، وبخاصة لدى أمثال بشار وأبي نواس، كما شاعت معارك الهجاء بين أفراد من شعراء العصر العباسي، كتلك التي كانت بين حماد عجرد وبشار بن بُرد، وتناولالطرفان أبشع المثالب الحسية والمعنوية. وكما وضح تيار الشعوبية في أهاجي هذاالعصر، فلقد وضحت الزندقة أيضاً في الهجاء، فكانت من التهم التي يوصم المهجورٌ بهافي أشعار الهجاء، كما كان يفعل حماد عجرد في اتهام بشار بالزندقة،اختلف الهجاء عما كان عليه مع التغيير الذي طرأ على البيئة والحضارة ، ونشب نزاع بين القديم والجديد ، بين العربي والشعوبي وبين المذاهب المختلفة ، وأصبح الهجاء يتصل بكل النزعات السياسية والاجتماعية بالإضافة للأمور التقليدية ، ونشأت اتجاهات جديدة في الهجاء ، كالاتهام بالخنث وهجاء المغنين والمدن والعرب والعجم ورجال الدين والهجاء الذي ينتقد المجتمع بأسلوب فلسفي .

### الهجاء في العصر العباسي الثاني:

أصبح الهجاء في هذا العصر هجاء عقيدة يعتمد على الفكر ويتأثر بالحضارة والتيارات المختلفة التي تعددت ،من أشهر الشعراء في العصر العباسي أبو نواس والبحتري وأبوتمام وابن الرومي كما اشتهر لاحقاً كل من أبي الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري وأبو فراس الحمداني وغيرهم

### شكله وسماته :

اقتصر هجاء هذا العصر على مقطعات قصيرة لا تتجاوز البيتين أحياناً ، ربما لأن الشاعر كان يريد بذلك سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس ، كذلك مال الهجاء إلى المعاني الشعبية كي يكفل الشاعر انتشاراً لأبياته نماذج ذلك كثيرة نأخذ منها علي سبيل

المثال مثل ما قاله نصر بن سيار فهجاء المرجئة : (١)

فأمنحُ جهادك من لم يرجُ آخرة      وكنْ عدواً لقومٍ لا يصلُّوناً  
واقتلْ موالِيهم منا وناصرهم      حيناً تكفرهم والعَنهم حيناً  
والعائبين علينا ديننا وهم      شرَّ العبادِ إذا خابرتهم ديناً  
والقائلين سبيل الله بغيتنا      لبعد ما نُكبوا عما يقولونا

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين بن محمد دار الرتب ص ٧٥

وما قاله أبو العتاهية فهجاء الملوك عامة<sup>(١)</sup>

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثَمَا حَلُّوا      فَلَإِ يَكُنْ لَكَ فِي أَكْنَافِهِمْ ظِلُّ  
مَاذَا تُرَجِّي بِقَوْمٍ إِنْ هُمْ غَضِبُوا      جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا

---

(١) الهجاء في الشعر العربي لسراج الدين بن محمد دار الرتب ص ٧٦

و المتنبئ فهجاء الناس كافة: (١)

إذا ما الناسُ جرَّبهم لبيبُ  
فإني قد أكلتهم وذاقا  
فلم أروُدَّهم إلا خداعاً  
ولم أر دينهم إلا نفاقا

و خلاصة القول فقد انعطف الهجاء في مساره عما كان عليه فيالعصر الأموي، فخفت فيه نزعة وتحقير الخصم بسبب وضاعة أصله ونسبه، أو خمول مكانة أبيه وجده، أو ضالة شأن عشيرته وقبيلته. إذ لم تعد للأنساب تلك الأهمية البالغة التي كانت لها في سالف العهد، بعد همود حدة العصبية القبلية وانصهار أكثر القبائل في بوتقة المجتمع المتحضر الحديث. فتركز الهجاء أو كاد، في إبراز المعايب الشخصية اللاصقة بذات المهجو وما تنطوي عليه نفسه من مثالب. وهذا المنحى أدخل في رحاب التصوير والفن، وأبعد عن مجال القذف والشتم فكثيراً ما كانت المهاجاة تستعر بين الشعراء أنفسهم فيكثر في قصائدهم ذكر المثالب والمعايب، وقد يتجاوزون الحدود إلى التحقير والتسفيه. وقد عرف بذلك بشار بن برد وأبو نواس وأبوعيينة المهلبي وابن الرومي ودعبل الخزاعي وعبدالصمد بن المعذل، حتى إن الأمر بلغ ببعضهم حد التعرض للخلفاء أنفسهم، شأن الشاعر الهجاء دعبل الذي لم يتورع عن هجاء الرشيد والمأمون والمعتصم والوائق. وقد قرن الخليفتين الأخيرين معاً في قوله :

خليفة مات لم يحزن له أحد \*\*\* وآخر قام لم يفرح به أحد

هذا ما قاله الشاعر المجيد دعبل الخزاعي عندما مات المعتصم وتولى الواثق الخلافة .. وما أصدقها من نظرة ورؤيا وقراءة لواقع ومعاناة العامة من الناس الذين لا يهمهم من جاء ومن رحل طالما انه لم يؤثر فيهم ولم يحدث تغييرا يذكر لصالحهم .. كل ما في الأمر أنهم يأتون للحكم يتمتعون ويتزوجون النساء ويثرون ويعبث قدرات الناس ويفسدون وينتشون طربا وخمرا ومجالس رقص ويموتون غير مأسوف عليهم .. ولذلك فهو عند إذاعة نبا موت الخليفة على الملأ وتتصيب الواثق قال : الحمد للهلا صبر ولا جلد ... ولا عزاء إذا أهل البلاء رقدوا.

(١) المرجع السابق ص ٧٧

# الفصل الثاني

الهجاء عند البحثري



## الفصل الثاني

### الهجاء عند البحري

اسمه ونسبه :

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله طائي الأب ، شيباني الأم ، غلب عليه لقب البحري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتري، عربي أصيلولد بمبنج سنة ٢٠٤ بين (حلب والفرات) ونشأ في البادية بين قبائل طي وغيرها فغلبت عليه فصاحة العرب ثم خرج إلى بغداد فلقي أبا تمام ولزمه حتى تخرج عليه واقتبس طريقته في البديع .وروي عن كثير من العلماء كأبي العباس المبرد وظل صنيعة لأبي تمام يردد صداه ويت رسم خطاه وأصبح البحري بعد وفاة أبي تمام سائر الشعر طائر الذكر إماما في الأدب.<sup>(١)</sup>

ترك البحري بغداد سنة ٢٧٩ هـ وفضل العيش في منبج إلى أن وافته المنية إثر سكتة قلبية سنة ٢٨٦، بعد أن عمر ثمانين سنة، كان البحري على أدبه وفضله ورقته من أوسخ خلق الله ثوباً وأبخلهم على نفسه وغيره. وكذلك من أبغض الناس إنشادا يتمايل ويتزاور في مشيته جانبا ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه مرة أخرى ، ويشير بكفه عند كل بيت ويقول: أحسنت والله ! ثم يقبل على رأس المستعين قائلا : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ وهذا ما يقول يحسن أحد أن يقول مثله.

ديوانه وسمات شعره :

ترسم البحري خطو أبي تمام في الشعر ومضى على أثره في البديع ، إلا أنه أجاد في سبك اللفظ على المعنى " وأراد أن يشعر فغنى " كما قال فيه ابن الأثير واستمد معانيه من وحي الخيال وجمال الطبيعة لا من قضايا العلم والمنطق ؛ فأعاد للشعر ما ذهب من بهجته وروعته، إلى ذلك أشار المتنبّي بقوله : " أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحري " ثم صارت له طريقة خاصة في الجزالة والعدوية والفصاحة امتاز به من أستاذه ومدرّبه ، نهجها معاصروه ، وقد تحدث أبو عبادة في فنون الشعر ولكن الهجاء في ديوانه قليل. يقال إنه أحرق هذا النوع قبل موته وهو الأرجح ولم يسلم شعره من الساقط الغث لكثرتة ،

(١) د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ، ط ١٦ تاريخها ٢٠٠٤م ، ص ٢٧٠

وإنما يمتاز بالإجادة في المدح والقصد فيه، والقدرة على تصوير أخلاق الممدوح، والإبداع في وصف القصور الفخمة والأبنية العجيبة، كوصف إيوان كسرى وبركة المتوكل، وقصر المعتز بالله<sup>(١)</sup> وقصائده تكاد لا تخلو من افتتاح بالغزل وقد جمع شعره أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف وله غيره كتاب معاني الشعر وحماسة البحتري. وهي حماسة أبي تمام، إلا أنها تمتاز بكثرة أبوابها وخلوها مما تنبو الأسماع عنه؛ وطبعت في بيروت.

أما ديوانه فلا يختلف من حيث مواضيعه عن أكثر الدواوين الشعرية في زمانه قد صرف أدبه في التزلف إلى رجال الدولة العباسية لذلك كان جل شعره في المديح وليس البحتري من المشهورين في الرثاء .

اتصل البحتري بكبار الخلفاء العباسيين ورؤساء القوم فبلغ منزلة عالية ولم يكن مسرفاً وقال ابن رشيق: "وكان البحتري ملياً فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيدوفى شعره ما يشير إلى انه كان ذا عقار واسع والظاهر أن بعضهم اعتدى عليها واغتصب غلتها. في أيامه كانت الخلافة العباسية في حالة ضعف، ومن الظواهر التاريخية الأعجمية في الدولة على العنصر العربي ينوه بفضل الموالي كما قال البحتري من قصيدة للمعتز<sup>(٢)</sup>:

يا من له أول العلياً وآخرها	ومن يجود يديه يضرب المثل
أما الموالي فجدد الله حملهم	إن ينصروك فقد قاموا بما احتملوا
بقاؤهم عصمة الدنيا وعزهم	ستر على بيضة الإسلام منسدل

عُرف عن البحتري في شعره أنه أكثر شعراء عصره مولعاً بالخمير والأبيات التالية التي كتبها إلى المبرد يدعو هذه الأبيات<sup>(٣)</sup>.

يَوْمُ سَبَبْتٍ وَعِنْدَنَا مَا كَفَى الْحُرُرَ	طَعَامٌ وَالْوَرْدُ مَنَنَا
وَلَنَا مَجْلِسٌ عَلَى النَّهْرِ فَيَّاحٌ	فَسِيحٌ تَرْتَاخُ فِيهِ
وَدَوَامُ الْمُدَامِ يُدْنِيكَ مَمَّنْ كُنْتَ	تَهْوَى وَإِنْ جَفَاكَ
فَأَتَيْتَا يَا مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدٍ فِي	اسْتِتَارِ كِي لَا يِيْرَاكَ الرَّقِيبُ
نَطْرَدُ الْهَمَّ بِاصْطَبَاحِ ثَلَاثِ	مَتْرَعَاتٍ تَتْفِي بِهِنَ الْكُرُوبِ

(١) أحمد حسن الزيات تأريخ الأدب العربي ، ص ٢١٥

(٢) أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص ٢٤١

(٣) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ١ ،

أجمع نقاد الشعر القدماء على وصف البحترى بسلاسة العبارة وحسن الديباجة وله نماذج لآراء بعض كبار الأقدمين فيه قال الثعالبي : " يضرب به المثل لان الإجماع واقع علي انه في الشعر فاق المحدثين والمولدين ، وان كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة ويقال إن شعره كتابه معقود بالقوافيوقال ابن رشيق : "وأما البحترى املح ضعة (من أبي تمام) وأحسن مذهبا في الكلام يسلك فيه دمائه الخلق وسهولته مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة والمشقة ."

قال ابن الأثير طفان مكانه من الشعراء لا يجهل وشعره هو السهل الممتع الذي تراه كالشمس قريبا ضوءها بعيدا مكانها ، وكالقناة لنا مسها خشنا سنانها.

من أقوال الأمدى من الموازنة "البحترى إعرابي الشعر مطبع على مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام".<sup>(١)</sup>

والذي يدرس ديوانه يجد فيه عذوبة الألفاظ وحسن العبارة وسلاسة الكلام وقلة التعقيد فهو لا يقل عن كبار الشعراء في العصر العباسي مثل أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم والأحنف واضربهم ممن إطاعتهم الألفاظ وسلست لهم المعاني والذي نرجحه في البحترى لم يوصف بما ذكرناه إلا لمقابله بالشاعرين الكبيرين أبي تمام والمتنبى ذلك لما في شعره إليهما من السهولة والدمائة فبينما هما يفوقانه في الغوص في عمق المعاني وسداد الحكمة فهو يتميز عليهما في صوغ الألفاظ وطلاوة السبك ، وإذا لم تجد في شعره ذلك الإغراب الذي في شعر أبي تمام أو تلك الفخامة التي عرف بها المتنبى ، تجد فيه رشاقة وصف ودمائة أسلوب لا تجدهما في شعرهما.

### الهجاء وأغراض شعره:

الذي ينظر في شعره يجده يشمل الأغراض جميعها تقريبا ، ونأخذ منها أمثلته الدالة على الهجاء في ديوانه كثيرة منها على سبيل المثال قوله في الخثعمي الشاعر: <sup>(٢)</sup>

الآنَ عَلِمْتُ أَنَّ البعثَ حَقٌّ وَأَنَّ اللهَ يَفْعَلُ ما يَشَاءُ  
رَأَيْتُ الخثعميَّ يُقِلُّ أنفًا يَضيقُ بَعرضِهِ البَلَدُ الفَصَاءُ

<sup>(١)</sup> أنيس المقدسي أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، ص ٢٤٣

<sup>(٢)</sup> د. محمد التونجي ديوان البحترى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج

سَمَا صُعْدًا فَقَصَّرَ كُلَّ سَامٍ لَهَيْبَتِهِ وَغَضَّ بِهِ الْهَوَاءُ  
هُوَ الْجِبَلُ الَّذِي لَوْلَا ذُرَاهُ إِذَا وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ

الأبيات تصف الخثعمي رسم في صورة تقلال من شأنه وأنه إذا ارتفع إلى أعلى عليين فلم يبلغ وضع رفيعاً حتى ضاق به الفضاء (١)

قال في هجاء أبا خالد مر بن علي بن مر الطائي (١)

إِسَاءَةٌ دَهْرٍ بَرَّحَتْ بِي نَوَائِبُهُ وَخَطْبُ زَمَانٍ بِالْمَلَامِ أَخْطَبُهُ  
عَفَاءٌ عَلَى وَادِي نَرِيْزٍ فَإِنَّهُ تَسِيلُ بغيرِ الْمَكْرُمَاتِ مَذَانِبُهُ  
دُفِعْنَا وَبُرْدُ الشَّمْسِ أَصْفَرُ فَاقَعْ إِلَى جِذْمِ بَابٍ مَا يُيَخِلُ حَاجِبُهُ  
وَمَا كَانَ مُرٌّ بِالْجَوْدِ فَيَبْتَغِي قِرَاهُ وَلَا بِالْغَمْرِ تُرْجَى مَوَاهِبُهُ  
مَطِيَّةٌ أَعْيَارٌ كَأَنَّ لِغَيْرِهِ إِذَا حَمَلَ الْفَحْلَ التَّقِيلَ مَنَاقِبُهُ  
أَبَا خَالِدٍ لَا يُجْزِكَ اللَّهُ صَالِحاً فَمَا كُنْتَ إِلَّا التَّيْسَ أَخْفَقَ حَالِبُهُ

هذه الأبيات تجمع بين الهجاء والمدح له ولأهله ، وصفه في هذه الأبيات بأنه كريم الخلق ، يقدم له الاحترام ، ثم عاد يهجوه بعبارات قبيحة مثل نبات الحنظل الذي يمتد على الأرض ، وأنه مر وعرض به وكناه بالكلب .

هجا كاتب لابن حميد اسمه أبو غانم : (٢)

أَبَا غَانِمٍ فِيمَ احْتِشَامِكَ عِنْدَنَا وَكَيْتَمَانِكَ الدَّاءِ الَّذِي أَنْتَ صَاحِبُهُ  
فَلَسْتَ مَلُومًا أَنْ تُتَاكَ لِلذَّةِ يُنَاكَ لَهَا قَاضِي الْقُضَاةِ وَكَاتِبُهُ  
يَكَادُ اضْطِرَابُ الشُّوقِ أَنْ يَسْتَهْفَهُ إِذَا مَرَّ مُخْتَالًا سَلَامَةً حَاجِبُهُ  
لَهُ هَيْبَةٌ فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ تَتَّقَى وَقَدِ بَاتَ مُلَقًى وَالْأَيُّورُ تُلَاعِبُهُ  
إِذَا غُلْفَةُ الْفَرَّاشِ شَكَّتْ عِجَانَهُ بَكَيْنًا لَذُلِّ الدِّينِ وَالْكَفْرِ رَاكِبُهُ

(١) اسمه أحمد بن محمد أبو العباس الخثعمي وهو أحد الشعراء الذين هجاهم البحري

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٢

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٦

بدأ أبو غانم يتظاهر بالاحتشام ويخفي عيوبه . نجد له أهاج كثيرة في ابن حميد في مواضع مختلفة .

نجد البحري في بعض الأبيات يمازج بين المدح والهجاء مثل مدح المعتر هجاء المستعين إذ يقول فيها<sup>(٤)</sup>

إذا أحببته أمسوا عشيّاً أعدوا واستعدّوا للبور  
إذا أهوى لمرقده بليلٍ فيا خزي البراذع والسّراري  
ويا بؤس الضجيع وقد تطلي بخطي جامدٍ معه وجار  
وما كانت ثياب الملك تحشي جزيرة بائلٍ فيهنّ خار  
يعبّ فينفذ الصهباء جلف قريب العهد بالدبس المدار  
رددناه برمته ذليلاً وقد عم البرية بالدمار  
وكان أضرّ فيهم من سهيلٍ إذا أوبا وأشأم من قدار  
تفانى الناس حتى قلت عادوا إلى حرب البسوس أو الفجار  
فلولا الله والمعتز بنا كما بادت جديس من وبار  
تدارك عصبة منا حيارى على جرف من الحدّان هار  
تلافاهم بطولٍ منه جمّ وعفوٍ شاملٍ بعد اقتدار

إذ يصور المستعين في صورة ساخرة لما يحدثه من أصوات عند نومه مثل الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة ويقصد غطاء نوم المستعين ، والجانب الثاني مدح المعتر أستطاع بمقدرته العميمة أن يحيطهم بعنايته ويعفو عنهم

قال في هجاء كاتب لإسماعيل بن بلبل<sup>(١)</sup>

كأن تشكّي السّفَر الحيارى عويلُ ضرائرٍ باتت غيارى  
نعيرُ القفصَ و البرأيتُ شوقاً نضنُّ به على بني وبارى  
نرجي أن يتاح لنا مسيرٌ كما نرجو المفاداة الأسارى

(٤) المصدر نفسه ص ٥٣٣

(١) د : محمد التونجي : ديوان البحري ، ، ج ١ ، ص ٤٦١ .

يعادل شكوى الراحلين القلقين بكاء الضرائر غيراً ،فذكر لنا مجموعة من القرى العراقية قريبة من بغداد ويتمنى أن تتهياً له فرصة السير ،مثل تمنى الأسرى لشمس الحرية . هجاه في أكثر من قصيدة مختلفة .

قال في هجاء العلاء بن صاعد : (١)

للعلاء بن صاعدٍ في مَدْحٍ      وثناءً مُجاوِزُ المقْدَارِ  
بازلٍ بشرهُ ضنينٌ بما يحويه      من درهمٍ ومن دينارِ  
زُرْتُهُ مكرهاً عليه وما كنتُ      لمثلِ العلاءِ بالزَّوَارِ  
فَحصَلنا على ثناءٍ ومَدْحٍ      وأنصِرافٍ بالليلِ في الطَّيَّارِ

ذكر الصولي أنها للمبرد لقد اهتم العلاء بن صاعد في مديحي وثنائي ثناء فوق ما هو فيه يبذل ترحابه له بينما يبخل عليه بالدرهم والدينار ، زرته غصباً عنه ولست مما يزور العلاء ، ولم نحصل منه بعد طول عناء إلا بمدح ، ورحيل بالسفن السريعة الجري .

قال في هجاء يعقوب بن الفرغ الجهبذ بقلب : (٢)

تَظُنُّ شُجُونِي لَمْ تَعْتَلِجْ      وقد خَلَجَ البَيْنُ مَنْ قَدِ خَلَجَ ؟  
أشارتُ بعَيْنينِ مَكْحُولَتَيْنِ      من السَّحْرِ إِذْ ودَّعتُ والدَّعَجَ  
عِناقَ وداعٍ أَجالَ اعْتِراضَ      دَمْعِي في دَمْعِها فامْتَزَجَ

يصف جمال هذه الفتاة بأنها واسعة العينين مع شدة سوادها وهي دعجاء ذات دلالة يفتتن بها كل من يشاهدها .

### صور من تنوع شعر البحتري في الهجاء :

هجا البحتري سليمان بن عبدالرحمن (٣) :

على مِثْلِ رأسِكَ زالَ السَّـرُورُ      ومالَ الزمانُ بنا وأنقلبُ

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٦٦

(٣) د. محمد التونجي: ديوان البحتري ، يعقوب بن الفرغ نصراني في حلب ، يتميز بتعريف الجيد من

الرديء ، والجهبذ كلمة فارسية ،

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٥

وَإِذَا نَحْنُ شِئْنَا رَأَيْنَا الْمَلَاءَ      بِأَعْيُنِنَا وَسَمِعْنَا الْعَجَبُ  
 نَحَائِرُ آبَائِكَ الْأَوْلِيَيْنَ      أَتَوَيْتَهَا فِي مَهْوَرِ اللَّعْبِ  
 وَسَلَّمْتَ سُلْطَانَهُمْ حِينَ صَارَ      إِلَيْكَ بِمُقْتَلَعَاتِ الْكُتُبِ  
 فَلِمَ لَا تُعْمَنَ الْأَجْوَدِينَ      وَمُلْكُ خُرَّاسَانَ مِمَّا تَهَبُ؟

ويقول في الأبيات أنه انقلب الزمان وزالت المسرات بوجودك ، إذا أردنا مقابلة البلاء  
 أمكننا ذلك ، بأن ننظر إليك ، ونسمع عنك ما يزيد عجبنا ، لقد أفنيت ما أذخره آباؤك في  
 لهوك، لماذا لا تكون وأنت غني تستطيع إهداء خراسان ؟

وهجا وهب<sup>(١)</sup> بن سليمان علي ضراطه<sup>(٢)</sup>

تَعَالَى اللَّهُ يَجْزِي كُلَّ أَمْرٍ      وَإِنْ كَرِهَ الْعِبَادُ بِمَا أَحْيَا  
 بَرَا سُوقًا وَأَمْلَاكَ عَلَيْهِمْ      وَقَدَّرَ مِنْهُمْ عِبْدًا وَرَبًّا  
 وَفَضَّلَ فِي الْكِتَابَةِ آلَ وَهْبٍ      وَقَدَّمَ بَيْنَهُمْ بِالضَّرْطِ وَهْبَا  
 أَكَبَّ عَلَى الْوَزِيرِ يُرِيدُ قَوْلًا      فَأَرْسَلَ ضَرْطَةً لِمَا أَكَبَّا  
 فَيَا لِكَ ضَرْطَةً حَلَّتْ مَكَانًا      وَسَارَ حَدِيثُهَا شَرْقًا وَغَرْبَا

انحنى على الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان يريد أن يقول له شيئاً فأفلتت ريحه بصوت  
 مسموع .

هجا فيلا<sup>(٣)</sup>

تَعَجَّبَ أَهْلُ مَكَّةَ إِذْ رَأَوْنَا      وَحَقَّ لَهُمْ؛ رَأَوْا أَمْرًا عُجَابَا  
 رَأَوْا فَيْلًا يُعَادِلُهُ ذُبَابٌ      وَكَيْفَ يُعَادِلُ الْفَيْلُ الذُّبَابَا؟

فيل هذا ضخم الجثة ولكنه في الرزانة كالذبابة ، ولا يستوي الفيل والذبابة يقصد الشاعر  
 بالهزاء هنا السخرية والانحطاط من قدره .

هجا قبيلة بني ثوابة وقبيلة بني عبد الأعلى الاسكافيين<sup>(١)</sup>

(١) وهب بن سليمان صاحب بريد الخليفة .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٩

(٣) هجا رجل اسمه فيل ، د. محمد التونجي ديوان البحترى ، ج ١ ، ص ٤٨

قِصَّةُ النَّلِّ فَاسْمَعُوهَا عَجَابَهُ  
 ادَّعَى التَّلَّ فِرْقَتَانِ تَلَاخَوْا  
 حَكَمَ الْحَاكِمُ الْجَنَيْدِيُّ فِيهِمْ  
 احْفَرُوا النَّلَّ يَا بَنِي عَبْدِ الْأَعْلَى  
 إِنَّ وَجَدْتُمْ فِيهِ شَيْئًا كَأَبْيَكُمُ  
 أَوْ وَجَدْتُمْ مَحَاجِمًا إِنَّ حَفَرْتُمْ  
 فَبَدَتْ جَوْنَهُ مِنَ الْخَوْصِ فِيهَا  
 خَالِدٌ لَا سَقَى إِلَّا صَدَاهُ  
 إِنَّ فِي مِثْلِهَا تَطُولُ الْخِطَابَةَ  
 آلُ عَبْدِ الْأَعْلَى وَآلُ ثَوَابَةَ  
 بِصَوَابٍ فَلَا عَدِمْنَا صَوَابَهُ  
 وَأَثِيرُوا صُخُورَهُ وَتَرَابَهُ  
 كُنْتُمْ دُونَ غَيْرِكُمْ أَرْبَابَهُ  
 زَالَ شَكُّ الْعِصَابَةِ الْمُرْتَابَةَ  
 آلَةُ الشَّيْخِ وَهُوَ جَدُّ لُبَّابَهُ  
 فَبُنُوهُ اللَّئَامُ شَانُوا الْكِتَابَةَ !

هجا هذه القبيلة في أكثر من مرة بقصائد مختلفة ، وهنا وقعت هذه القصة بين قبيلة بني ثوابة و قبيلة بني عبد الأعلى اللذين تشاتما وحكم بينهما الجنيدي وهو من أعيان منطقة اسكاف الواقعة بين بغداد وواسط .

هجا عبد الرحيم بن أبي قماش<sup>(١)</sup>

عَدِمْتُ مَخَارِيقَ عَبْدِ الرَّحِيمِ  
 وَمَا فِي السَّتَّارَةِ مِنْ حَاجِزٍ  
 أَتَحْجُبُ طَاقَةَ إِبْرِيْسَمِ  
 إِذَا السَّاقِيَاتُ حَمَلْنَ الْكُؤُوسَ  
 فَوَاطِ عَلَى قَدَمِ غَضَّةٍ  
 فَإِنْ سَحَبَ اللَّيْلُ مِنْ ذَيْلِهِ  
 وَمَا لِحُضُورِكَ مِنْ هَيْبَةٍ  
 مَشَاهِدٌ لَمْ يَرْضَاهَا شُلُخٌ  
 فَكَيْفَ يُرْجِيكَ مَنْ قَد رَأَى  
 وَأُبْنَانَةَ فَاقَتْهِ الرَّحْبَةَ  
 إِذَا قَرَعَتْ رُكْبَةً رُكْبَةَ  
 هَوَى الصَّبِّ مِنْهُمْ عَنِ الصَّبَّةِ؟  
 دَوْرًا عَلَى الْقَوْمِ أَوْ نُخْبَةَ  
 وَقَاتِلِ أَنْمَلَةَ رَطْبَةَ  
 رَأَيْتَهُ مُعْقِبَةً عُقُوبَةَ  
 وَلَا لِرَقِيبِكَ مِنْ رِقْبَةَ  
 وَلَا ابْنَ شَعُوبٍ وَلَا كُبَّابَةَ  
 مِكَاسِكَ فِي الْفَلْسِ وَالْحَبَّابَةَ؟

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٩

(٢) د. محمد التونجي، ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ١ ، ص ٥٠ ، المخاريق مفردتها المخراق ما مثل الشيء ، وليس به ويقصد به عصي يلعب بها الصبيان على أنها سيوف.



وَأَكَلَكَ مِنْ قُوتَاهُ لِحُبُّوسٍ      وَلُبْسَكَ مِنْ سَلْبِ الْكَعْبِيَّةِ  
تناولت هذه الأبيات تردد العشاق علي المهجو عبدالرحيم ، ثم ذكر أصحابه بأنهم مشبهين  
بشذوذهم ، وهو يخاطبه ثم ذكر قوته ليست لديه قوة طبيعية ، ولا لبسه حلال . تعدد  
هجائه في مواضع كثيرة بقصائد مختلفة

قال في هجاء عبد الرحيم ابن أبي قماش : (١)

نَبْرٌ عَلَى تَبَاعُدِنَا فَجُفَى      وَنَكْتَبُ فِي الزَّمَانِ فَلَ نُجَابُ  
لَقَدْ عُوْتِبْتُ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو      وَذَاتِ الطَّبْلِ ، لَوْ نَفَعَ الْعِتَابُ  
وَمَا تَدْرِي الْقَوَافِي مَنْ سَعِيدٌ      وَلَا عَمْرٍو فَتُقْصِرُ أَوْ تَهَابُ  
لِحَاكِ اللَّهِ يَا بَنَ أَبِي قُمَاشٍ      وَلَا أَسْقِي مَحَلَّتَكَ السَّحَابُ  
فَكَأَنَّ فِيكَ مِنْ خُلُقِ لَيْمٍ      تُكْرَمُ أَنْ تَعَاطَاهُ الْكِلَابُ  
بِحَسْبِكَ أَنْ عِنْدَكَ كُلَّ عَيْبٍ      عِلْمَنَاهُ فَوَابِكُ مَا تُعَابُ

تكرر هجاء البحري لابن أبي قماش ، بقصائد مختلفة في أكثر من مكان ، فمضمون  
هذه الأبيات تحمل معاني الإخلاص فلا يجد من يبادلون تلك المعاني ، ثم كتب لهم كثيراً فلا  
يجد إجابة ، فدعا عليه و شتمه ، فالعربي يدعو للمرء بالسقيا ، على المرء بعدمها . يكفيك  
أنك متصف بكل عيب معروف ، أسفاً عليك بعيوبك .

قال في هجاء ابن أبي قماش : (٢)

دَهْنَكَ بَعْلَةَ الْحَمَامِ فَوَزٌّ      وَمَالَتْ فِي الطَّرِيقِ إِلَى سَعِيدِ  
أَرَى أَخْبَارَ بَيْتِكَ عَنْكَ تُطْوَى      فَكَيْفَ وَآلَيْتَ أَخْبَارَ الْبَرِيدِ ؟

له فيه هجاء آخر . وكان على البريد ، يقرّعه بأن محبوبته فوز تعللت بأنها ذاهبة إلى  
الحمّام وقصدت آخر اسمه أحمد . ومن عجب أنه مسؤول من البريد ولا يعرف أخبار بيته  
التي انتشرت بين الناس .

(١) المصدر نفسه ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) د. محمد التونسي : ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج

ج ١ ، ص ٤١٩

قال في مُرِّ بنِ عليِّ الطائيِّ (١)

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ ثَلَاثًا وَهُنَّ الْجُوعُ وَالْغُرْبَةُ وَالْعُزْبَةُ  
وَنَحْنُ أَضْيَافُ أَبِي خَالِدٍ نَهَيْمُ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالرَّحْبَةِ  
لَا نَنْفُذُ الْقُوْتَ إِلَى غَيْرِهِ كَأَنَّمَا نَضْمَرُ لِلْحَلْبَةِ

هذه الأبيات توضح لنا ضعف هذا الرجل وهو يشكي إلى ربه حالته بثلاثة أشياء وهي الجوع والغربة والعزبة ، والهجاء هنا بقصد العوز الذي يعيش فيه .

هجا بني ثوابة (٢)

أَلَا لِلَّهِ دَرَكٌ يَا جُلُوتًا      وَمَا أَحْرَزْتَ مِنْ حِظِّ الْكِتَابَةِ  
نَقَلْتِ مِنَ الْمَشَارِطِ وَالْمَوَاسِي      إِلَى الْأَقْلَامِ حَالَ بَنِي ثَوَابَةِ

يسخر من تلك المدينة التي توجد بها قبيلة آل ثوابة ، وكذلك سخر منهم لأنهم كانوا يحترفون الأعمال الوضيعة مثل الحجاماة والحلاقة . والحرفتان يقوم بهما شخص واحد غالباً .

هجا إسماعيل بن شهاب (٣)

لَرَدَدْتُ الْعِتَابَ عَلَيْكَ حَتَّى      سَنِمْتُ ، وَآخِرَ الْوُدِّ الْعِتَابُ  
فَلَمْ أَبْعِدْكَ مِنْ أَدبٍ وَلَكِنْ      شِهَابٌ فِي التَّخْلُفِ مَا شِهَابُ  
وَهَانَ عَلَيْكَ سُخْطِي حِينَ تَغْدُو      بَعْرُضٍ لَيْسَ تَقْتُلُهُ الْكِلَابُ  
وَهَلْ يَشْفِي السَّبَابُ مِنْ ابْنِ لُؤْمٍ      دَنِيءٍ لَيْسَ يُوَلِّمُهُ السَّبَابُ؟  
فَعُمْرَانُ اسْتَهَ جَمٌّ وَلَكِنْ      لَهُ قُدَامَةٌ أَيْرُ خَرَابُ

مللت عتابك وأعلم أن العتاب خاتمة الوداد . وشهاب جد المهجو ، لا يريح الشتم للئيم ، لأن اللئيم لا يزعجه الشتم ، يطعن الشاعر في شرف المهجو في صدر البيت ، وفي ضعفه في عجزه . فالهجاء من أجل أصلحه وتقويمه .

(١) المصدر نفسه ، ص ٥١ ، أبو خالد : كنية مرَّ المهجوِّ

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٤ ، جللتا هي القرية المعروفة التي تقع قرب النهروان ،

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

هجا العباس بن عمرو الغنوي (١)

لَعَمْرُكَ مَا الْعَجَبُ الْعَاجِبُ سِوَى غَنَوِيٍّ لَهُ حَاجِبُ  
وَمَوْتُ الْحُقُوقِ فَلَا يَأْسُ يَرُدُّ غُلَامِي وَلَا رَاغِبُ  
وَلَوْلَا ابْنُ عَمْرٍو وَتَسْوِيفُهُ لَمَّا غَرَّنِي الْأَمَلُ الْكَاذِبُ

من عجب أن يكون لهذه الغنوي حاجب ببابه ! وفي البيت الثالث إشارة إلى أنه يهجوّه لأنه ماظلة بدفع المكافأة .

هجا رجلاً يدعى "شهاب" (٢)

قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُ أَنَّ الشُّهْبَ ثَاقِبَةً فَفَدَّ رَأَيْنَا شَهَابًا وَهُوَ مَثْقُوبُ  
فِي كَفِّهِ الدَّهْرَ أَمْ فِي ظَهْرِهِ قَلَمٌ فَنِصْفُهُ كَاتِبٌ وَالنِّصْفُ مَكْتُوبُ

المعروف أن الشهاب ثاقب بضوئه ، ولكنه مهجوي شهاب مثقوب . فهو على الدهر نصفه قال في هجاء مغني : (٣)

شَاهَدْتُ مَسْعُودَ فِي مَجْلِسٍ فَلَمَّا أَنْتَحَيْنَا لِشُرْبِ الْغَلَسِ  
تَغْنَى وَنَحْنُ عَلَى لَذَّةٍ فَأَرَعَدَ بَعْضٌ وَبَعْضٌ نَعَسُ  
فَقَالَ: اقْتَرِحْ بَعْضًا مَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ: اقْتَرَحْتُ عَلَيْكَ الْخَرَسَ

هجا مغني يدعى مسعود بقبح صوته وأنه أزال السرور من نفوسهم فصرخ البعض في وجهه وبعضهم غفا من صوته وأنه فضل عليه الصمت .

قال في هجاء أسعد الحاجب (٤)

وَأظْلَمْتَ حِينَ لَيْسْتَ السَّوَادَ ظَلَامَ الدُّجَى لَمْ يَسِرْ رَاكِبُهُ  
وَلَمَّا دَنَوْنَا لِدَارِ الْوَزِيرِ وَقَدْ رُفِعَ السُّنْرُ أَوْ جَانِبُهُ  
ظَلَّلْنَا نُرْجَمُ فِيكَ الظُّنُونِ أَحَاجِمُهُ أَنْتَ أَمْ حَاجِبُهُ؟

(١) العباس بن عمرو أصله من الجزيرة الشامية ، وكان من ولاة بني العباس وقوادهم . المصدر نفسه ج

١ ، ص ٨١

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩١

(٣) د. محمد التونجي : ديوان البحتري ، ج ١ ، ص ٩٨

يخاطب بهذه الأبيات أسعد الحاجب ويقول له حين ارتديت لبس السواد صار كالليل الأدهم الذي يعيا السائر فيه ، وحين اقتربنا من منزل الوزير ، وأزيح لنا الستار وقعت في الظن ، هل أنت الحاجب أم الحاجم ؟

قال في هجاء عبيد الله بن عبد الله بن طاهر<sup>(٢)</sup>

لا الدهرُ مُسْتَفْدٌ ولا عَجْبَةٌ تَسومُنَا الخَسْفَ كُلَّهُ نُوبٌ  
نالَ الرِّضَا مادِحٌ ومُمتَدِحٌ فَقُلْ لهذا الأَمِيرِ ما غَضِبُهُ  
مُكْتَرًا يَبْتَغِي تَهْضُمًا بذِي اليمِينِ كاذِبًا لِقُبْه

تعددت الأهاجي بالنسبة لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مواضع مختلفة بقصائد مختلفة ، وظلمهم من جد المهجو عبيد الله ، وهو من أكبر أعوان المأمون ، وكان واليه على خراسان ، كما وصفه بالكذب .

قال في علي بن الجهم<sup>(٣)</sup>

فَأَجَأْتُه طالِبَ ذِي حَاجَةٍ يَنِيكَ مَوْلَاهُ على جانبِ  
فَقَلْتُ: يا شيخُ أَمَا تَسْتَحِي تَنِيكَ مولاكَ بلا حَاجِبِ!  
فقال: هذا رجلٌ قالَ لي : سُبَّ علي بن أبي طالِبِ  
وكلُّ مَنْ سَبَّ إِمَامَ الهُدَى يَظَلُّ يَشْكُو وجَعَ الحالِبِ

علي بن الجهم من شعراء المتوكل ، ولما غضب عليه نفاه إلى خراسان، ثم عاد إلى حلب ومات سنة ٢٤٩هـ ، يلاحظ في هجائه لعلي اس، وعبارات السب لعلي بن طالب .

قال هاجياً<sup>(١)</sup>

حَرَكَ يَدَيْكَ اللَّتَيْنِ خَلْتُهُمَا وَيَحَكَ فِيمَا تُرى مِنَ الخَشَبِ  
أَمَا ترى الناسَ يأخذونَ وَيُعْطُونَ وَيُسْتَمْتَعُونَ بالنَّشَبِ ؟  
وأنتَ مثلُ الحِمَارِ تُجْرَحُ لا تَشْكُو جِراحاتِ السُّنَنِ العَرَبِ

(٢) المصدر نفسه ص ٩٨ ، و عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ولي نيابة بغداد عن الخليفة ، وهو أديب

وشاعر

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ، علي بن الجهم بن بدر شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٧

هذا الهجاء منسوب إليه ، قال له لا أراك تهتز للجود ، ومثلك مثل الحمار لا يتأذى من جروحه ، وأنت لا تحسُّ بهجاء العرب لك .

قال في هجاء علي بن الجهم : (٢)

يا ثَقِيلاً على القلوبِ إذا عَنَنْ  
يا قَذَى في العُيونِ يا غَلَّةً بَيْنَ  
يا طُلُوعَ العَدُوِّ ما بَيْنَ الْإِفِ  
يا رُكُوداً في يَوْمِ غِيْمٍ وصَيفِ  
خَلَّ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيْنَا  
إِمْضِ في صُحْبَةِ اللهِ ما عَشْتِ  
يَتَخَطَّى بِكَ المَهَامِةَ والبيدِ  
خَلْفَكَ النَّائِرُ المَصَمِّمُ بالسَّيفِ  
لها أَيَقْنَنَتْ بطولِ الجهادِ  
التَّرَاقِي حَزَازَةً في الفُؤادِ  
يا غَرِيماً أَتَى على ميعادِ  
يا وُجُوهَ التَّجَارِ يَوْمَ الكَسَادِ  
واوُ عَمَرُو أَوْ كالحديثِ المُعادِ  
مُلَقَّى في كلِّ فَحْجٍ ووادِ  
دَليلُ أَعْمَى كَثِيرُ الرُّقَادِ  
ورِجَالُكَ فَوْقَ شَوْكِ القَتَادِ

.هجاه بصفات لا تليق به أنه ثقيل ، وشبهه بالقذى التي تقع على العين فتؤذيها ، وكذلك شبهه بالعدو الذي يبرز في وجه الصديق ، والخصم الذي جاء في مواعده ليزعجنا . وجهك عبوس كالיום الماطر، أو الصيفي ، أو كوجه التاجر الذي لم يوفق ببيعه .

قال في هجاء الحارثي (١)

يا حارِثِيُّ وما العتابُ بجاذِبِ  
ما إِنْ تَزَالَ تُكَيِّدُهُ منْ جانِبِ  
لكَ عن مُعاندَةِ الصَّدِيقِ العاتبِ  
أبداً وتَسْرِقُ شِعْرَهُ منْ جانِبِ

يعاتب هذا الرجل عن معاندته لصديقه من جانبين ، من جانب الكيد ، ومن جانب سرقة شعره، وأنشد فيه الهجاء من أجل لومه لصديقه وأراد بذلك اصلاحه .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٤٠ ، الشاعر علي بن الجهم بن بدر . قد سبق التعريف به

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٤

قال في هجاء الحارثي : (١)

صَكَكَتَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ وَهَبٍ      أَبَا حَسَنٍ بَدِيحِيٍّ وَأَبَا الْبَرِيدِ  
وَأَلَّ أَبِي الْوَزِيرِ رَغَوْتَ فِيهِمْ      رِغَاءَ الْبَكْرِ فِي وَادِي ثَمُودِ  
وَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ      فَقَدْ أَيَّتَمَّتْ مِنْهُ أَبَا الْوَلِيدِ  
فَشَدَّ اللَّهُ مِنْ بَغْدَادَ رُكْنًا      وَسَلَّمَ مِنْكَ أَوْلَادَ الرَّشِيدِ  
وَكُلُّ مَدِيحَةٍ لَكَ فِي أَنْاسٍ      فَإِنَّ مَصِيرَهَا يَا عَيْنُ جُودِي!  
وَأَيَّةُ نِعْمَةٍ لَمْ تَرَمْ فِيهَا      بِشُؤْمٍ مِنْكَ يَتَلَمُّ فِي الْحَدِيدِ؟

أراك صوتاً وهجت في وجه العدو آل الوزير كما صرخ الفصل عند آل ثمود حين  
عقروا الناقة . قوى الله بغداد ليسلم أبناء هارون الرشيد من شرورك . تعددت صور الهجاء  
في قصائد مختلفة للحارثي .

قال في هجاء الحارثي : (٢)

أَخَذْتُ جَعْفَرَ بِأَسِّ الْقَطَارِ      ثُمَّ نَادَتْ أَنْ ابْدُوا بِي بَرِّ  
فَأَجَابَتْ أُمُّ الْأَمِيرِ وَقَالَتْ:      قَدْ أَتَيْتُ نَاكَ أَوَّلَ الْزُّوَارِ  
وَسَيَّاتِيكَ صَاعِدٌ عَنْ قَلِيلٍ      كُتِبَتْ بِالْهَلَاكِ فِي أُسْكَدَارِ  
يَا أَبَا الْجَعْرِ طُوقَ النَّاسِ شُكْرًا      وَاسْتَحَقَّ الدُّعَاءَ بِالْأَسْحَارِ  
بِأَبِي سَيْفِكَ الَّذِي يَكْشِفُ الشُّكَّ      وَيَجْلُو الْعِشَاءَ عَنِ الْأَبْصَارِ  
أَرْنِيهِ يَقْرِي السَّوَاعِدَ وَالْهَامَ      وَيُسْقِي مِنَ الدِّمَاءِ الْجَوَارِي  
اسْتَفَنِي بَعْضَهَا لَعَلِّي أَشْفِي      بِدَمِ الْحَارِثِيِّ بَعْضَ الْأَوَارِ  
لَا تَهْوَلَنَّكَ السَّوَابِغُ وَالْبَيْضُ      فَمِنْ تَحْتِهَا قُلُوبُ الْعَذَارِي

قال في هجاء أحمد بن صالح وابن ميمون (١)

(١) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ١ ، ص ٣٨١ أبو الحسن الحارثي مهجو البحري في عدة قصائد ، سليمان بن وهب كاتب للمأمون ووزيراً للمهتدي . أبو الحسن كنية المهجو الحارثي . أبو الوزير هو أحمد بن خالد خلف الزييات على الكتابة للمتوكل . أحمد بن أبي دؤاد من أشهر القضاة في العصر العباسي منذ المعتصم حتى الواثق .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٩٧

ضُرَاطُ ابْنِ مَيْمُونٍ صَوْتُ العُرُوبِ وَضَرَطُ ابْنِ صَالِحٍ نَعْقُ الغُرَابِ  
ضُرَاطُ ابْنِ مَيْمُونٍ نَهْقُ الحَمِيرِ وَضَرَطُ ابْنِ صَالِحٍ شَقُّ الثِّيَابِ  
لَنْ دَامَ هَذَا لَوَالِي الخِرَاجِ قَلِيلًا دَعَاؤُنَاهُ وَالِي الخِرَابِ

تنوعت عبارات السخرية والاستهزاء في أحمد بن صالح وابن ميمون ممثلة في صوت العروب ، ونعيق الغراب ، ونهيق الحمير ، وأنه والي الخراب .

قال في هجاء مروان بن أبي حفصة الأصغر<sup>(١)</sup>

وَاسَوْعَاتًا مِنْ رَأْيِكَ العَازِبِ وَعَقْلِكَ المُسْتَهْتِرِ الذَّاهِبِ  
وَمِنْ رَشِيْقٍ وَهُوَ مُسْتَقْدِمٌ يُيْصِقُ فِي شِعْرِ اسْتِكَ الشَّائِبِ  
إِنْ وَقَفْتَ سَوْفَكَ أَوْ أَكْسَدْتَ بِضَاعَةً مِنْ شِعْرِكَ الخَائِبِ  
أَنْحَيْتَ كِي تَنْفَقَهَا زَارِيًا عَلَى عَلِيٍّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبِ

يصفه في هذه الأبيات أن رأيه بعيد عن الصواب وأنه كثرت أباطيله وأنه ملّ من العيب والعتاب. قال في هجاء يعقوب بن السوسي<sup>(٢)</sup>

إِذَا اعْتَلَّتْ دَرَجَاتُ الشَّمْسِ مُصْعِدَةً فِي الحُوتِ أَغْنَتْ غِنَى عَنْ خَزٍّ يَعْقُوبِ  
وَفِي الرَّبِيعِ إِذَا اسْتَمْتَعْتَ مِنْهُ غِنَى عَنْ حَاكَةِ فِي طِرَازِ السُّوسِ وَطَيْبِ  
مَنْعَتِي الخَطَرَ المَنْزُورَ تَبَدَّلُهُ فِي حَالِكٍ مِنْ أَدِيمِ الزَّنَجِ غَرِيبِ

يتحدث عن مكانته مهما اعتلت وارتفعت أنه من بلدة اشتهرت بنسيج الحرير الحياكة ، وأن شرفه منعه تبادل الحرفة معه .

---

(١) د. محمد التونجي : ديوان البحري ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، أحمد بن صالح : وزير من أهل قطربل وأبوه كان والي خراج مصر ، وله فيه عدة قطع وقصائد وابن ميمون هو إبراهيم فارسي الأصل ، ومن أصحاب الغناء والحانات ، والعروب : مطحنة على سفينة ، ووالي الخراج إشارة لأبي أحمد

(٢) د. محمد التونجي : ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ١ ، ص ١٤٩ ، روى في هجاء الحسن بن رجاء . ومروان هذا غير الشاعر مروان بن أبي حفصة المتوفى سنة ١٨٢هـ ، ورشيق : مملوك مشهور باسم رشيق الخادم

(٣) د. محمد التونجي : ديوان البحري ج ١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٧٩ ، يقصد برج الحوت في الفلك . والخز : الحرير . الحاكة : النسيج والحياكة . السوس : بلدة في بلاد فارس اشتهرت بحياكة الحرير . الخطر : الشرف . الحالك : الأسود . الأديم : الأديم : الجلد المدبوغ . الغريب : الأسود المظلم .

قال في هجاء أبي غانم : (١)

أَبَا نَهْشَلٍ لِأَبِي غَانِمٍ خَلَاتِقُ يُوْحِشْنَ مِنْ جَانِبِهِ  
بُغَاءٌ يَعُودُ عَلَى نَفْسِهِ وَشُومٌ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِهِ  
وَمَنْ عَجَبَ الذَّهْرِ أَنَّ الْأَمِيرَ أَصْبَحَ أَكْتَبَ مِنْ كَاتِبِهِ  
يخاطبه الشاعر ويعلمه أنه كاتبه ذو أخلاق سيئة ، وأعجب مافي الأمر أن الأمير صار  
أفضل كتابة من كاتبه .

قال في هجاء المسدود (٢)

قَدِ قُلْتُ لِلْمَسْدُودِ فِي عَانَسٍ شَوْهَاءَ يُضْحِي وَهُوَ صَبُّ بِهَا  
إِنَّ اللَّي سَمِيَّتَهَا خُلَّةً لَيْسَتْ بِأَسْمَاءَ وَلَا تَرِبِهَا  
وَإِنَّمَا أُمُّ بَنِي وَاصِلٍ خَنْزِيرَةٌ سَفْسَفَتْ فِي حُبِّهَا  
يَكْدُرُ صَافِي الرَّاحِ فِي شِدْوِهَا وَتَنْفِرُ الْأَوْتَارُ مِنْ ضَرْبِهَا  
لَمْ تَكُنِ الْعِلْجَةَ مُطْبُوعَةً بَلْ كَانَ مَطْبُوعًا عَلَى قَلْبِهَا  
يسخر من هذا المغني الذي كان مسدود أحد منخريه ، ولم يحظى بالزواج ، وأنه يغني  
كلاماً لا معنى له ، ويبدو لنا من خلال هذه الأبيات أن محبوبة رومية الأصل مطبوعة  
فارعة .

قال في هجاء وهب بن سليمان (٣)

أَلَيْسَ طَبْعاً فِي بَنِي آدَمِ أَنْ يَخْجَلَ الضَّارِطُ مِنْ ضَرْطِيهِ؟  
قَدْ نَالَ وَهَبٌ عِنْدَهَا رِفْعَةً وَزُلْفَةً أزدَادَ فِي سَطْوَتِهِ  
أَرْفُقُ قَلِيلاً إِنَّهَا ضَرْطَةٌ لَمْ تَأْتِ بِالْفَتْحِ عَلَى هَيْئَتِهِ

(١) د. محمد التونجي : ديوان البحري ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، أبو غانم محمد بن إسحاق ، وهو كاتب أبي نهشل ،

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٩٣

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٧



نستشف من هذه الأبيات في وصف هذا الرجل أن يستفيد الشاعر من منزلته ومكانته في تحقيق أغراضه فلا بد من له الرفق بجماعته فجاء الهجاء في صورة نصح وإرشاد فتعددت هذه صور الهجاء بقصائد كثيرة مختلفة لوهب بن سليمان.

قال في هجاء وهب بن سليمان (١)

لا تُمَارِحُ فِي غَيْرِ وَقْتِ مُزَاحٍ      وَاتَّخِذْ أَلَةً لَوَقْتِ الصِّيَاحِ  
لَيْسَ بَعْدَ الضَّرَاطِ يَا وَهْبُ فِينَا      حَرَّبَ النَّاسَ غَيْرُ وَقَعِ السَّلَاحِ

يخاطب وهب بن سليمان بأن للمزاح إناء لا يجوز تخطيها ، وعليك الحد من الصياح إذا وقعت الحرب .

قال في هجاء الجر جرائي (٢)

طالَ في هذه السَّوَادَاتِ لَبْثِي      وَاشْتِكَايَ فِيهَا غَرَامِي وَبَثِّي  
مُعْمِلُ الْفِكْرِ يَقْتُلُ الْجَرْجَرَايَ      أَخْلَايَ بِالْعِرَاقِ وَإِرْثِي  
عَلَّقَ اللَّهُ فَوْقَ خُصْيَيْكَ مَا كَانَ      يُخَالِيكَ مِنْ حُلَاقٍ وَخُنْثِ  
قَدْ تَشْكِي الْإِخْوَانَ سُرْعَةً أَخْذِ      مِنْكَ أَحَدُتَّهَا وَقَلَّةَ لُبْثِ  
أَكْرَهْتَ الْعِتَابَ مِنْ مُسْتَزِيدِ      أَمْ كَرِهْتَ الْعِتَابَ مِنْ مُسْتَحِثِّ؟  
وَحَدِيثٍ عَنِ أَوْلَائِكَ يُقَهِّي      عَنِ سَمَاعِ الْحَدِيثِ يُنْثِي وَيُغْثِي  
مَا ارْتَضَى الْهَرْمُزَانَ شَامِطٍ بَاقِي      أَنْ تُدَعِّي لَهُ وَلَا أَعْمَرَ بَثِّي  
يَغْفِرُ اللَّهُ وَهُوَ لِلْغَفْرِ أَهْلٌ      حَلْفِي أَنْكُمْ بَنُوهُ وَحِنْثِي

يتحدث الشاعر عن مضمون هذه الأبيات عن تلك المنطقة الخصبة الواقعة في جنوبي العراق ، يفضل الموت مع بقاءه هؤلاء الأصدقاء الذين يتصفون بتكسر الصوت والخداع.

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٩

(٢) د. محمد التونجي: ديوان البحري ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، الجرجرائي : المنسوب إلى جرجرايا ؛ بلد بين واسط وبغداد. أوليك : ما كان لك في الأول . يقهني يمنع الشهوة ؛ من الفعل أقهى : دام على شرب القهوة (الخمرة) : قيل سميت بذلك لأن شاربها يقهني عن الطعام ، أي تقل شهوته له . ينثي : يفرق ويذيع . يغثي من الفعل أغثى الوادي : كثر فيه الغناء ؛ وهو البالي من ورق الشجر المخالط زبد السيل . والهرمزان هو حاكم خوزستان ، وكان قائد الفرس في الحرب ضد العرب ، حيث خسر في حربه ، كما وصفه بعدم الوفاء باليمين

قال في هجاء ابن الجرجرائي: (١)

دَعِ الشَّيْءَ لَا تَطْلُبُهُ مِنْ نَحْوِ وَجْهِهِ  
بِظَنِّكَ وَارْجُ الشَّيْءَ مِنْ حَيْثُ لَا يُرْجَى  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرُدُّ عَلَيْكَ اعْتِلَاقَهُ  
مِزْيَةَ نَفْعٍ كَانَتْ تَرْكَانُهُ أَحْجَى  
إِذَا أَنْهَتْ الْأَقْدَارَ أَعْقَابَ حَاجَةٍ  
شَأْنُكَ وَلَوْ أَحْرَقْتَ أَبْدَاءَهَا نَضْجاً  
وَيُكْدِي مِنَ الْحَاجَاتِ أَقْرَبُهَا مَدَى  
عَلَى ظَنِّ بَاغِيهَا وَأَوْضَحُهَا نَهْجاً  
وَمَا جَهَلَ ابْنُ الْجَرْجَرَايِّ وَاجِبِي  
عَلَيْهِ وَلَكِنْ كَانَ الْأَمَّهُمْ عِلْجاً  
وَأَنْقَلُ مَنْ أَهْجُو عَلِيَّ مَغْمَرًّا  
أَظْلُّ بِإِسْفَافِي إِلَى هَجْوِهِ أَهْجَى

كذلك ابن الجرجرائي من الذين هجأهم بقصائد مختلفة ، ينصحه أن يبحث عن الأمر ليس من ناحية رغبته ، بل من حيث لا يرجى تحقيقه ، وإذا الشيء المراد تحقيقه لم ينفع فتركه أولى ، والعلاج من كفار الروم . يعرف ابن الجرجرائي ما يتوجب عليه نحوي ، ولكن يتجاهل في ذلك ، يصعب عليّ هجاء جاهل ، وكأنني وأنا أهجوه أهجو نفسي .

قال في هجاء ابني الحسن بن عبد العزيز ، وهم من أهل مادرايا: (٢)

مَا قَامَ لَكِي لِعَجَلٍ حِينَ زَاخَفَهَا  
وَلَمْ تَقُمْ مَا دَرَايَا بَعْدَ الْكَرَجِ  
لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ لِلشَّلْمَغَانِ إِذْ  
تَبَّتُمْ فِي مَضِيقِ الْمَأْزِقِ اللَّحَجِ  
لَمَّا غَدَا بَكْرٌ بَكْرٍ فِي قَسَاطِلِهِ  
غَدَا بَنُو حَسَنِ فِيهَا بَنِي سَمَجِ  
هَيْهَاتِ غَالِكُمْ لَوْمٌ أَنْتَسَابِكُمْ  
عَنْ أَنْ تُرَوَّا صَبْرًا فِي ذَلِكَ الرَّهَجِ

مجمل هذه الأبيات تكمن في إن خسارتكم تكمن في نسبكم الوضيع ، ولهذا لم تصبروا

في الحرب .

(١) د. محمد التونجي : ديوان البحترى ، ج ١ ، ص ٢١٣ ، المغمر : الجاهل . الإسفاف : تتبع الأمور الدنيئة . لكي وعجل : قبيلتان . مادرايا : قرية فوق واسط . الكرج : بليدة بين همدان ونهاوند ، وزالت الآن . والقسطل : الغبار الثائر في الحرب . يشير إلى نصر بكر وضياع بني الحسن في الحرب . غالكم : أهلككم . صبر : صابرون . والرهج : الفتنة والشغب ،

(٢) ديوان محمد التونجي : ديوان البحترى ، ج ١ ، ص ٢٢٧

قال في هجاء ابن أبي زنبور : (١)

أَرَيْتَنَا مِنْ فَعْلَةٍ فَاضِحَةٍ      أَرَى بِكَ اللَّهُ نَكَالًا فَكَمْ  
عِشْقَكَ لِلْقَيْنَةِ أَجْدَى الْأُسَى      فِي عِشْقِ إِمْرَاتِكَ لِلنَّائِحَةِ  
إِنْ نَكْتَهَا اللَّيْلَةَ فَاَنْظُرْ إِلَى      عَهْدِ بَنَانٍ عِنْدَهَا الْبَارِحَةِ  
قَدْ سَمَطَتْ عَانَتَهَا وَقَدَّةً      مِنْ حَرِّمَاءِ سَهْكِ الرَّائِحَةِ

أذاك الله على ما قمت به من فعل شنيع ، عشقك لهذه المغنية والأمة أجدى للأسى والتعزية لهذه المرأة الناحية كريهة الرائحة .

قال في هجاء سعد الحاجب : (٢)

يَا سَعْدُ إِنَّكَ قَدْ حَجَبْتَ ثَلَاثَةً      كُلُّ عَلَيْهِ مِنْكَ وَشَمٌّ لَائِحُ  
وَأَرَاكَ تَخْدُمُ رَابِعًا لِتُبِيدَهُ      فَارْفُقْ بِهِ فَالشَّيْخُ شَيْخٌ صَالِحُ  
يَا حَاجِبَ الْوَزَرَاءِ إِنَّكَ عِنْدَهُمْ      سَعْدٌ وَلَكِنْ أَنْتَ سَعْدُ الذَّابِحِ

يخاطب سعد بأن الرجل الذي تخدمه رجل طيب إن كل حجة من حجّاتك الثلاث وسمتك بسمة بادية الأذى ، تنبه هذه المرة وكن رقيقاً به ، لقد وصفوه بسعد الذابح لأنه كان يطعم الناس في أيام الشتاء القارسة . فالغرض من الهجاء النصح والإرشاد .

قال في هجاء قوماً من أهل بلده : (٣)

لئن راحَ رَوْحٌ هَارِبًا مِنْ ضُيُوفِهِ      فَمَا الْمَطَرُ الثَّانِي عُمَيْرٌ بِرَائِحِ  
تَشَمَّمْتَ أَسْتَاهَ الْبَغَايَا وَقَحَّمْتَ      بَكَ الْعُلْمَةُ الْحَمَقَاءُ فِي تَلٍّ مَاسِحِ  
حَمَلْتَ إِلَيْهِمْ حِينَ يَمَّمْتَ قَصْدَهُمْ      جَرِيرَةَ أَيْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ فَاضِحِ  
فَلَا نَجَحْتَ تِلْكَ اللَّبْانَةَ إِنَّهَا      تَرُومُ مَرَامًا لِلْعُلَا غَيْرَ نَاجِحِ  
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تُؤَخَّرَ حَاجَتِي      لْخُصْيَيْ عُقَيْبٍ وَالْأُمُورِ الْقَبَائِحِ  
وَلَا أَنْ تَكُونَ أَسْتُ الْمَوْضَعِ فِيكُمْ      بَأَكْثَرِ مِنْ فَخْرِي بِكُمْ وَمَدَائِحِي

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، النكال : ما نكلت به غيرك كائن ما كان .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ، عمل سعد حاجباً لعدد من الوزراء ، وشم علامة وسمة .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٣٦

فسر غير مأسوف عليك فما النوى بريح ولا الخطب الملم بفادح  
يهجو هؤلاء القوم الذين يهربون من ضيوفهم ، مما أدى لوقوف المطر عندهم، كذلك  
حاول الشاعر أن يسد حاجتهم ولكنه لم يستطيع لأن أهدافهم للعلا غير ناجحة لما يتصفون  
به من قبائح الأمور ، وحاول مرة ثانية أن يفخر بهم ويمدحهم ولكنه فشل فسروا غير  
مأسوفين عليكم فما البعد والفرق والمصائب الثقيلة ببعيدة عنكم فوصفهم بالجبين  
قال في الهجاء :<sup>(١)</sup>

رَأَيْتُكَ يَا أُخِيَّ تَطِيلُ هَزِيَّ وَتَحْرِيكِي بِمَنْطِقِكَ الْقَبِيحِ  
وَلَسْتَ بِنَابِتٍ فِيهِمْ فَتَهْجِي وَلَا مَوْلَى لِثَابِتِهِمْ صَرِيحِ  
فَلَا تَخْطُبُ بِمَا تَجْرِي إِلَيْهِ هِجَائِي فَهَوَّ أَغْلَى مِنْ مَدِيحِي

أنك تثيرني وتحضني على هجائك بكلامك القبيح ، فما أنت سيّد حتى أهجوك ، كما أنك  
لست مولى لسيد أصيل ، فلا تسعى إلى هجائي لأنه أغلى من هجائي .  
قال في هجاء أحمد بن رباح :<sup>(٢)</sup>

وَمَا خَفْتُ جَدِّي فِي الصَّدِيقِ يَسْوُوهُ وَلَكِنْ كَثِيرًا مَا يَخَافُ مِزَاحِي  
وَرُبَّ مُبَارٍ لِلرِّيَاحِ بِجُودِهِ مِنَ الْأَجْوَدِينَ الْغُرِّ آلِ رِيَاحِ  
مَتَى بَعْتُ مَخْتَارًا رِضَاهُ بِسُخْطِهِ تَبَدَّلْتُ خُسْرِي كُلَّهُ بِفَلَاحِي  
وَكَمْ عَاتَبَ بِالرِّيِّ يَثْلُمُ عَتْبُهُ مَضَارِبَ سَيْفِي أَوْ يَهِيضُ جِنَاحِي  
وَقَفْتُ لَهُ نَفْسِي عَلَى ذُلِّ مُذْنِبٍ يَكْثُرُ مِنْ زَارٍ عَلَيْهِ وَوَلَاحِ

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٢) المصدر نفسه ج ١ ، ص ٢٤٨ ، أحمد بن رباح قاضي البصرة . وله فيه أهاج أخرى . يتلم : يشق .  
يهيض : ينكسر . الري بلدة في إيران تقع جنوب شرقي طهران . كم مثلت أمامه معترفاً بأخطائي لديه  
قريش البطاح : الساكنون في مكة . الرشدة (بكسر الراء وفتحها) ضد الزننية يقال ولد لرشده ، أي  
شرعي . السرو : الفضل والمروءة . النجو : ما خرج من البطن من غائط أو ريح . النغيل ضد الرشوة  
؛ ولد الزانية . احتشأوه : امتلاؤوه . الحبارى طائر عُرف عنه انه يدافع عن نفسه بسلاحه على من يدنو  
منه . الهيضة : انطلاق البطن والقيء . السّلاح : النجو الرقيق المائع . أقاله من عثرته : أنهضه من  
سقوطه . النصب الداء والبلاء . المأفونة : الضعيفة الرأي . الفقاح : مفردها الفقحة وهي حلقة الدبر

كَأَنَّ الرِّيحَ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ      وَإِنْ لَوُؤُوا أَصْلًا قَرِيشُ بِطَاحِ  
 وَلَمْ أَرَ قَوْمًا لَمْ يَكُونُوا لِرِشْدَةٍ      أَحَقَّ بِسَرْوٍ مِنْهُمْ وَسَمَاحِ  
 مَضَى حَسَنٌ لَا عَهْدَهُ بِمُذَمَّمٍ      لَدَيْنَا وَلَا أَفْعَالُهُ بِقَبِيحِ  
 وَدَارَكَ مِنْ نَجْوِ النَّغِيلِ احْتِشَاؤُهُ      فَبَاتَ حُبَارَى هَيْضَةً وَسُلَاحِ  
 فَإِلَّا يَقْنَأَ اللَّهُ عَثْرَةَ دُبْرِهِ      نَبَتْ نَصَبَ حُزْنٍ لِلنَّفُوسِ مُتَاحِ  
 لا يخاف صديقي جدي ، ولكن يخاف مزاحي ، حين بدلت سخطه برضاه ربحت  
 وتعدلت خسارتي، فنجد مجمل الأبيات تتحدث الصفات التي لا تليق بالمرء الناضج العاقل.  
 كتب إلى عبدون يهجو ابن الجوهري المعروف بالخاقاني : (١)

لَنَا صَاحِبٌ ظَالِمٌ مَا يَزَالُ      يُدَنِّسُنَا بِالْجَلِيسِ الْوَسِخِ  
 يُكَلِّفُنَا وَدَّ ذِي ابْنَةٍ      إِذَا مَا رَأَى الْأَيْرَ يَوْمًا رِبَخِ  
 إِذَا أَوْتَدَ الْعَبْدُ فِي ظَهْرِهِ      تَسَامَى بِخُرْطُومِهِ أَوْ شَمَخِ  
 وَيُطْرِي وِلَاءَ بَنِي هَاشِمٍ      وَمَا عَظُمَ فِيهِمْ بِالْمُخِ  
 جَمَادٌ مِنَ الْبَرْدِ لَمْ يَنْحَلِ      وَنِيءٌ مِنَ الْبُلْهِ لَمْ يَنْطَبَخِ

يصف صاحبه بأنه ظالم ، وأنه يدنس الجليس بالوسخ وذكر معائب الناس والحقد عليهم ،  
 كما أنه مقتر بنفسه اعتزازاً وتكبراً. قال هاجياً (٢)

قَدْ لَعَمْرِي آذَيْتَنَا يَا بْنَ عَمْرٍو بِنِ مَسْعَدَةَ  
 بِأَحَادِيثِكَ الَّتِي هِيَ لِلْعَقْلِ مَفْسَدَةَ  
 فَأَحَادِيثُكَ الطَّوَالُ صُخُورٌ مُنْضَدَّةٌ  
 وَأَحَادِيثُكَ الْقَصَارُ قِلَالٌ مَبْرَدَّةٌ

(١) د . محمد التونسي ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، عبدون يهجو ابن الجوهري المعروف بالخاقاني ، يَأْشُرُ :  
 يفرح . ويزدهي : يتباهى . أدال الشيء : جعله متداولاً . والنبي من اللحم الذي لم تمسه النار أو لم  
 ينضج. البله : مفردهما البلهاء وهي الناقة التي لا تتحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حمقاء

(٢) د. محمد التونسي ، ديوان البحري مصدر سبق ذكره ، ج ١ ، ص ٢٩٠

تناولت هذه الأبيات هو ابن وزير المأمون يصفه بأن كلامه يفسد العقل وطويل مثل المنضدة مرتب بعضها فوق بعض ، وإذا قصرت في حديثك مثل الجرة العظيمة .  
قال في هجاء ابن أبي دؤاد: (١)

يا أحمدَ بنَ أبي دؤادٍ \* \* والحادثاتُ بكلِّ نادٍ  
ماذا رأيتَ إذا انتسبتَ \* \* إلى إيادٍ في إيادٍ ؟

، الناس يتحدثون عنك في كل مكان ، ماذا ينفعلك انتسابك إلى قبيلة إياد ؟  
قال في هجاء كاتب ابن ليثويه : (٢)

إِنَّ الطَّوِيلَ وَإِنْ قَلَّتْ حَلَاوَتُهُ      وَرَاحَ غَيْرَ مَلِيحِ الشَّخْصِ مَقْدُودِ  
لَعِنْدَ إِكْذَابِ أَنْصَافِ الظُّنُونِ إِذَا      عَنَّتْ وَإِخْلَافِ أَنْصَافِ المَوَاعِيدِ  
مَا كَانَ طَوْلُكَ إِلَّا غَيْظَ مُصْطَنِعِ      بُرْدًا وَكَلًّا عَلَى حَفَّارِ مَلْحُودِ  
ظَنَنْتَ أَنَّكَ بِالْأَلْفِ الَّذِي جَشِمْتَ      يَدَاكَ مِنْ بَعْدِ تَعْسِيرِ وَتَكْيِيدِ  
فَارَقْتَ فِي أَهْلِ البُخْلِ مُنْفَصِلًا      عَنْهُمْ، وَشَارَكَتْ أَهْلَ الجُودِ فِي الجُودِ

قد هجا كاتبه لإنقاصه مما وعده به ، وهو الألف ، يبدو من كلامه أن المهجو طويل القامة ، أنه يكذب بعض الظن ، ويخلف بنص الموعد ، طوله يزعج الخياط ويرهق حفار القبور . وصفه بالبخل ، ويشارك الكرماء كرمهم .

قال في هجاء بني جعفر النمريين : (٣)

بَنِي جَعْفَرٍ مَا لِلصَّفِيرِ مُقَدِّمًا      لَدَيْكُمْ عَلَى سِنِّ الكَبِيرِ المُسَوِّدِ  
يُخْبِرُ عَنْ شَيْخِي ضَلَالِ سِرَاحِكُمْ      أَحَادِيثَ مَنْ يُخْبِرُ بِهِنَّ يُفَنِّدِ  
إِذَا اشْتَرَكَا فِي سَوَاءٍ يَرْكَبَانِيهَا      تَبَدَّى عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَحْمَدِ

يتساءل الشاعر لماذا أراكم يا بني جعفر تقدمون الصغار على الكبار ؟ مستكراً ذلك ، يلوم شيخه الذي يُخطي . وأنهم إذا اشتركوا في دناءة ظهرت وبرزت .

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٩ ، أحمد بن أبي دؤاد أحد كبار القضاة في العصر العباسي .توفى سنة ٣٢٩هـ

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٢ ، ليثويه : نسبة عربية فارسية ، مؤلفة من الليث وهو الأسد ، "ويه " علامة النسب الفارسية أي مثل الأسد أو الأسيدي .

(٣)المصدر نفسه ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ١ ، ص ٤١٤

## صور من شعر الهجاء الصريح عند البحري:

نجده في أبياته التي يهجو فيها ابن أبي طاهر النديم إذ قال (١)

هاجي بني بَحْتَرٍ وطِيئَهَا حائن قوم يحز في كبده  
ولي جليسٌ لولا خَسَاسَتُهُ لقد أقامَ الهِجَاءُ من أودِه  
أرْفَعُ قَدْرِي عنه وَيَحْسِينِي أتركُهُ للمُقَامِ في بلدِه  
أَجْفَرَ غُرْمُولُهُ فقد كَثُرَتْ أَشْبَاهُ غِلْمَانِهِ على وَالدِه

هجا واحد من بني بحتر ليس القصد الهجاء وإنما أراد التقويم من اعوجاجه لكن وجدته خسيس ، كما ذكر أنه لا يهجو ترفعا فيظن أني أهابه لمقامه بين قومه .

قال في هجاء أحمد بن أبي العلاء المَغْنِيَّ (٢)

غَاوِكَ لَيْسَ يُغْنِي سَامِعِيهِ وَضَرْبُكَ يُوجِبُ الضَّرْبَ الْوَجِيعَا  
وَوَجْهُكَ يَطْرُدُ النَّشَوَاتِ عَنَا وَقُرْبُكَ يُذَكِّرُ الْمَوْتَ السَّرِيعَا  
إِذَا غَنَيْتَنَا يَوْمَ اصْطَبَاحِ فَقَدْ أَوْسَعْتَنَا عَطْشًا وَجُوعَا

جاء الهجاء في صورة ساخرة جدا مستهزئا به وأن غناؤه لا يجدي نفعا ، وأن لعزفك دافعا لضربك ، إن وجهك القبيح يبعد النشوة عنا ، ودنوئك منا كأنه الموت الخاطف ، وإن غنيت لنا صباحا صدمنا وظللنا يومنا جائعين وعطشين .

قال في هجاء الخُتَلِيِّ (٣)

أَبَا نَهْشَلٍ رَأَيْكَ الْمُقْنَعُ إِذَا طَرَقَ الْحَادِثُ الْأَشْنَعُ  
فَمَاذَا اشْتَهَيْتَ مِنَ الْخُتَلِيِّ؟ وَهَلْ لَكَ فِي الثَّوْرِ مُسْتَمْتَعُ  
تُنَادِمُهُ وَهُوَ فِي حَالَةٍ تَضُرُّ النَّدَامَى وَ لَا تَنْفَعُ  
أَلَسْتَ تَرَى فِي اسْتِهِ إِصْبَعَا تَجُولُ وَفِي شِدْقِهِ إِصْبَعُ؟  
وَيَنْقُلُ بَيْنَكُمْ جَعْسَةً إِذَا كَظَّهَ الْقَدْحُ الْمُتْرَعُ

(١) المصدر نفسه ج ١ ، ص ٤٣٢

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٨٦

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٩٧

جاء في هجاء كاتب أبي نهشل محمد بن حميد يُدعى الختليّ : فإذا عرض الحديث الشنيع فأنت صاحب الرأي الصائب يا أبا نهشل . ماذا أحببت في الختلي ؟ وهل يسرك ثور ؟ وكيف تتادم من يضر الندامي ولا ينفعهم؟ إنه يشبه الخنزير الذي يهوى أكل الروث وما يخرج من البطن وهذا من صور التحقير والتقليل من شأنه والهجاء فيه تتكيل وتشنيع بشخصية الكاتب وهو غير أخلاقي .

قال في هجاء قوم من غني (١)

بني عثمان أنتم في غني رعاغ وهي في قيس رعاغ  
متى يُقرّي السديف بساحتكم ومُر الماء عندكم يُباع ؟  
وإنّ بخيلكم بالجود يكي سفاهاً واسم صفرديكم شجاع  
أبالأسماء والألقاب فيكم يُنال المجد والشرف اليفاع؟  
وكنتم بعد عبدكم نظيف ربيضا أطلقت فيه السباع

هجا قوماً من قبيلة عربية يرجع نسبها إلى مضر ؛ من قيس عيلان تدعى غنيّ فالهجاء في صورة صفات أنهم من أسرة الهيثم بن عثمان الغنوي من سقاط الناس وسفلتهم ، وأن ضعة نسبهم متأصلة ؛ فأنتم من أدنى قبيلة غني، وقبيلة غني أدنى قبائل قيس عيلان ، وأنكم لم تقدمون للضيف سنام الجمل في دياركم ، كما أنكم تبيعون مر الماء في حين أن حلوه يبذل للعابرين ، وأنكم مثل طائر السلوي في الجبن ، أتظنون أن المجد والشرف السامي (اليفاع) ينالان بالأسماء والألقاب.

هجا علي بن مرّ بقوله : (٢)

يابن مرّ قول مرّ تدع ولهادي الرشد متبع  
قد رحلنا عن ذراك إلى وطن رحب ومتسع  
ووكناكم إلى نفر ذهبوا بالعلم والورع  
من شراحيل بن حللة وهشام وأبي اليسع

(١) المصدر نفسه ج ٢، ص ٦٩٨

(٢) المصدر نفسه ج ٢، ص ٧١٤



فالغرض من الهجاء النصيح والإرشاد لقد رحلت من ديارك إلى ديار الخلد ،  
ووكلت أمرك إلى من ليسوا أهل علم وورع .  
هجا ابني عبد الملك : (١)

إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ السَّيِّدَ قَدْ زَيَّغَ ابْنِيَهُ فَلَمْ يَزَيِّغَا  
قُلْتُ لِلشَّيْطَانِ إِذْ بَيْنَهُمَا بَتَأْتِيهِ وَيَبْنِي نَزَعَا  
قَدْ لَعَمْرِي وَقَعَا لَوْ عِلْمَا مِنْ هِجَائِي فِي خَرَا مَا مَضَعَا

حاول عبد الملك أن يقيم اعوجاج ابنيه فلم يفعلوا ولم يستجيبا . فالشيطان أفسد بينهما.  
تناول أبيات في هجاء أحمد بن صالح وولده (٢)

نَفَقْتُ نَفُوقَ الْحِمَارِ الذَّكَرُ وَبَانَ ضُرَاطُكَ مِنْهَا فَمُرُ  
يَقُولُ الطَّيِّبُ : بِهِ فَالْجُ فَقُلْتُ : كَذَبْتَ وَلَكِنْ قَصَرُ  
وَقَدْ يُتَوَقَّعُ مَوْتُ الْحِمَارِ إِلَّا بِيَعُضِ مَنَايَا الْحُمُرِ؟  
فَقَدْنَا يَهُودِيَّ قَطْرُبُلِّ وَفَقَدْنَا بِإِحْدَى الْكُبُرِ

مضمون هذه الأبيات يدل على التقليل والتحقير من شأن المهجو وباليهودي، أن وفاته لا  
قيمة لها كموت اليهودي ، إشارة إلى ضعة أصل المهجو. مدلا ذلك بعبارات ( موت  
كموت الحمار ، الفالج).

قال في هجاء أبي الحسن بن سهل: (٣)

مَجَانِيقُ شُؤْمِكَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى آلٍ وَهَبِ تَنْثِيرُ الْغُبَارَا  
صَحْبَتَهُمْ حِينَ نَالُوا الْغِنَى فَكُنْتَ الْهَلَاكَ وَكُنْتَ الدَّمَارَا  
إِذَا مَا دَلَفْتَ إِلَى نِعْمَةٍ عَصَفْتَ بَرَوْتَقَهَا فَاسْتَطَارَا  
يَبِيْتُ عَدُوَّكَ مُسْتَأْنِسًا وَيَأْبَى صَدَيْقُكَ إِلَّا عَثَارَا  
نَثَرْتَ الْأَخْلَاءَ نَثَرَ الْجُمَعَانَ وَأَنْفَقْتَهُمْ حِينَ تَمَّوَا بِدَارَا

(١) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٧٣٠

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٤٥

(٣) المصدر نفسه ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ١ ، ص ٤٥٦

فالشاعر صب جم غضبه على آل وهب ، فإذا هي مجانيق تثير غبار الغضب، فقد صادقهم أيام أصابهم الثراء فلم يجن منهم إلا الهلاك فأنت لست أهلاً لشيء ؛ فعدوك مطمئن وصديقك معني فقدت أصحابك وفرقتهم وخسرتهم .

قال في هجاء معلمٍ أعرج : (١)

أَيُّهَا الْأَعْرَجُ الْمُحَجَّبُ مَهْلًا      لَيْسَ هَذَا مِنْ فِعْلٍ مَنْ يَتَمَرَّى  
مَا رَأَيْنَا مُعَلِّمًا قَطُّ مَحْجُوبًا      وَلَوْ أَنَّهُ عَلَى مُلْكِ كِسْرَى  
قَدْ رَأَيْنَا عَصَاكَ صَفْرَاءَ مَلْسَاءَ      مِنْ النَّبْعِ بَيْنَ صُغْرَى وَكُبْرَى  
جَمَعْتَ خَلَّتَيْنِ : حُسْنًا وَلِينًا      لَكَ فِيهَا ظَنِّي مَأْرَبُ أُخْرَى

أخذ عليه صفة العرج ، وأن احتجابه ليس من الأفعال الجميلة، لم نر طوال عمرنا معلماً محتجباً عن الناس ولو كان على ملك كسرى ، كما شبهه بالنبع وهو شجر قاس يصنع من أغصانه القسي ، لعصاك صفتان الحسن واللين ، ولعل لك فيه مأرب أخرى غير الضرب  
قال في هجاء الذفافي (٢)

يَا مَنْ رَأَى الدَّامِرَ يَخْتَالُ فِي      شَاشِيَّةٍ شَوْهَاءَ مُغْبَرَةٍ  
مَرَّ فِقَامَ النَّاسِ مِنْ لَاعِنٍ      وَقَائِلٍ : شَوَّهْتَ يَاعِرَّةَ  
وَقَدْ تَجَلَّى كَاسِرًا طَرْفُهُ      كَأَنَّهُ دَيْكٌ بِهِ نُقْرَةُ

رسم هجاء الذفافي في صورة كاريكاتورية ساخرة فطأ رأسه كأنه ديك مثقوب القفا،  
وحين يمشى بين الناس يدعوها بالأجرب، قال في هجاء كاتب لابن دُوَاد: (٣)

يَا مُسْتَرِدًّا قَلِيلَ نَائِلِهِ      أَكَلُ هَذَا حِرْصًا عَلَى الْعَشْرَةِ  
ظَنَنْتَ فِيهَا الْغَنَى فَتَأْخُذْهَا      مِنْ شَاعِرٍ أَمْ حَسِبْتَهَا كَمَرَةَ  
دُونَكُهَا إِنَّهَا مُصْرَفَةٌ      عَقَارِبًا فِي الْبِلَادِ مُنْتَشِرَةٌ  
جَادَ لَنَا مِنْ غُلَامِهِ أَبَدًا      يَغْرِسُ فِي جَانِبِ اسْتِهِ جَزْرَةَ

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٥٩

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٢

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٣

إنه أعطى الزهيد ثم استرده ، أرغبني استردادها لتغني بها أم ظننتها رأس الذكر (الكمرة) خذها وسأهجوك بأشعار كالعقارب تلسعك .

قال في هجاء أبي عمارة في صورة ساخرة على شكل قبة يقول: (١)

لله دَرُّ أَبِي عُمَارَةَ إِنَّهُ بَيْتُ الْخَسَارَةِ  
مَا إِنْ سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ طَوِيلَةً فِي رَأْسِ قَارَةِ

هجا ابن رباح أحمد بن إبراهيم وهو قاضي البصرة دعاه ذات يوم فسقاه نبيذاً حامضاً فأعلته (٢)

عَدِمْتُ النُّغَيْلَ فَمَا أَدْمَرَهُ وَأَوْلَى الصَّدِيقَ بَأْنَ يَهْجُرُهُ  
إِذَا قُلْتُ : قَدَمَهُ كَيْسُهُ عَنَاهُ مِنَ النِّقْصِ مَا أَخْرَهُ  
دَعَانَا إِلَى مَجْلِسٍ فَاخِشِ قَبِيحِ بِيذِي اللَّبِّ أَنْ يَحْضُرَهُ  
فَجَاءَ نَبِيذُ لَه حَامِضٌ يَشُقُّ عَلَى الْكَبِدِ الْمُقْفِرَةَ  
إِذَا صُبَّ مُسَوَّدُهُ فِي الزُّجَاجِ فَكَأْسُ النَّدِيمِ بِهِ مَحْبَرَهُ  
تَرَكَتْ مُشَمَّسَ قَطْرِبُلٍ وَجَرَعْتَنَا دَقَلَ الدَّسْكَرَةَ  
وَمَا لِي أَطْعَمَكَ فِي شُرْبِهِ كَأَنَّ لَمْ أُخْبَرَهُ أَوْ لَمْ أَرَهُ  
وَمَا لِي شَرِهْتُ إِلَى مِثْلِهِ وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُنِي بِالشَّرِّهِ  
وَمَا يَعْتَرِينِي الَّذِي يَعْتَرِيكَ بِحَقِّ السَّوَادِ مِنَ الْأَبْخَرَةَ

في مجلس غير مناسب لنا ، وحين يصب النبيذ في الكأس يظن النديم أن الكأس محبرة لسواد النبيذ ، وكان ذلك في قرية اشتهرت بالخمور تدعى قطربل.

قال في هجاء الأحول كاتب أبي صقر وأسمه إسماعيل بن بلبل الوزير ينعته بصفات القبح في وجهه وفعله فيستوي فيه الفعلان الظاهر والباطن ، وإن تكلفه بشي لا يؤديه لأنه بخيل ، فهجاءه يصفه بعدم الأخلاق ، والأبيات توضح جانب من ذلك إذ يقول (٣)

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٥

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٥

(٣) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

ج ١ ، ص ٤٦٧

دَجَّالْنَا أَحْوَلَ مِنْ شُؤْمِهِ      وَالنَّاسُ دَجَّالُهُمْ أَعْوَرُ  
كَأَفُّهُ حَاجَاتِكَ يَمُسْتَهْتِرُ      لَفَّ بِالْبُخْلِ مُسْتَهْتِرُ  
يَعْلُو غَرِيبُ الْقُبْحِ فِي وَجْهِهِ      فَيَسْتَوِي الْمَخْبَرُ وَالْمَنْظَرُ

قال في هجاء علي بن يحيى الأرمني<sup>(١)</sup> :

وَأَكْثَرْتُ غَشِيَانَ الْمَقَابِرِ زَائِرًا      عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى جَارَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ  
فَإِلَّا يَكُنْ مَيِّتَ الْحُسَّاشَةِ فِي الَّذِي      يُرَى فَهُوَ مَيِّتُ الْجُودِ مَيِّتُ الْمَائِرِ  
وَلَا فَضْلَ عِنْدَ الْأَرْمَنِيِّ يَعُدُّهُ      سِوَى أَنَّهُ ثَوْرٌ سَمِينٌ لِجَازِرِ  
سَرَقَتْ سِيَهَامَ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ تَكُنْ      لَهُمْ يَوْمَ زَحْفِ الْمُشْرِكِينَ بِحَاضِرِ

هجا علي بن يحيى الأرمني بدأ زيارته كثيرا للمقابر لأنه كان يقطن قرب الموتى ، فهو لم يكن ميت الفؤاد ، ولكنه ليس من الكرام ولا الذين يقومون بالأفعال الحميدة ، و شبهه في حياته ضخامته مثل الثور السمين في يد الجزار ، وشارك في غنائم المسلمين ولم يشارك في حروبهم ضد المشركين فهذه صورة حية في اتصافه بالصفات الذميمة.

قال في هجاء الخزاز :<sup>(٢)</sup>

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَرَى      مِنْ قَدْرِ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي  
مَا كَانَ ذَا الْعَالَمِ مِنْ عَالَمِي      يَوْمًا وَلَا ذَا الدَّهْرِ مِنْ دَهْرِي  
يَعْتَرِضُ الْحَرَمَانُ فِي مَطْلَبِي      وَيَحْكُمُ الْخَزَّازُ فِي شِعْرِي

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧٢

قال هاجياً: (١)

لَا يَعْجِبُكَ قَوْمٌ أَنْتَ بَيْنَهُمْ  
الْبَاخِلُونَ بِمَاءِ الْمُزْنِ نَشْرَبُهُ

فَلَسْتَ مِنْهُمْ عَلَى عَيْنٍ وَلَا أَثَرَ  
وَالشَّارِبُونَ دَوَاءَ الْبُخْلِ بِالسَّحَرِ

قال في هجاء علي بن الجهم بن بدر (٢)

إِذَا مَا حُصِّلَتْ عَلِيَا قَرِيشٍ  
وما رَغَانُكَ كَالجَهْمِ بْنِ بَدْرِ  
فلا في العير أنت ولا النفيرِ  
ولو أَعْطَاكَ رَبُّكَ مَا تَمَنَّى  
من الأَقْمَارِ ثُمَّ وَلَا البُدُورِ  
لأِيهِ حَالَةٌ تَهْجُو عَلِيًّا  
بِمَا لَفَقْتَ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ؟  
أما لك في استنك الوجعاء شغل  
يَكْفُكَ عَنِ أَهْلِ القُبُورِ؟

قال في هجاء ابن بنت أبي منصور الكاتب: (٣)

إِسْمَعْ هُدَيْتَ أَبَا يَحْيَى مَقَالَ أَخٍ  
مَازَا عَلَيْهِ بِلَا جُرْمٍ وَلَا تَرِيرَةٍ  
يُصْفِي لَكَ الْوُدَّ فِي سِرِّهِ وَإِجْهَارِ  
أَعْنِي ابْنَ مَنْ فَقَّاتَ فِي الرَّحْمِ مُقَاتِلَهَا  
أَنْتَهُ كَفُّ الَّذِي يُدْعَى بِمَنْقَارِ  
لأنظِمَنَّ القَوَافِي فِي مَثَالِيهِ  
فَيَاشِلُ لِأُنَاسٍ غَيْرِ أَحْرَرِ  
كَنْظِمِ عَقْدَ كَسُولِ المَشْيِ مِعْطَارِ  
حَتَّى أُغَادِرَهُ لِحَمَاءٍ عَلَى وَضَمِ  
أُنحَى عَلَى حَلْقِهِ سَاطُورِ جَزَارِ  
أَوْ يَسْتَعِيدَ إِلَى العُتْبَى فَاتْرَكَهُ  
لأنَّهُ وَتَحُّ مِنْ نَسْلِ أَنْزَارِ

هجا ابن بنت أبي منصور الكاتب في قصيدة طويلة فمهد له بالهداية في السر والعلانية ،  
بأنه أصيب بمكروه وهو إلحاق العار بأهله وأصبحت وصمة عار لأنها بنت هوي.

قال في هجاء ابن بسطام (٤)

للهِ دَرَكٌ قَدْ أَكْمَلْتَ أَرْبَعَةَ  
العِرْضُ مُمْتَهَنٌ ، وَالنَّفْسُ سَاقِطَةٌ

ما هُنَّ فِي أَحَدٍ مِنْ سَائِرِ البَشَرِ  
وَالوَجْهُ مِنْ سَفَنِ ، وَالعَيْنُ مِنْ حَجَرِ

(١) د. محمد التونجي ديوان البحترى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ج

١ ، ج ١ ، ص ٥٧٤

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٧٩

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٩٩

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٠٥

لله درك قد تكون مدحا أو ذما ، البحترى يسخر من ابن بسطام في أربع صفات نادرة عرضك محتقر ، ونفسك رذيلة ، السفن :جلد خشن كجلد التمساح ،والعين وقحة لا تخجل .

قال في هجاء ابن الشوارب (١)

قد قُلْتُ لِابْنِ الشَّوَّارِبِ مُشْفِقًا      من أن يرى فيه العدو غمیزه  
قد سَأَعَنِي مِنْكَ اشْتِمَالُكَ دُونَ مَنْ      يدنو إليك على أبي كثنيزه  
وهو المَشْوومُ صَدَاقَةٌ وَالْمُدَّعِي      مَخْسُوسٌ أَصْلٌ ، وَالضَّعِيفُ نَحِيزَه

قال في هجاء ابن الفليس : (٢)

أَلْ فَلْسِيكُمْ غَدَاةٌ بَحَثْنَا      عَنْهُ فَلْسًا وَقِيْمَةُ الْفَلْسِ فَلْسُ  
سَامِرِيُّ الضُّيُوفِ مِنْ دُونِ خُبْرُ      مع بيض الأنوف لَيْسَ يُمَسُّ  
فَارْتَحَلْ عَنْ جِوَارِ كِسْرَى فَمَا أَنْتَ      كَرِيمٌ وَلَا لَبِيْتِكَ أُسُّ  
نَبَطٌ مُلْكُوا عِمَارَةَ أَرْضٍ      كَانَ عُمَارَهَا الْأَوَائِلَ فَرُسُ

هجا ابن الفليس على أنه يسامر ضيوفه ولكنه لا يقدم لهم الطعام مما ذممه الشاعر وسخر منه ، وكما هجا ابن أبي قماش عن أبيات قالها في هذا الروي من البحر الخفيف يعدد صفات الذم من الجبن واللؤم وذي رأي خسيس ، وأنه يقرض الشعر ولكن ذهنه الجامد يغلظ (يعس) عن الشعر ويبتعد عنه.

قال في هجاء ابن أبي قماش عن أبيات قالها في هذا الروي (٣)

ضَعَا لِلزَّمَانِ عِنْدِي وَعَكْسُ      إِذْ تَوَلَّى بُزْرَجَسَابُورَ جِبْسُ  
شَخْصُهُ الْمُزْدَرِي وَمَخْبَرُهُ الْمَشْنُوءُ      قُبْحًا وَرَأْيُهُ الْمُسْتَخْسُ  
يَتَعَاطَى الْقَرِيضَ وَهُوَ جَمَادُ      الذِّ دِهْنٍ يَجْفُو عَنِ الْقَرِيضِ وَيَعْسُو  
سَمِعَ الضَّارِطِينَ فِيهِ فَأَنْشَا      بَغْيَاءٍ مِنَ الْجَهَالَةِ يَفْسُو

(١) د. محمد التونجي ديوان البحترى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ،

ج ٢ ، ص ٦١٤

(٢) المصدر نفسه ، م ج ٢ ، ص ٦١٧

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦١٧

قال في هجاء قوماً من أهل بلده (١)

تَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى أَبِي مَلْبُوسِ  
المعروف بين شامس وقسوس  
في دارهم ضيف سوى إبليس  
الهَيْجَاءُ مُصْغِيَةً إِلَى النَّاقُوسِ  
أَذَانَهُمْ وَقُرُّ عَنِ الدَّاعِي إِلَى  
هجا البحري قوما من أهل بلده من البحر الكامل سخر منهم في صفات أنهم لم يسمعوا  
بالمحامد ولا بصفات الكرم ، ولم يستقبلوا سوى إبليس ، وثقيلو السمع للدعوة إلى الحرب ،  
ولا يتوقع من عطاء أناس لهم أخلاق حمار وشكل جاموس ، وقال يهجو طماساً وهو أمير  
قزوين ، وعم الصولي . وقد هجاه في قطعة أخرى ، إذ يقول في مطلعها (٢)

أَقُولُ لِصَاحِبِ مَنْ سِرَّ عَبَسَ  
شَكَوْتُ قَذِي بَعِينِكَ بَاتَ يُدْمِي  
أَرَى وَرَدِي بِرُؤْيَيْتِهِ وَأَسِي  
كَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى طِمَاسِ  
إِلَى وَغَدِيكَادُ يَعُودُ فِينَا  
فَقَدْتُكَ يَا طِمَاسُ فَكُلُّ عَيْشِ  
بِرُمُحٍ فِي التَّنَائِيَةِ أَوْ شِمَاسِ  
بِقُرْبِكَ أَخْشَنُ الْجَنَبَاتِ جَاسِ  
تَمَخَّطُ لِلزَّكَامِ وَفِيكَ بَرْدٌ  
جُمَادِي يُخَبِّرُ عَنِ قَعَاسِ

وصفه في صورة ساخرة بالعمور الذي أصاب عينه ، لم يعد يريد رؤيته لأن الحياة قربه  
خشنة وجافة ، ووصفه ببرد جمادى الشديد والقعاس الموت وفي الأصل داء في الغنم  
تموت منه . وهجا طماساً و مسعوداً غلامه ، وكانا أعورين وكان قد وجهه مسعوداً إلى  
طماس في حاجة ، فعاد ولم يقضها ، فقال : من الكامل (٣)

بِالْأَعُورَيْنِ الْمُعُورَيْنِ أَخَلَّ بِي  
وَمِنَ الضَّلَالَةِ أَنْ رَجَوْتُ لِحَاجَتِي  
أَمَلِي وَعَاوَدَنِي تَمَكَّنُ يَأْسِي  
إِخْلَاصَ مَرْدُولَيْنِ فِي الْأَرْجَاسِ  
رَجْسَيْنِ مَرْدُولَيْنِ فِي الْأَرْجَاسِ  
لَمْ أَرْضَ الْفَاطِي وَلَا أَنْفَاسِي  
وَإِذَا عَدَدْتُ عَلَى طِمَاسٍ عَيْبُهُ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣١

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٣٧

هناك الكثير من الصفات الذميمة التي وصفهم بها مثل البادي العورة والقبیح السريرة ، وندم على اعتماده في تنفيذ مهمته ، وأن الغلامين أعمالهما قبيحة ، بل إن عيوب طماس كثيرة ، لا يمكن عدّها ولا نفسه تقدر ذكرها.

قال في هجاء ابن ثوابة<sup>(١)</sup>

تَرَوْنَ بُلُوغَ الْمَجْدِ أَنَّ ثِيَابَكُمْ  
وَلَيْسَ الْعَلَا دُرَاعَةَ وَرِدَاؤَهَا  
وَالْإِ كَمَا اسْتَنَّ الثَّوَابِي إِذْ جَرَتْ  
يُخَصُّ بِهَا فِي الْعُيُونِ وَقِيمَةً  
يَبِيْتُ عَلَى الْإِخْوَانِ غَالِي ثِيَابِهِ  
يَلُوحُ عَلَيْكُمْ حُسْنُهَا وَبَصِيصُهَا  
وَلَا جَبَّةٌ مَوْشِيَّةٌ قَمِيصُهَا  
عَادَةٌ أَثْوَابُهُ وَخُرُوصُهَا  
وَيَبْدُلُهَا حَتَّى يَعْمَ خُصُوصُهَا  
وَيُصْبِحُ مَتْرُوكًا عَلَيْهِ رَخِيصُهَا

في استعلائه لنيل العلم بالهمة العالية ، ويرفع من شأنها في نيل المجد ، كما انه لا يأتي بلبس الثياب القشبية اللامعة ، وان العلا لا يقاس بالجبّة والثياب الموشاة فالهجاء هنا أخلاقي صريح.

قال في هجاء بعض الكتاب :<sup>(٢)</sup>

إِنْ سَيْلَ أَحْرَزَ مَالَهُ بِوَقَايَةٍ  
لَيْسَ الْخَزْيِ وَاللُّؤْمَ حَتَّى إِنَّهُ  
مَنْ بُوخِلَ وَسُرَادِقٍ مِنْ عَرْضِهِ  
يَخْزِي وَيَأْنَفُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضِهِ

برع الشاعر في مزج عنصرين وهما مدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل وهجا أحمد بن صالح بن شيرزاد من قصيدة طويلة من البحر الطويل إذ يقول<sup>(٣)</sup>

يَبِيْتُ مُعْتَى النَّفْسِ مِنْ لُؤْمِ أَصْلِهِ  
وَيَغْدُو وَيَعْقُوبُ ابْنُهُ مُتْرَسَّلٍ  
فَأَيُّ خِلَالِ اللَّؤْمِ لَمْ يَعْتَصِبْ بِهَا  
زَعِيمٌ بِخِذْنِ السَّوِّءِ يُوجَدُ عِنْدَهُ  
بِأَنَّ يَقْبِضَ الرَّزْقَ الَّذِي اللَّهُ بِاسْطُهُ  
يُزَانِيهِ فِي أَوْلَادِهِ وَيُلَاوِطُهُ  
رُكُوبُ الدُّنْيَا حَارِضِ الْقَدْرِ سَاقِطُهُ؟  
إِذَا مَا ابْنُ مَيْمُونٍ أَتَاهُ يُضَارِطُهُ  
يُلاكِنُ مَانِي حُمَقَةَ وَيُعَافِطُهُ  
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا زَنْبِيْدِيْقُ قَرِيْبَةُ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٩

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٦٥

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٦٦٩



مَتَى أَتَعَلَّقُ مِنْ أَبِي الصَّقْرِ ذِمَّةً      يَذُدُّ عَنْ حَرِيمِي وَافِرُ الْجَاشِ رَابِطُهُ  
أَخٌ لِي لَا يَمُدُّنِي الَّذِي أَنَا مُبْعَدٌ      لِشَيْءٍ وَلَا يَرْضِي الَّذِي أَنَا سَاخِطُهُ  
مَعَالٍ بِنَاهَا صَعْبَةٌ وَعَلَيْهِه      وَوَائِلُهُ وَيَلُ الْعَدُوَّ وَقَاسِطُهُ  
بِهَالِيلِ يَوْمِ الْجُودِ تَجْرِي شِعَابُهُ      وَآسَادُ يَوْمِ الْحَرْبِ يَحْمَرُّ مَاقِطُهُ

تفيد الأبيات أن أحمد يمضي ليله منهكا بحثا عن الرزق الذي بسطه له الله، وهذا من لؤم أصله، فهجاه بنعوت كثيرة متعجبا من صفات الدنيئة ومكانة الساقطة ؟ كما وصفه بالإلحاد والكفر الذي يعتقد بالثنوية والتقصص ، وكذلك يقلد غيره في غير معتقده ومانى متتبي فارسي يدعو إلى الثنوية وإلى صراع النور والظلمة في العالم الأرضي ، بينما في الطرف في الطرف الآخر يمدح أبو الصقر الوزير الذي يدافع عن العرض والحريم ويحميه كما أنه صاحب صدر واسع ونلاحظ في البيت الأخير يعدد لنا أسماء آباء أبي الصقر . ويصفهم بالجود والشجاعة ، وهو السيد الجامع لكل خير المالك زمام الفرس .

قال في هجا وهب بن سليمان : (١)

تَحَقَّرْتَ يَا وَهْبُ فِي ضَرْطَةٍ      فَأَضَحْتَ أَحَادِيثَهَا شَائِعَةً  
وَمَا سَمِعْتَ قَبْلَهَا مِثْلَهَا      وَقَدْ رَاعَهُمْ صَوْتُهَا رَائِعَةً  
فَقَالُوا وَمَا أَبْعَدُوا إِلَيْهِ      يُضَرِّطُ مِنْ فَقْحَةٍ وَاسِعَةٍ

هجا وهب بن سليمان بسبب هفواته وعرثاته تناولت السنة الناس بأقوالهم فكانت لها أثر في نفسه وله فيه أهاج أخري

قال في هجاء ابن المغيرة : (٢)

قَدْ لَعَمْرِي يَا بِنَ الْمُغِيرَةِ أَصْبَحْتَ      مُغِيرًا عَلَى الْقَوَافِي جَمِيعًا  
شَرَفًا يَا أَخَا جَدِيلَةَ أَبِياتِكَ      رَدَّتْ قَيْظَ الْعِرَاقِ رَبَّيْعًا  
مَا لِعَيْنِيكَ تَغْزِلَانِ إِذَا مَا      رَأَتَا فِي الرُّؤُوسِ رَأْسًا صَالِحًا  
إِنَّ حَبَّ الصُّلْعَانِ يُبْدِي مِنَ الْمَرْءِ      لِأَهْلِ التَّكْشِيفِ أَمْرًا فَطِيعًا

(١) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ج

٢ ، ص ٦٨٤

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٨٤

هجا ابن المغيرة أصبحت مغيرا على الأشعار ، لقد رطبت قصائدك جو العراق ، فعدلت حرارة الصيف ، وكان هذا من باب التفكُّه لا الفن ، أني أرى عينيك تنتشطان عندما ترى صلعة أحد ! بل وصفه في صورة ساخرة وحقيرة في قوله أنت أقل من أن تعدَّ وضيعاً وصفه بصفة أخرى عندما نسبه إلى زحل وهو أحد الكواكب السيارة ، وهو عند العرب كوكب نحس.

قال في هجاء أحمد بن صالح الكاتب ، ويذكر مديراً كان في الديوان يقال له الإضرنط: (١)

لنا حاجة ما كان جاني سؤلها      ووصولاً ولا مسؤولها الفسلُّ مُنصِفاً  
إذا ما أباي الضرَّاطُ إسعافنا بها      فزِعنا إلى الإضرانطِ فيها فأنصفاً

قال في هجاء رمكة الكاتب (٢)

قد قُلتُ عن نُصحِ لبرذونَةٍ      تُصانُ أن تُسرجَ أو تُوكفا  
إذا استوى الرَّاكبُ في ظهْرِها      طامنتِ المَتَّينِ كي تُردِّفا  
أو وقَّفَ العيرُ على بولِها      أنعمَ أن يستأفَ أو يكرِّفا

رمكة الكاتب من كتاب سامراء لقيه البحري حوالي سنة ست وعشرين ومائتي للهجرية مضمون الأبيات يجعل الشاعر مهجوه موضع رأي حماره فيه ! كما يرميه بالقطيعة بين الناس.

قال في هجاء أبا أحمد بن المنجم جربه واختبره فوجده بخيلاً جداً ، فالضرورة دعت إلى ذلك (٣)

بلوتُ أبا أحمدٍ مرَّةً      فألفيتُ منهُ بخيلاً سخيِّفاً  
ولولا الضرورةُ لم آتِه      وعند الضرورة آتِي الكنيفا

قال في هجاء إسماعيل بن بلبل (٤)

لأبي الصَّقْرِ دَوْلَةٌ      مثلهُ في التَّخالفِ  
مُزَنَّةٌ حينَ خيَّلتُ      آذنتُ بالتَّكشُفِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٠

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٧٤٠

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٤٣

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٥٧

عِلْمَ النَّاسِ بَرْدَهُ      بَعْدَ طُولِ التَّشَوُّفِ  
فَهُمْ بَيْنَ خَائِفٍ      وَمَرُوعٍ وَمُرْجِفٍ

قال في هجاء قوم من أهل البرت ، ومازح بذلك ابن بسطام ، وكانوا يقولون إن

أردشير خلف ابنته بالبرت ، فقتل في وجهه فتزوجها جدهم والأبيات هي :<sup>(١)</sup>

نِكْتُمْ وِدِيعةَ أَرْدَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ      فِي الْحَقِّ نَيْكٌ وَدَائِعُ الْأَشْرَافِ  
هَلَّا تَوَقَّفْتُمْ مَسَافَةَ فَرَسِخٍ      حَتَّى يُجَاوِزَكُمُ إِلَى إِسْكَافِ !  
أَعَجَلْتُمُوهَا عَنْ تَيْبِيَّةٍ رَأَيْهَا      عَجَلَ الْكِرَامِ إِلَى قَرَى الْأَضْيَافِ  
ووظَنَنْتُمْ مَا جِئْتُمُوهُ تُحْفَةً      تُعْتَدُّ أَوْ لَطْفًا مِنَ الْأَنْطَافِ  
أَحْسَمْتُمْ مَلِكَ الْمُلُوكِ وَكَلَّمْتُمْ      تِلْكَ الْخَزَائِيَةَ بِالْقَفِيْزِ الْوَافِي

قال في هجاء الخثعمي<sup>(٢)</sup>

حَضْرَمَوْتُ وَأَيْنَمَا حَضْرَمَوْتُ      بَلَدٌ دُونَهُ الْفَلا وَالْفِيَافِي  
أَبِي يَا أَخِي أَبُوكَ فِيهِ هَجِي      أَوْ أَبُو خَثْعَمِيِّكَ الْإِسْكَافِ  
نَحْنُ مَنْ قَدْ عَلِمْتَ فِي الشَّرَفِ الْوَافِي      فَأَجْمَلُ فِي عِشْرَةِ الْأَشْرَافِ  
سَلَفٌ لَوْ رَأَيْتَهُمْ لَتَبَيَّنْتَ      لَهُمْ زُلْفَةً عَلَى الْأَسْلَافِ  
وَإِذَا مَا أَنْتَقَدْتَ شَيْخَكَ فِيهِمْ      طَالَ فِيهِ تَصْفُحُ الصَّرَافِ  
مَا لَهُ مُتَجَرُّ سِوَى شَعْرِ الْخَنْزِيرِ      فِي قَوْمِهِ وَسَنِّ الْأَشَافِي

ابن بسطام من ممدوحي البحرني فارسي الأصل ، وتاريخ القطعة حوالي عام ٢٧٢ هـ . وفيها يمازحه بأن جد الفرس الملك أردشير قد خلف ابنته بالبرت فتزوجها من استودعت عنده لدي مقتل أردشير ، وهنا ها انتم يا أهل البرت تفخرون بما أتيتم وكأنه تحفة من التحف أو فضيلة من الفضائل اللطيفة . أترتم غضب الملك حين تعديتم حدودكم بما يخزي فالهجاء غير أخلاقي .

قال في هجاء ابن أبي قماش ، وكانت له جارية يعشقها أحمد بن صالح شيرزاد فحملها إليه . عدّ أبو الفرج الأصفهاني هذه القصيدة من أجود هجاء البحرني.<sup>(١)</sup>

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٦٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦٣

مَرَّتْ عَلَى عَزْمِهَا وَلَمْ تَقْفِ  
أَيْهَاتِ مَا وَجَّهَهَا بِمُتَّقَتِ  
أَبَا عَلَى أَعَزِّزِ عَلَى بِمَا  
مَا لِلْغَوَانِي فَوَارِكًا شُمُسًا  
وَمَا نَكَرْنَ الْغَدَاةَ مِنْ غُصْنِ  
قَدْ خَبَّرُوهَا قِيَامَ شَيْخِكَ فِي  
أَنْتَ كَمَا قَدْ عَلِمْتَ مُضْطَرَبُ  
مُبْدِيَةً لِلشَّنَانِ وَالشَّنْفِ  
فَاسِلُ وَلَا عَطْفَهَا بِمَنْعُطِ  
أَنْتَهُ ذَاتُ الرَّعَاثِ وَالنَّطْفِ  
وَأَنْتَ بَرٌّ بِالْغَانِيَاتِ حَفِي  
يَحْسُنْفِي الْإِيثْنَاءِ وَالْقَصْفِ  
الْحَمَامِ فَاسْتَعْبَرْتَ مِنَ الْأَسْفِ  
الْهَيْئَةِ وَالْقَدِّ ظَاهِرُ الْجَافِ

القصيدة طويلة ولكن نكتفي ببعض الأبيات ، وفيها يخاطب أبو علي هو الحسن المنجم صاحب الجارية الذي يشنع عليه البحري ويهجوها بها ، فسخر منه قائلاً : ما بال الغواني يصددن عنك وأنت بهم مهتم محتف ؟ لان مثل هذا الرجل تكره المرأة ، فيصف في محاسن الجارية فهي صبية في قوام الغصن ، فهو شيخ هرم لا تطيق جاريته رؤيته بسبب دمامته وغلظته ففي هذا الهجاء تحقير وتشنيع وتقليل بهذا الرجل .

يمدح صاعد بن مخلد ، ويهجو يعقوب بن صالح بن شيرزاد :  
صاعد بن مخلد هو وزير للموفق والمعتمد ، شارك في محاربة قائد الزنج حظي مدة ولكنه نكب وسجن . أما المهجو يعقوب فقد هجاه البحري وأباه أحمد بن صالح بن شيرزاد ، ثم أصلح ما بينه وبينهما وقد تولى أحمد بن صالح الوزارة . إذ يقول (٢)

صَفْوَةُ الدَّهْرِ إِذَا الدَّهْرُ صَافَا  
تَجَمَّعُ الشَّمْلُ إِذَا الشَّمْلُ افْتَرَقَ  
لَا يُلْذُّ الْمُتَقَى إِنْ لَمْ يَكُنْ  
بَاعَثُ الشَّوْقُ لَذِيذَ الْمُعْتَنَقِ  
وَأَرَى الْإِمْلَاقَ أَحَجَى بِالْفَتَى  
مِنْ ثَرَاءٍ يَطَّابِيهِ بِالْمَلَقِ  
أَكْثَرُ الْإِشْفَاقِ يُرْجَى نَفْعُهُ  
بَعْدَ أَنْ تَطَّرِحَ الْخِلَّ الشَّفَقِ  
مِنْ زِيَارَاتِ النَّقِصَاتِ لَهُ  
طَبَقٌ يَرْكَبُهُ بَعْدَ طَبَقِ  
كَانَ قُبْحُ الْوَجْهِ يُجْزِينَا فَقَدْ  
زَادَنَا مَلْعُونًا قُبْحَ الْخُلُقِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٧٧٤

(٢) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ج ٢ ،

غَلَطٌ فِي جِرْمِهِ يَشْفَعُهُ حَسَبُ أَهْزَلِ بِاللُّؤْمِ فَدَقُّ  
لَا وَظَيْفُ الْعَيْرِ مَرْقُومٌ وَلَا الْعَجَبُ مَهْضُومٌ وَلَا الْوَجْهُ خَلِقُ

يبدأ الشاعر قصيدته بصفاء الدهر لأن يجمع الأخوان والأحباب ثم ينتقل إلى تلاقي العناق بين الأحباب ،وبعدها يدخل في هجاء يعقوب بن أحمد بصفات الكذب وال فقر والحاجة ، والمعنى أن احتمال الفقر خير من التماس الغنى بالملق والمداهنة ، ويتعدى المعنى إلى أن الإشفاق والتوقى هو أن تحاذر وتتقي رفيقك السوء ، ثم يصفه لنا انه موغل في السوء وأن نقائصه لا تعد ولا تحصى .ومع قبح وجهه تبعه ذلك قبح في أخلاقه ، غليظ في جسمه ، هزيل في حسبه وشرفه ، وقد دق هذا منه حتى لم يُر ، ليس في خلقته ما يستظرف ؛ لا قوائمه ولا كلفه ولا وجهه .يعتبر هذا هجاء صريح .

قال في هجاء وهب بن سليمان على طراطه : (١)

من يأمن البلوى وبيننا فتى من آل وهب بيننا إذ حَبَقُ  
سألت عن ذاك فقيل : استه مكشوفةً لئسَ عليها طَبَقُ  
لو عصرت عنق ظليم وقد أَدْخَلَ فِيهَا رَأْسَهُ مَا اخْتَنَقُ  
قلنا وقد أنطقها بعده يا ذا اللسانين إذا ما نطقُ

قال في هجاء سرجس النصراني (٢)

قُولُوا لِسِرْجَسَ يابنِ الْقَبْحَةِ الشَّبِقَةَ وَمَنْ لَهَا فِي حَشَاها شَهْوَةٌ حَرِقَةَ  
وابن التي جعلت للداء فقحتها وَقَفًا عَلَى كُلِّ فَحْلٍ نَاكَهَا صَدَقَةَ  
وَمَنْ تَذَلُّ لَوْعِ الصَّفْعِ هَامَتُهُ ذُلُّ الْحُلُوقِ الَّتِي بِالْحَبْلِ مُخْتَنِقَةَ  
وَمَنْ إِذَا عَدَّتِ الْأَنْبَاطُ كَانَ إِذَا مَا نَصَّ عَنْ أَصْلِهِ مِنْ أَرْذَلِ الطَّبَقَةَ  
وَمَنْ بَخْرَةَ تُرْدِي مُخَاطَبَةَ نَعَمَ وَتَتْرُكُ مِنْهُ رُوحَهُ قَلَقَةَ  
لكن ترفعت قذراً عنك أن أباي نَجْدٌ كَرِيمٌ وَجَدِّي سَادَ مَنْ سَبَقَهُ

(١) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ٧٩٣

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠٤

يعيره بشهوة أمه وشبقها ، بينما يصفه بأنه أرذل طبقة من الأنباط أو الرعاع ، ورائحة فمه كريهة إذ يقول وإذا نظرنا إلى مجمل الأبيات نجدها من الهجاء الفاحش البذيء .

قال في هجاء أحمد بن روح الأسدي ممن لقيهم البحتري بعد رحيله إلى الشام إلى جهة

الموصل ، ويذكر قوما من رهطه الأزد من أهل الموصل<sup>(١)</sup>

هُوَ الظَّلَامُ فَلَا صُبْحٌ وَلَا شَفَقٌ      هَلْ يُطْلَقُ اللَّيْلُ مِنْ طَرْفِي فَأَنْطَلِقُ؟  
يَسْتَنْشِدُ الضَّيْفَ وَالظُّلْمَاءَ حَالِكَةً      وَقَدْ تَعَلَّمَ مَنْ أَخْلَقَهُ الْأُفُقُ  
الْبَائِتُونَ قَرِيبًا مِنْ دِيَارِهِمْ      وَلَوْ يَشَاؤُونَ أَبْوَا الْحَيِّ أَوْ طَرَقُوا  
إِنَّ الْخُلَاقَ الَّذِي أَنْفَقْتَهُ سَرَفًا      دَاءٌ لَكُمْ مِنْ بَنِي عِمْرَانَ مُسْتَرْقُ  
لَا تَأْخَذُوا حَظَّ أَقْوَامٍ تَلِيْقُ بِهِمْ      إِذَا بَدَتْ مِنْهُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلِيقُ  
يُسَبِّهُونَ ظُهُورَ الْخَيْلِ إِنْ رَكَبُوا      فَيْشَاءَ فَسَيْرُهُمُ التَّقْرِيْبُ وَالْعَنْقُ  
الْبَاخِلُونَ إِذَا مَازَنَ بَدَلُوا      وَالْمُفْحَمُونَ إِذَا مَا رَاسِبٌ نَطَقُوا  
لَوْ قِيلَ لِلْأَزْدِ مَا قَالُوا وَمَا انْتَحَلُوا      مِنْ ادِّعَاءٍ إِلَيْهِ قَالَ : مَا صَدَقُوا

لقد وصف الشاعر بصفات ساخرة منها وصفه بأنه لم يرى منهم أحد عندما حل عليهم الظلام ، وكذلك وصف أخلاقهم مثل الأفق عندما يحل عليه الليل ، وقال لهم لا تتخلقوا بأخلاق من هم أحط منكم من بني عمران ، وقد عريت أخلاقهم وخلقاتهم . وقبيلتهم ذات معيار في البخل والعي وضعف المنطق ، ولو ادعى القوم نسبتهم إلى الأزد لأنكرت الأزد ذلك تبرؤا من الخزي . فهي صفات غير أخلاقية .

وهجا أحمد بن طولون ، وكتب بها إلى إبراهيم بن المدبر بالعراق<sup>(٢)</sup>

بِعَيْنَيْكَ إِعْوَالِي وَطُولُ شَهْيَيْ قِي      وَإِخْفَاقُ عَيْنِي مِنْ كَرَى وَخُفُوقِي  
عَلَى أَنْ تَهْوِيْمًا إِذَا عَارَضَ اطَّبَّي      سُرَى طَارِقٍ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ  
سَرَى جَائِبًا لِلخَرْقِ يَخْشَى وَلَمْ يَكُنْ      مَلِيًّا بِاسْرَاءٍ وَجَبِيبِ وَخُرُوقِ  
سَلَا نُوْبَ الْأَيَامِ مَا بِالْهَاءِ أَبَتْ      تَعَمَّدُ أَلَّا جَفُوتِي وَعَفُوقِي ؟  
أَرَى كُلَّ مُؤَذِّ عَاجِزًا عَنِ أَدْيَيْ      إِذَا هُوَ لَمْ يُنْصَرَ عَلَيَّ بِمُوقِ

(١) المصدر نفسه ص ٨٠٦

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٩

وما زلتُ أخشى مُدَّ تَبَدِّي ابنُ يَلْبِخِ على سَعَةٍ مِنْ أَنْ تُدَالَ بضيق

نظمها الشاعر وهو في الشام ٢٥٦ ومان ابن طولون يتوعد أحمد بن المدبر شقيق إبراهيم بن المدبر. وقد بعث بالقصيدة إلى إبراهيم بالعرق ، فجاء الهجاء مزوجاً بالخوف ذلك ممثل في ميل الرأس إلى النعاس يستدعي خيال الحبيب ، كما أن سري الحبيب على خوف ولم يكن يعود جوب القفار ، وسلا الموصل مصائب الأيام ولكنها تعمدت مخالفته ، ثم انتقل إلى هجائه وهو يصف نفسه لا يغلبني أمري إلا أحقق غبي لعجزني عن مجاراته ، وبشؤم ابن طولون المهجو تتحول السعة إلى ضيق ، ويستحيل اليسر إلى عسر.

وقال في رجل كان يتولى البريد بالرقّة اسمه نهشل : (١)

إليك أمير المؤمنين رسالة من الغرب تسقري فجاج المشارق  
أعيذك بالنعمة من الله أن تُرى قدامى جناح المسلمين لفساق  
أعيرَ بريد الرقّةين غضاضةً بمضطرب الكفين رخو البنائيق  
نعى العدل شرقي البلاد بجوره علينا وباع الناس ثم بدانق  
لهفي الذي استرعيه روحة فاجر بسوءته الأخرى ودلجة سارق  
إذا ما دعا غلمانة لبليّة فخلوته بالعفر دون المراهيق  
مخنت أعراس وليس بمطرب وقينة فتیان وليس بعاتق  
يهيج شحج البغل من كلب استه ويطرب خصيه صياح الفرانق  
وهجا أحمد بن صالح بن شيرزاد وجارية بن أبي قماش : (٢)

تزوجتها بعد إخرافها قلوب النّدامى وإقلاقها  
وقد أعطت القوم من عهدها رضاهم ومن عقود ميثاقها  
فكيف أمنت خياناتها وأنت عليهم بأخلاقها؟  
وكيف انبسطت ولم تتقبض لإجلاسها مع عشاقها  
تحدثهم بمعاني الغناء عن بثّ نفّسٍ وأشواقها  
وأحسب أنك مخفٍ رضي وقد راسلتهم بخلياقها

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٣٥

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٤٥

إِذَا كُنْتَ تُمْكِنُ مِنْ وُدِّهَا فَإِنَّكَ تُمْكِنُ مِنْ سَاقِهَا

هجا البحتري أبا أحمد بن الجوهري : (١)

أَقُولُ لِجَاهِلِكُمْ إِذْ مَلَكَ وَدَارَ لَهُ بِالسَّعْدِ عَوْدِ الْفَلَاحِ  
وَخَنَّتْ لَهْجَتَهُ مُسْمِعاً بِلَفْظِ تَحَلُّ عَلَيْهِ التَّكَاثُفِ  
تَمَاسَكَ عَنِ الْخُنْثِ لَا أُمَّ لَكَ وَلَا تَهْلِكُنْ فِيهِ مَعَ مَنْ هَلَكَ  
فَإِنَّ الْفَتَى وَاجِدٌ مَهْلَةٌ تَبْلُغُهُ الْعُنْزُ مَا لَمْ يُنَاكَ

هجا أخوا العطوي الملقب كويصرة (٢)

أَبْرَى وَأَبْرَكَ يَا كُؤَيْرَةَ فِي حَرَامِكَ مَا أَرَكَّكَ  
بَعَتَ الْغُلَامَ فَمَنْ يَحْكُكَ غَدًا حَتَارَكَ إِنْ أَحَكَّكَ

هجا الجواهري : (٣)

أَتَانِي كِتَابُكَ ذَاكَ الَّذِي تَهَدَّدْتَ فِيهِ ضَلَالًا وَنُوكَا  
وَلَوْلَا مَكَانُ أَبِيكَ الدَّنِيِّ لَقَدْ كُنَّ شِعْرُكَ وَشَيْئًا مَحُوكَا  
وَلَكِنْ وَرِثْتَ عَنِ الْمَلَأْمَانِ فَهَمَّا غَايِظًا وَرَأْيَا رَكِيكَا

هجا رمكة الكاتب : (٤)

قُمْ تَأْمَلْ بِنَا عَجَائِبَ دَهْرٍ كُتِبَتْ فِيهِ لِلرِّجَالِ الرَّمَاكُ  
مَا أَسْرَتْ أُمَّ الْعِيَالِ سُرُورًا مِنْذُ قَالُوا: أَبُو الْعِيَالِ يُنَاكَ  
وَيَخْسُ النَّصِيبُ حَتَّى يَقِلَّ الْحَظُّ فِيهِ وَيَكْثُرُ الْأَشْرَاكُ  
قُدَّتِ الْفَلَوَةُ الْخُضِيرَاءُ مِنْهُ شَبَهًا مِثْلَ مَا يُقَدُّ الشَّرَاكُ

هجا الحارثي : (٥)

أَبَا حَسَنٍ أَنْتَ وَشَكُّ الْأَجَلِ وَتُكُلُ الْغِنَى وَانْتِقَالُ الدُّوَلِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٥١

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٥١

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٥٢

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٥٩

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٦٨



زَعَمْتَ بِأَنَّكَ لَسْتَ الدَّمَارَ      وَلَسْتَ العِثَارَ وَلَسْتَ الزَّلُّ  
فَبَيْنَ لَنَا مَنْ لَوَى شُومُهُ      أبا جَعْفَرَ عَنِ بَرِيدِ الجَبَلِ  
وَتُظْهِرُ فِي آلِ وَهَبٍ هَوَى      وَأَنْتَ نَحَسْتَهُمْ يَا زُحْلُ  
نَقَضْتَهُمْ عُرْوَةَ عُرْوَةَ      وَفَرَّقْتَ عَنْهُمْ جَمِيعَ العَمَلِ

هجا في ابن المغيرة وهو أبو العنيس الصيمري ، أديب هجاء سليط اللسان إذ يقول  
البحثري<sup>(١)</sup>

على ابنِ المُغِيرَةِ أَنْ يُقْتَلَ      وَإِنْ كَانَ لِلنَّبِيِّ مُسْتَقْبَلًا  
تَرَى وَجْهَهُ أَبَدًا كَالْحَا      وَعَنْ نَعَمَ فَمَهُ مَقْفَلًا  
وَمَا هَلَّلَ اللهُ يَنْجُو بِهَا      وَلَكِنْ مِنْ حُبِّ لَا هَلَّا

فهنا جاء الهجاء في صورة تحقير لأنه منافق أفاك ، كما وصفه بعدم المعروف مطلقاً ،  
ولكنه لا يسبح الله لتقواه بل ليكرر في لفظة التهليل حرف لا .

ومن البحر المتقارب هجا أحمد بن إبراهيم بن رباح إذ يقول :<sup>(٢)</sup>

هَجَانِي النُّغَيْلُ وَمَا خَلَّتْنِي      أَخَافُ هِجَاءَ أَبِي حَرْمَلَةَ  
أُرْجِي تَلَوُّنَهُ بِالصَّفَاءِ      وَأُلْقَى قَطِيعَتَهُ بِالصَّلَّةِ  
فَلَا تَحْمَدَانِ مِنْ أَخٍ آخِرًا      إِذَا أَنْتَ لَمْ تَخْتَبِرْ أَوْلَاهُ  
وَكَانَ جَزَائِي مَا قَدْ عَلِمْتَ      وَمَا لَمْ يَكُنْ لَكَ أَنْ تَفْعَلَهُ  
أُرَاكَ رَجَعْتَ إِلَى جَدِّكَ      الشَّرِيفِ وَقِصَّتِهِ الْمُعْضِلَةَ  
وَمَسْرَاهُ فِي بَطْنِ قَوْصِرَةَ      مُخْرَقَةَ الخُوصِ مُسْتَعْمَلَةَ

هجا البحثري أحمد المكنى بأبي حرملة عدة مرات ، وهنا وصفه بصفات قبيحة مثل النغيل  
تصغير نغل أي الفاسد المطعون في نسبه ، كنت أصفو له وأصله بحسن المعاملة ، فما أجد  
منه غير المكر والتلون ، فما تسارع في حمد أحد ما لم تعرف آخر فعله ، كذلك بدل جزاء  
الإحسان بالسوء ، ونجده يفتخر بنسبه الشريف !.. يقصد السخرية ، يعيره بأن جده مهترئ  
الحال ، ورداه مستعملة وهي وعاء من قصب .

(١) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٧١

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨٩٠

هجا مُرَّ بن علي بن مُرِّ الطائي عندما سرقوا فرسه نزل عليهم : (١)  
نوائبُ دهرٍ أَيُّهُنَّ أَنازلُ بعزمي أومِنَ أَيُّهُنَّ أوائلُ؟  
بليتُ بمدحِ الباخلينَ كأنني على الأجودينَ الغرِّ بالشعرِ باخلُ  
وكنْتُ وقد أملتُ مرًّا لنائلٍ كطالبِ جدوى خلةٍ لا توصلُ  
هجا أسد بن جمهور إذ يقول (٢)

أجدُّ لنا منك الوداعُ انتواءه وكنتَ وما تتفكَّ يشغلك الشغلُ  
فوالله ما ندري :الولاية تشتكى عقابِ يلها في مُنتواك أم العزلُ؟  
أم الحظُّ مخسوسٌ لديك مؤخرٌ على كلِّ حالٍ منك تسؤلُ أو تعلو  
وكفلانٍ من وعدٍ عليك مُقدِّمٍ أطاعَ لنا كفلٌ ومانعنا كفلُ  
فما أنتَ بالمرزوقانِ كنتَ عازماً على رشدٍ من فعلٍ ما فعلَ النغلُ

مازلنا ننوي الوداع ونجدد العزم عليه ،فكانه وداع في إثر وداع وأنت المشغول المتشاغل  
عنا ، والله ما ندري الحقيقة في أمرك ؛ هل ملتك الولاية أم اشتاقتك العزل ؟!. ثم هجاه  
حظك الأخرس سواء علوت أم سفلت ، ويقول وعدك كفل ومطلبك آخر ، فلا فائدة ترجى منك  
،ولن ترزق وإن عزمت على رشد مادمت تصدر عن فعل الفاسد المرتكب .

هجا العباس بن عمرو (٣)

يابن عمرو والخيرُ فيك قائلُ كذبَ الظنُّ فيك والتأميلُ  
ومن يكن حاملاً إليك كتاباً فكتابي إليك أيرُّ طویلُ  
ورسولي لحظُّ يُخمسُ ألفاظك إن لم يُوجدُ إليك رسولُ  
لا تدلُّ عليَّ بالبخل ، إنني لئسَ يصيبني الحبيبُ البخیلُ

عباس الغنوي ينتهي نسبه إلى قيس عيلان ، كان عاملاً على بلاد فارس ، هجاه بصفة  
البخل وقليل الخير يكذب فيه الظن ويخيب ، كما لا يحمل إليه كتاباً ، لأنه لا يحب أن  
يتعالى له بصفة البخل .

(١) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ،

ج ٢ ص ٩٠٢

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٩١٩

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٩٣٤

هجا إبراهيم بن الحسن بن سهل (١)

أَبَا الْفَضْلِ أَنْتَ فَتَى فَارِسٍ لَكَ الشَّرَفُ الْخُسْرُوَانِيُّ كُلُّهُ  
أَرَاكَ تَحْرِمُ لَحْمَ الْجَزُورِ وَلَوْ قَامَ أَلْفُ نَبِيٍّ يُحِلُّهُ  
وَتَغْضَبُ لِلْفِيلِ إِنْ أَرْزَقُوهُ لِأَنَّ الْأَعَاجِمَ كَانَتْ تُجِلُّهُ

إبراهيم بن الحسن بن سهل ، كان أبوه وزيراً للمأمون وقد زوج الخليفة من ابنته بوران ، ويروى أن إبراهيم صار حاجباً للمتوكل . وللبحتري فيه أكثر من عشر قصائد بين مديح وعتاب وتعريض . ولعله يكنيه بأبي الفضل سخرية من بخله ، ويغمز ببخله ، كأنه يحرم لحم الذبائح .

هجا رجل من أهل بلده : (٢)

أَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الدُّمُوعِ السَّوَائِلِ      بَيَانٌ لِنَاهٍ أَوْ جَوَابٌ لِسَائِلِ؟  
سَوَائِقُ دَمْعٍ مِنْ جُفُونِ سَوَائِلِ      إِذَا سُكِّبَتْ سَحًّا ذَرَّتْ بِالْأَنَامِلِ  
دَلَائِلُ مَكْنُونٍ مِنَ الْوَجْدِ لِأَعْجِ      وَسَحُّ دُمُوعِ الْعَيْنِ أَقْوَى الدَّلَائِلِ

هج أحد البخلاء : (٣)

لِسَانَكَ أَحْلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ مَوْعِدًا      وَكَفَّكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضْيِيقُ مَنْ قُفِّلِ  
تُؤَمِّنِي الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا أَنْتَهَى      إِلَى أَمَدٍ نَاوَلْتَهُ طَرْفَ الْحَبْلِ  
البيتان في معرض السخرية والاستهزاء يعطي الموعد ويستحلى الكلام مثل العسل وإذا جاء موعد الوفاء كان أضيق من قفل وتؤمني الذي يأتيك حتى إذا دنا منك ناولته طرف حبل يطول ويطول .

هجا أبا الفضل أسد بن جمهور : (٤)

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مِنْ فَرَضٍ وَقَرَضٍ      تَعَذَّرَ عِنْدَ آبَاءِ الْفُضُولِ  
وَمَا أَسَدٌ وَلِيٌّ يَدِ فَتْرُجِي      نَوَافِلُهُ وَلَا مَوْلَى جَمِيلِ

(١) د. محمد التونجي ديوان البحتري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج

٢ ص ٩٥٣

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٧٦

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٩٢

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٩٦

وَضِيعُ الْقَدْرِ مِنْ عَدَمِ الْمَسَاعِي وَمَيَّتُ الذِّكْرِ مِنْ سَرَفِ الْخُمُولِ

هجا المادرائيين ، ويخاطب بذلك بعض الكتاب<sup>(١)</sup>

تُلُومُ الْمَادِرَائِيِّينَ جَهْلًا وَبَعْضُ اللَّوْمِ أَوْلَى بِالْجَهْلِ  
وَتَعْدْلُهُمْ إِذَا نِيكُوا كَأَنْ لَمْ تَنْكُ مِنْ قَبْلِهِمْ شَيْعُ الْعَدُولِ  
وَتَنْسَى حَظَّ خَوْلَةٍ فِي الْمَخَازِي وَلِعَبَ أَبِي الْفَوَارِسِ بِالطَّوِيلِ  
فَضَائِحُ لَا يَزَالُ يُكْرَهُ مِنْهَا عَلَى قَالٍ تَعَرَّبَهُ وَقِيلَ

المادرائيون نسبة إلى مادرايا في العراق جنوب بغداد ، كان أشراف الفرس يقطنونها وقد هجا منهم البحثري أبا يزيد المادرائي ، في هذه الأبيات تقرع لأحد الكتاب بما هجاهم به . وقال في أبي يزيد لا تلم القوم جهلا وجمعا ، فقد تكون أنت أولى باللوم من هؤلاء ، تعذلهم فيما فعل بهم من الفحش كأن قومك وشيعتك قد سلموا مما تقول ، ومجمل هذه الأبيات تتحدث عن الهجاء الفاحش وقد صورته بألفاظ بذئية .

هجا الخثعمي :<sup>(٢)</sup>

وشاعرٍ نَسَبْتُهُ	بحيلةٍ من حيلةٍ
تُذَكِّرُنَا رُؤْيَتَهُ	مُتَالِعًا فِي ثِقَلِهِ
أَبَاؤُهُ مِنْ كَسْبِهِ	وَخَفَهُ مِنْ عَمَلِهِ

الخثعمي إسكاف وشاعر ، هجاه البحثري وغيره مرارا ، وهو لا ينتسب إلا حيلة من حيلة فهو إسكاف متمكن ، إذا رآه ذكره بحبل متالع في ثقله ، كفاه من الوضاعة وضاعة الآباء والمكتسب .

مدح المستعين ، وهجا أحمد بن الخصيب<sup>(٣)</sup>

مَا الْغَيْثُ يَهْمِي صَوَّبَ إِسْبَالِهِ وَاللَّيْثُ حَمِي خَيْسَ أَشْبَالِهِ  
كَالْمُسْتَعِينِ الْمُسْتَعَانَ الَّذِي تَمَّتْ لَهُ النُّعْمَى بِإِفْضَالِهِ

(١) د. محمد التونجي ديوان البحثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ج ٢ ،

ص ١٠١٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٣٢

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٣٧

تَلُو رَسُولِ اللَّهِ فِي هَدْيِهِ وَابْنِ النُّجُومِ الزُّهْرِ مِنْ آلِهِ  
لَابِنِ الْخَصِيبِ الْوَيْلُ كَيْفَ أَنْبَرَى بِأَفْكِهِ الْمُرْدِي وَإِطَالِهِ؟  
كَادَ أَمِينَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَفِي مَوَالِيهِ وَفِي مَالِهِ  
وَرَامَ فِي الْمُلْكِ الَّذِي رَامَهُ بِغِشِّهِ فِيهِ وَإِدْغَالِهِ  
وَأَمَلَ الْمَكْرُوهَ فِي غَيْرِهِ فَغَالَهُ مَكْرُوهُ آمَالِهِ  
قَدْ أَسْخَطَ اللَّهُ بِإِعْزَازِهِ الدُّنْيَا وَارْضَاهَا بِإِذْلَالِهِ

ولي الخليفة المستعين الخلافة بعد المنتصر ، وكان وزيره أحمد بن الخصيب ، ولكن الموالى الترك صرفوه عن الوزارة ونفوه . فالأبيات الأولى يمدح فيها المستعين في العطاء ، ويأتي تاليا يشير إلى قربى الممدوح من الرسول ﷺ . واستعار لذوي قرابته النجوم الزهر . ثم يلتفت إلى هجاء الوزير أحمد بن الخطيب ويصفه بأنه الكذب والزيف الباطل ، وذهب إلى أبعد من ذلك باتهام الوزير بأنه مكر بالخليفة ، وانه دخل في الفساد ، وأرد الأذية لغيره فوقع فيها ، وأعز الدنيا وأرضاها فاستحق غضب الله فأذله . فالهجاء تحقير لنفسه وإذلاله .

هجا بني الفصيص وأبا فهم داود بن إبراهيم : (١)

لَعَمْرُكَ مَا أَبُو فَهْمٍ لَفَهْمٍ صَاحِبًا فِي الْوَلَاءِ وَلَا صَمِيمًا  
مَتَى دُعِيَ الْكِرَامُ إِلَى الْمَسَاعِي تَقَاعَسَ ثُونَهَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَا  
وَيَقْعُدُ بَابِنِ تُوْمَا بَيْتُ سَوْءٍ مِنَ الْأَنْبَاطِ يَعْجَزُ أَنْ يَقُومَا  
إِذَا الْبِئْسَمِينَ دَخَّنَ فِي لِحَاهُمُ رَأَيْتَ رَكَكَةً مِنْهَا وَأُلُومَا

هجا بني الفصيص وأبا فهم بن داود بن إبراهيم ، وبنو فصيص أصلهم من يهود يثرب ، وأبو فهم هو داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي وهو المهجو ، فقد جاءت السخرية فوصفهم ليسو من العرب ، وبتهمهم بالتزوير وضعف الرأي وأن أباهم مخنث .

قال في هجاء أحمد بن أبي العلاء المغني : (٢)

مُغْنِيكَ لِلْبُغْضِ فِيهِ سَمِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى خَلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ

(١) د. محمد التونجي ديوان البحري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ،

ج ٢ ، ص ١٠٦٨

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ، ص ١٠٧٠

تَزِيدُ الْإِهَانَةَ فِي شَأْنِهِ صَاحِحًا وَتُفْسِدُهُ التَّكْرُمَةَ  
يُرْعَشُ لِحَيْتِهِ عِنْدَ الْغِنَاءِ كَأَنَّ بِهِ النَّافِضَ الْمُؤَلِّمَةَ  
كَأَنَّ الْكَشُوتَ عَلَى شَوْكِهِ تَعَقَّفُ لِحَيْتِهِ الْمُجْرِمَةَ

هجا احمد بن أبي العلاء المغني في عصر المتوكل ف جاء الهجاء في صورة صريحة لا تليق بالمهجو إلا المهانة وانه كثير الحركات عشوائي التلفت والهمهمة ، سيء الخلق ، قبيح المنظر .

كذلك هجا قوماً من أهل نصيبين من كتاب إسحاق بن أيوب كان متولياً أعمال ديار ربيعة ومركزها نصيبين وهي مدينة شامية على تخوم تركية اليوم يهجو إسحاق بصفات الخسة والحاجة والفقر والبخل وكذلك أنه سحابة كاذبة جهام لا مطر فيها<sup>(١)</sup>

تَبَّأَ لِلْحَمِكِ أَيُّهَا اللَّحَامُ وَلِخُبْزِكَ الْوَيْحَ الَّذِي تَسْتَأْتُمُ  
بَاكَرْتَ خَلَّتْنَا وَرَأْسُكَ أَشْيَبُ وَلَوَيْتَ حَاجَتَنَا وَأَنْتَ غُلَامٌ  
فِي كُلِّ حَالَيْكَ اكَتَسَبْتَ مَذْمَةً لَا ثَرْوَةَ حُمِدَتْ وَلَا إِعْدَامُ  
قَدْ كَانَ وَاجِبُنَا عَلَيْكَ مَبْرَةً إِنْ لَمْ تُبَسِّرْ تَحْفَةً فَسَلَامٌ

في هذه القصيدة هجا البحثري صاحب بريد ديار مضر، نهشل صاحب بريد الرقة

إذ يقول (٢)

الآن أَيْقَنْتُ أَنَّ الرَّزْقَ أَقْسَامُ لَمَّا تَقَلَّدَ أَمْرَ الْبُرْدِ حَجَّامُ  
صَانَ الْقَوَارِيرَ خَوْفَ الْعَزْلِ فِي سَفَطٍ فِيهِ مَشَارِطٌ لَا تُحْصَى وَأَجْلَامُ  
حَتَّى إِذَا خَفَّ بِالْجُلَاسِ مَجْلِسُهُ وَدَارَ فِيهِ لَهُمْ نَقْضٌ وَإِبْرَامُ  
نَادَى بِسَوْسَنَ أَنْ هَاتِ الْأَدَاةَ فَمَا قَلَّبْتُهَا لِاتِّصَالِ الشُّغْلِ مُذْ عَامُ

قال أيضاً<sup>(٣)</sup>

كُلُّ أَخْلَاقٍ عَلَيَّ نَجْتَوِيهَا وَنَذْمُهُ

(١) د. محمد التونجي ديوان البحثري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ج ٢ ،

ص ١٠٨١

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨٧

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٩٣

هُوَ قَرْدٌ حِينَ يَبْدُو      غَيْرَ أَنَا لَا نَكْمُهُ  
مُقَاتَاهُ وَحَجَاجَاهُ      وَشِدْقَاهُ وَخَطْمُهُ

هذه الأبيات يهجو فيها علي بن يحي المنجم ، وكان يشبه بالقرد ، وألزمه ذلك المتوكل وتعد من الهجاء المازح استدعت ضحك المتوكل وغضب المنجم .

قال هاجبياً<sup>(١)</sup>

يا قَبْرَ يَحِي ، لا عَدَمْتَ تَحْيَةَ مَنْ كَلَّ ذَاتِ تَبَسُّمٍ وَتَرْنَمٍ  
فِيمَ المَرَامِ لِرَأْيِ صَاحِبِ هِمَّةٍ قَتَلَتْ بِهَا نُوبُ القَضَاءِ المُبْرَمِ ؟  
أَوْ ما عَلِمْتَ بَأَنَّ مَنْ طَلَبَ العُلاَ بالسِّيفِ في يَوْمِ الوَعْيِ لَمْ يَسْلَمْ ؟  
ما زال يَعْثُرُ بِالأَسِنَّةِ وَالظَّبَّابِ حَتَّى انْتَهَى وَأَدِيمُهُ كالعَظْمِ  
وَلَقَدْ رَأَيْتُ البَيْضَ تَأْخُذُ دِرْعَهُ فَذَكَرْتُ عَرَضَ مُحَمَّدِ بْنِ الهَيْثَمِ  
غَرَضَ الأَيُّورِ يَقُولُ عِنْدَ لِقَائِهَا: "لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَيَّ القَنَا بِمُحَرَّمٍ"

المهجو بهذه الأبيات محمد بن هيثم الخراساني من أهل مرو ، وهو من ممدوحى أبي تمام،  
وحري بك أن تعلم أن من يطلب العلا بالسيف يتعرض للقتل ، وتناوشته الأسننة متعثراً حتى  
انكب على وجهه . فهو ضعيف أمام ملذاته .

قال في هجاء فضل بن عبد الكريم إذ يقول<sup>(٢)</sup>

لَمْ يَكُنْ بِالكَرِيمِ فِعْلاً وَلا البَارِعِ فَضْلاً فَضْلُ بِنِ عَبْدِ الكَرِيمِ  
إِنْ يُسَافِرُ فِي صَالِحٍ مِنْ فِعَالٍ غَلَطاً تَلَقَّاهُ سَرِيعَ القُدُومِ

فهنا المهجو اسمه فضل لكنه ليس ذا فضل ولا كرم ، وإن هو قصد فعل الخير تراجع عن  
قصده فجاء الهجاء صريح بأساليب التحقير والذلة وغيرها .

قال في هجاء البحبجاني المغني:<sup>(٣)</sup>

رَأَيْتُ البَحْبَجَانِيَّ اسْتَقَلَّتْ رِكائِبُهُ بِحِرْمَانَ عَظِيمِ  
إِذَا رَامَ التَّخْلُقَ جاذِبَتُهُ خَلاتِقُهُ إِلَى الطَّبَعِ القَدِيمِ  
بكى أَمالَهُ لَمَّا رآها عياناً وَهِيَ دارِسَةُ الرُّسُومِ  
وَتَرْتالِقُومَ ثُمَّ ظَنَنْتُ فِيهِمْ ظُنُوناً لَسْتُ فِيها بِالحَكِيمِ  
وَقُلْتُ : تَوَقَّ مُحْتَمِلاً يُورِي عَنِ الأَضْغَانِ بِالخُلُقِ الكَرِيمِ  
فَما خَرَقَ السَّقِيهِ وَإِنْ تَعَدَّى بِأَبْلَغَ فِياكَ مِنْ حِقْدِ الحَلِيمِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٢٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣٠

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٤٤



الهجاء يقصد منه التحلي بالأخلاق المرموقة، والبعد عن سوء الظن بقومك ، وإزالة الأحقاد، ثم يقارن بين حمق السفية والحليم ويقصد أن حمق الحليم أسوأ. وأيضا تناولت سهام الهجاء بشر بن الفرغ النصراني العكبري من البحر المتقارب إذ يقول:<sup>(١)</sup>

نُطالِبُ بِشْرًا بِسُفْيَا المُدَامِ وَبِشْرٌ يُطالِبِنَا بِالثَّمَنِ  
 أَمِنْ عَادَةٍ لَكَ فِي بَيْعِهَا أَمْ البُخْلُ مِنْكَ طَرِيقُ قَمَنْ؟  
 فَإِنْ بَعْتِنَاهَا فَنَكِّبْ بِنَا عَنِ البَخْسِ فِي بَيْعِهَا وَالغَبْنِ  
 وَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ حَتَّى نَعُدَّ قَبِيحَكَ فِي بَيْعِنَاهَا حَسَنَ  
 عَذِيرِي مِنْ تاجِرِ خازِنٍ بَضائِعُهُ فِي أَصِيصٍ وَدَنْ  
 وَبَعْضُهُمْ فِي اخْتِياراتِهِ يُحِبُّ الدَّائَةَ حُبَّ الوَطَنِ

جاء الهجاء يوضح صفات بشر بالبخل والغش في البيع فالهجاء تحقيري غير أخلاقية . هجا فضل بن عبدالكريم يوضح فيها ، إن إهانته يزيد من قدر النعمة ، وحرق قلبه بسبب سلب غلامه إذ يقول:<sup>(٢)</sup>

يا بِنَ عَبْدِ الكَرِيمِ مِنْ أَزِيدِ الأَشْيَاءِ فِي قَدْرِ نِعْمَةٍ أَنْ تُهانَا  
 لَمْ يَزَلْ شُومُكَ المَجْرَبُ فِي الأَحْزَابِ قَدَمًا حَتَّى عَزَلْتَ أَخانا  
 قَدْ رَأَيْتَ احْتِراقَ قَلْبِي لِتُرْكانَ فَإِلَّا تَرَكَتَ لِي تُرْكانا

هجا أبو عبيدة الحلبي إذ يقول:<sup>(٣)</sup>

لا تُجْزِينَ أبا عُبَيْدَةَ صالِحًا عَنِ طُولِ وَقْفَتِنَا بِقِنَسْرِينَا  
 جُزْنا وما كانَ الجَوازُ هَوَى لَنَا تَعيينَ مِنْ نَصَبِ السُّرَى لِغيبِنَا  
 وَسَرْتَكِلا بَكَ بِالنُّبَاحِ كَأَنَّما يَطْلُبُنْ ثارًا قَدْ تَقَدَّمَ فِينا  
 مُتَبَعَّاتٌ بِالنُّبَاحِ وَراءِنَا حَتَّى طَرَحنا زادِنَا فَرَضِينا

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٦٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٦٤

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٦٤

فهنا الهجاء جاء في صورة توبيخ حيث أوقفه في تلك البلدة التي تدعى قنسرين وهي مشهورة تقع شرقي حلب اندثرت فطال فيها الانتظار وقد أعياهم التعب ،ورسم صورة الكلاب وهي تهاجمهم كأنها تطالبهم بثأر قديم فهي صورة تحقير وتقليل من الشأن .

هجا أبو مسعود الصابوني إذ يقول: (١)

حُرِمْتُ النُّجْحَ حَرْمَانًا مُبِينًا      ودافعَ ظالمي حيناً فحِينَا  
وَأَصْبَحَ قَدْ تَعَرَّضَ دُونَ حَقِّي      أَحْسُ قُضَايَكُم حَسَبًا وَدِينَا  
سِيرُضِي بِالْبَنَاتِ إِذَا رَأَهُ      حَصِيفٌ كَانَ يَطْلُبُ الْبَنِينَا  
أَرَى مِئْتِي تَعَذَّرَ مُبْتَغَاهَا      وَكَانَ الْحَقُّ أَنْ أُعْطِيَ مِئِينَا  
وَعُظْمُ بَلِيَّتِي أَلَّا أَرَى لِي      عَلَى مَكْرُوهِ دَافِعَهَا مُعِينَا

الهجاء جاء في صورة توبيخ وتبخيس مع عدم توفيقه بالنجاح ، وظلمه مراراً والذي قام بذلك أسوأ القضاة حسباً ونسباً، كما أن المهجو وعده بالفلوس فلم يعطيه ، ومن سوء حظه أنه لم يجد من يسانده في مكروه .

مزج بين المدح والهجاء مثل، مدح أبو عيسى العلاء بن صاعد ، وهجا ابن البريدي

إذ يقول (٢)

مَا جَوْ خَبْتِ وَإِنْ نَأَتْ ظُعُنُهُ      تَارِكُنَا أَوْ تَشُوقَنَا دَمْنُهُ  
وَرُبَّ صَابِي نَفْسٍ إِلَى سَكَنِ      يَسُومُ إِتْوَاءَ نَفْسِهِ سَكْنُهُ  
تَصْنَعُ صَنْعَاؤُهُ لَهُ شَرْفًا لَمْ      تَتَأَخَّرَ عَنْ مِثْلِهِ عَدْنُهُ  
إِنْ هَزَّهُ الْمَادْحُونَ سَامَحَهُمْ      فَرَعٌ مِنَ النَّبْعِ طَيِّعٌ فَنْنُهُ  
أُذْكَرُ هَدَاكَ إِلَهَ أَغْثَرَ لَا      يُغْسَلُ بِالْبَحْرِ طَامِيًا دَرْنُهُ  
إِنْ وَضِعَ مِنَ الْيَهُودِ إِذَا      اسْتُنْطِقَمَ يَرْتَفِعُ بِهِ لَسَنُهُ  
وَمَا رَابَ رَأْيِي إِلَّا جَعَلْتَكِ      مِيزَانًا عَلَيْهِ فِي الْحَزْمِ أَمْتَحْنُهُ

تناول في أبياته أنه تشوق إلى تلك الديار بعد رحيل أهلها التي تقع بين مكة والمدينة ، ويشد إلى ذلك الإستئناس بالديار ،وممدوحه من أهل اليمن تفخر به صنعاء وعدن ،ومن ثم ينتقل

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١١٦٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٠٣

إلى هجاء ابن البريدي ويصفه بأنه أغثر ، ولا يبقيه ماء البحر لكثرة وسخه ، ويقرعه بأصله اليهودي الوضع .

هجا الحسن بن رجاء إذ يقول (١)

عَفَى عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ بِفَتَكَتِهِ عَلَى غَرَائِبِ تِيهِ كُنَّ فِي الْحَسَنِ  
أُنْسَتْهُ تَفْقِيْعُهُ فِي اللَّفْظِ نَازِلَةً لَمْ تُبْقِ فِيهِ سِوَى التَّسْلِيمِ لِلزَّمَنِ  
لَمَّا رَثَيْتَ رَجَاءً خَلْتَانَاكَ قَدْ ثَارَتْهُ بِبِكَ الْقُمْرِيُّ فِي الْفَنَنِ  
فَنِمْتَ عَنْهُ وَلَمْ تَخْفَلْ بِمَصْرَعِهِ لَا مَتَعَ اللَّهُ تِلْكَ الْعَيْنَ بِالْوَسَنِ  
حِرْصًا عَلَى إِرْثِ شَيْخٍ ظَلَمَضَهْدًا بِالشَّامِ يَكْبُو عَلَى الْعَرْنَيْنِ وَالذَّقَنِ

الحسن بن رجاء من موظفي الديوان في عهد المأمون ، واستمر على عمله في الدواوين ، وكان أبوه من موظفي الخراج ، فقتله علي بن إسحاق في دمشق . فالهجاء يتناول استلامه للأيام بعد أن أقعده المصيبة ، وإنكباب أبوه على المال متحملاً في سبيل ذلك الإهانة .

كذلك نجده مزج بين الهجاء والثناء ، مثل هجا علي بن الأرمي ، ويرثي المتوكل

والفتح إذ يقول : (٢)

أَمِنْ بَعْدِ وَجَدِ الْفَتْحِ بِي وَغَرَامِهِ وَمَنْزَلَتِي مِنْ جَعْفَرٍ وَمَكَانِي  
أَكْلَفُ مَدَحِ الْأَرْمَنِيِّ عَلِيَّ الَّذِي لَدَيْهِ مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالشَّنَانِ ؟  
وَمِنْ خُلُقِ يَسْتَتَكْفُ الْكَلْبُ أَنْ يُرَى لَهُ جَارَ بَيْتٍ أَوْ رَضِيعَ لِبَانِ ؟  
نَدِيمِي لَا زَالَ السَّحَابُ مُوَكَّلًا بِجُودِكُمَا بِالسَّحِّ وَالْهَطْلَانِ  
فَلَوْ كَانَ صَرَفًا لِدَهْرٍ حُرًّا عَدَاكُمَا إِلَيَّ وَمَا نَاصَاكُمَا وَعَدَانِي

الآبيات كلها تدور حول هجا علي بن الأرمي حيث وصف أخلاقه بالدنائيه يأنف الكلب أن يكون جاره وهو تصوير مقذع وبذئ غير مهذب ، من ثم ينتقل الشاعر إلى ثناء المتوكل والفتح ويدعو لهما بالسقيا .

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢٤

هجا دحمان بن نهيك إذ يقول: (١)

أمرُّ على حَلَبِ ذاتِ البساتينِ      والمنظرِ السَّهْلِ والعَيْشِ الأفانينِ  
وَقُلْ لِدُحْمَانَ إِنِّ وَاجَهْتَ جَمَّتَهُ      تَقُلْ لِمُضْطَرِبِ الأَخْلَاقِ مَأْفُونِ  
أَمْسَكْتَ نَيْلَكَ إِمْسَاكَ القُمْدِ ولو      أَعْطَيْتَلَمْ تُعْطِ غَيْرَ القُلِّ والدُّونِ

من هذه الأبيات نجد أن الهجاء جاء في صورة نم ، لقد وصف هذا الرجل بالبخل الشديد في العطاء ، ولو دُفِعَ للعطاء يعطي أقل من القليل .

هجا ابن أكتم إذ يقول : (٢)

ما في مُعَاشِرَةِ ابنِ أَكْتَمَ سَاعَةٌ      خَطَرٌ لذي عَقْلٍ ولا مَجْنُونِ  
أَعْمَى لَهُ بَصْرٌ يَعِيبُ صَدِيقَهُ      يَأْتِي المَثَالِبَ فِي خَفَاً وَسُكُونِ  
يُبْدِي لِنَازِيِّ القُضَاةِ وَسَمْتَهُمْ      وَأَجَلٌ طُعْمَتِهِ مِنَ التَّقِيينِ  
كَمْ تَمَّ مِنْ وَصْفِ يَسْرُوكَ حَاضِرًا      وَمَعَ المَغِيبِ فَلَيْسَ بِالمَأْمُونِ

هو يحيى بن أكتم من أحفاد الحكيم أكتم بن وصفي ، قاض في عهد عدد من الخلفاء أولهم المأمون ، هجاه بصف الغدر والخيانة قد يسرك بكلامه في حضورك وإذا غبت لم تأمن غيبته.

قال في هجاء طماساً (٣)

تُرَى لِقَزْوِينَ عِنْدَ اللهِ صَالِحَةً      وَقَدْ تَوَلَّى طِمَاسٌ أَرْضَ قَزْوِينَ  
ما لِلنَّدَامَى تَشَكَّوْا مِنْهُ أَبْهَةً      فِيهَا تَطَاوَسُ عَاتِي الجَهْلِ مَجْنُونِ  
لن يَحْمَدُوكَ على خَلْقٍ ولا خُلُقٍ      إِذَا رَأَوْكَ بِإِلا عَقْلِولا دِينِ؟  
بَأَيِّ مُخْزِيَةٍ جَمَّشْتَ قِيْنَتَهُمْ؟      أَبَاسَتْ مُسْتَحْلِقَ أَمْ أَيْرَعْنَيْنِ؟

قال في هجاء إسرائيل الأعور الكاتب النصراني ، وقد قوم له أراد بيعة بأقل من ثمنه: (٤)

أرانا لا نزال نسامُ خَسَفًا      بِرِجْسِ النَّفْسِ رِجْسَ الوالِدَيْنِ  
مَتَى نَرُضَى وَدَجَّالُ النَّصارَى      يُقَوِّمُ ما يَراهُ بِفَرْدِ عَيْنِ؟

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢٤

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢٥

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٢٧

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤

وَأَجُورُ خُطَّةِ طَاوُوسٍ حُسْنٍ يُؤَلَّى الْحُكْمَ فِيهِ غُرَابٌ بَيْنَ

الهجاء لإسماعيل بأنه يقلل من شأن الأشياء وتحقيرها لأنه يرى بعين واحدة لذا يحدد ثمن الأشياء بالنصف .

قال في هجاء زحول الحلبي (١):

قَد مَرَرْنَا بِزَحُولٍ يَوْمَ دَجْنٍ فَآتَانَا بَعْدَلٍ فَحَمَّ تَغْنِي  
خُنْفَسَاءُ أَعَمَّتْ مِنَ الْقُبْحِ عَيْنِي وَأَصَمَّتْ بِسِيءِ الْقَوْلِ أُذُنِي  
لَسْتُ أُدْرِي إِذَا أَشَارَتْ بِصَوْتٍ أَتَغْنِي جَلِيْسَهَا أَمْ تُزْنِي

فالهجاء جاء في صورة ساخرة عندما قدم تلك المرأة السوداء التي تغني كأنها جوالق فحم وكذلك ذمها بكريهة رائحتها ، هجاها بقبحها وقبح صوتها.

قال في هجاء بعض بني حميد إذ يقول (٢)

بَنِي حُمَيْدٍ تَوَلَّى الْعِزُّ أَوْلَكُمْ وَصَارَ آخِرُكُمْ لِلذَّلِّ وَالْهُونِ  
أَبَتْ لَكُمْ أَنْ تَتَالَوْا فَضْلَ مَكْرَمَةٍ لِحَيِّ النُّيُوسِ وَأَعْطَافِ الْبِرَادِينِ  
وَفِي أَبِي جَعْفَرٍ مَرَأَى وَمُسْتَمَعٌ مِمَّنْ يُسَلْسَلُ فِي دَيْرِ الْمَجَانِينِ  
جَزَلَ الرَّقَاعَةَ فَذَمَّ يَدَّعِي أَدْبَاءَ وَلَيْسَ يَفْرُقُ بَيْنَ التَّيْنِ وَالطِّينِ  
يُذْنِيكَ نَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ مَزْرِيَةٍ وَنَيْلُهُ مِنْ وَرَاءِ الْهِنْدِ وَالصِّينِ

يتحسر الشاعر علي مضي عز آل حميد ويعدد مآثرهم ونهايتهم بالذل والهوان ويذم أبو جعفر بأنه واسع الحمق يتظاهر بالأدب في حين أنه لا يفرق بين التين والطين كما ذمه

بالبلخ في العطاء قال في هجاء مغنياً إذ يقول (٣)

غِنَاؤُكَ يُورِثُكَ التَّزْنِيَةَ وَشَتْمًا وَطَرْدًا مِنَ الْأَفْنِيَةِ  
وَفَقْدَكَ أَجْدَرُ مِنْ أَنْ تُبَرَّ وَشَتْمَكَ أَوْلَى مِنَ التَّكْنِيَةِ  
وَيَوْمٌ وَلَدَاكَ لِلتَّعْزِيَاتِ وَيَوْمٌ وَفَاتِكَ لِلتَّهْنِيَةِ  
إِذَا الْمَرْءُ فِيكَ سِيئًا أَثِيبَ عَلَى حُسْنِ تِلْكَ النَّيَةِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٥١

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٦٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٧٨

يخبرنا الشاعر بهذا المغني بأن غناه يضر به ويؤدي به إلى الشتم والطرده من الساحات ،والموت أفضل من تعطي ،وشمتك صراحة أحسن من أن تتادي بأبي فلان ، وكان العزاء يوم ولادتك ،و ستكون وفاتك تهنئة لنا فالهجاء في غاية التحقير والحط بمكانة هذا المغني فهو غير أخلاقي .

هجا أبو المعمر الهيثم بن عبد الله بن المعمر إذ يقول : (١)

أَتَرَى هَيْثَمًا يُطِيقُ تَرْضَى حَاجِبَ جَامِعٍ لَنَا حَاجِبِيهِ ؟  
أَمْتَرَى الْمَطْلَ مُبْقِيًا لِي فَضْلًا مِنْ نَوَالٍ أَنْفَقْتُ مِنْهُ عَلَيْهِ ؟  
لَسْتُ أَشْكُو إِلَّا شَفِيعِي فَهَلْ لِي مِنْ شَفِيعٍ إِلَى شَفِيعِي إِلَيْهِ ؟

يخاطب الشاعر هيثم بأنه يُرضي حاجباً مانعاً عابساً؟ أم أن مماطلته فضلاً من سخاء كنت أنفقته عليه قبلاً ؟ فليس لي إلا أن أشكو إلى شفيعي ، فهل يشفع لي شفيعي إليه ؟ فالهجاء في صورة استفهام وعطف .

في ديوانه أهاج مختلفة ترجع إلى حرمانه من جائزة ،وإما إلى كفران صنيعه عند بعض معاصريه ،وإما إلى منافسيه بينه وبين الشعراء وخاصة من كان قبله يتعرض لشعره بالذم والنقد اللاذع ،ويلاحظ أبو الفرج الأصبهاني في ترجمته أنبضاعته من هذا الفن قليلة ويروى عن ابنه أبي الغوث إن السبب في ذلك أن أباه أحرق هجاءه في النار خوفا من مغبة عداوتهم له لأبنائه وكأن هذه الرواية لم تعجب أبا الفرج فقد عاد يؤكد أن أكثر هجائه ساقط غث الألفاظ ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه.

### الهجاء عند البحتري :

وأقل بضاعة البحتري في ديوانه الهجاء ،وهنا يختلف صاحب الأغاني عن المرزباني نقلا عن الأخفش عن أبي الغوث (ابن البحتري): أن الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له اجمع كل شيء قلته في الهجاء ، ففعل ، فأمره بإحراقه ثم قال له يا بني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي ،وكافات به قبيحا فعل بي وقد انقضى أدبي في ذلك وان بقي روي وللناس أعقاب يورثهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك ومعاشك لا فائدة لك فيه قال فعلت انه نصحني وأشغف على فأحرقته ويعقب على ذلك الأصفهاني بان أكثر هجائه ساقط ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه ،ولا يعرف له

(١)المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٩٢

جيد إلا في قصيدتين إحداهما في أبي قماش والثانية في يعقوب بن الفرج " ولا نعلم مبلغ هذه القصة من الصحة ،ولكن الذي تعلمه أن الشاعر ترك لنا شيئاً من هجائه ، وما تركه يجوز لنا القول انه لم يكن فيه ميل ابن الرومي ودعبل وإضرابهما إلى الهجاء وروى ابن الرشيقي قال : "هجا ابن الرومي والبحتري وابن الرومي من علمت فأهدى إليه البحتري تحت متاع وكيس دراهم ، وكتب إليه بيتين ليريه إن الهدية ليست تقيّه ولكن رافة عليه وانه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط .

أما المرزباني فينسب إلى البحتري سوء العهد وخبث الطريقة في الهجاء قال "وكثير من أهل الأدب ينكر خبث لسان علي بن العباس الرومي ويضربون عن إضافة البحتري إليه وإلحاقه به مع إنسان ابن الرومي في إساءته وقصور البحتري عن مداه فيه ، وانه لم يبلغ في دقة معانيه وجودة ألفاظه وبدائع اختراعاته أعنى الهجاء خاصة ثم يذكر قلة وفائه لأنه هجا نحو أربعين رئيساً ممن مدحهم منهم خليفتان .

في ديوانه أهاج مختلفة ترجع إما إلى حرمانه من جائزة إما إلى منافسة بينه وبين الشعراء وخاصة من كان يتعرض لشعره بالذم والنقد اللاذع . ويلاحظ<sup>(١)</sup> أبو فرج الأصبهاني في ترجمته أن بضاعته من هذا الفن قليلة ، ويروى عن ابنه أبي الغوث إن السبب في ذلك أن أباه أحرق هجاءه في الناس خوفاً من مغبة عداوتهم له ولأبنائه ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو لاشك ضئيل في ديوانه ولا يمنع ذلك أن يكون الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر أو الانتقام من كبير ،ولكن هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به والذي وصل إلينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه .

---

(١) شوقي ضيف مرجع سبق ذكره ص ٢٩٣

# **الفصل الثالث**

## **الهجاء عند الرومي**



## الفصل الثالث

### الهجاء عند الرومي

#### نشأته وحياته :

هو واحد من أولئك الشعراء الذين ظفروا من الطبيعة الفنية بأوفى نصيب وقال ابن خلكان :صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب يغوص في المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه.<sup>(١)</sup>

ولد عليّ بن العباس بن جريح أو جرجيسمولى عبيد الله بن علي في بغداد، صبيحة يوم الأربعاء في الثاني من رجب سنة إحدى وعشرين ومئتين للهجرة الموافق لسنة ستة وثلاثين وثمانمائة للميلاد ٨٣٦ م ، وكان يُكنى "أبا الحسن " نشأ في بغداد وتأدب حتى شعر ونبغ ، ثم قضى حياته كأكثر الشعراء في انتجاع السراة والولاية. وقد توفي الشاعر في أواخر جمادى الأولى لسنة ثلاثة وثمانين ومئتان للهجرة الموافق لعام ستة وتسعين وثمانمائة للميلاد. و حمل الناس بلسانه على بره و تكرمته.

كان ابن الرومي شرها كما يظهر من غضون شعره . وله أشعار كثيرة في الطعام والشراب . وكان شديد الطيرة يخلو فيها ويحتج لها ويقول: إن النبي ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة ، وانه مر برجل وهو يحل ناقة له ويقول: (يا ملعونة) ، فقال لا يصحبنا ملعون . وان عليا رضي الله عنه كان لا يغزو غزاة والقمر في العقرب . وكان يزعم أن الطيرة موجودة في الطباع ، وهي في بعضهم اظهر ، وان الأكثر في الناس إذا لقي ما يكرهه قال :علي وجه من أصبحت اليوم ؟ قال علي بن المسيب : دخل علينا ابن الرومي يوم مهرجان سنة ٢٧٨ وقد أهدي من الجواري القيان. فلما كان بعد مدة يسيرة سقطت ابنة لي من بعض السطوح ، وجفاه القاسم ابن عبيد الله فكتب إليه يقول<sup>(٢)</sup> :

أيها المُحتـمـلُ في بَحُولٍ وَعُورٍ أين كانت عنك الوجوه الحسان  
قد لَعَمْرِي ركبَتَ أمراً مهيناً ساعنا فيك أيها الخُصان  
فتحك المَهـرجانَ بالحُولِ والعُورِ أرانا ما أعقبَ المَهـرجان

(١) تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن الزيات ص ٢٠١

(٢) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٦ ، ط ٢ ١٩٩٨ م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ص ٢٠٢

كان من ذلك فقدك ابنتك الحُررةَ مصبوغَةً بها الأكَفان  
وتجافي مؤمِّلٍ لي خليلٍ لجمَّنه الجفاء والهجران  
بلغن تطير ابن الرومي أنه يقيم الأيام لا يخرج من داره إذا قرعت أذنه صبيحة اليوم كلمة  
سيئة .وله في ذلك أخبار غريبة مع الأخفش . وكان هذا الشاعر فاحش الهجاء شديد حتى  
خشيه الكبراء والوزراء. وكان أبو الحسن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد لا يفتأ حذرا  
منه خائفاً من هجائه، ولا يكاد يصدق أنه يسلم من لسانه وكان هذا الوزير شريرا سفاكا  
للدماء.(١)

### الهجاء وسيرة ابن الرومي في شعره:

كان في الناس من يعير ابن الرومي جنسيته، وينتقص لأجلها شاعريته كما يؤخذ من قوله(٢)

كم عائب كل شيءٍ وكل ما فيه عيب  
قد تحسن الرومُ شعراً ما أحسنته العُريب  
يا منكر المجـد فيهم أليس منهم صهيب؟

لكن هذه الجنسية كان لها الأثر الظاهر والفضل الكبير في نبوغه ، فإنه جمع إلى تعمق  
الآريين في الفكر ، تفوق الساميين في الخيال؛ وضم إلى دقة الروم في التصوير ، قوة  
العرب في التصوير ، فامتاز بتوليد المعنى واستقصائه حتى لا يترك فيه بقية لغيره . ومن  
ثم طالت قصائده من غير تكرير ولا سقط .وقلما رأينا شاعرا يسلم على الطول وتتساوى  
أجزاء قصيدته في الحسن والقوة . ولابن الرومي براعة نادرة في وصف الشيء وتشبيهه ،  
وقدرة غريبة على العتاب والهجاء ،لما كان يمني به من جفاء الأصدقاء ، وأعراض  
الكبراء ، لحدة طبعه وضيق خلقه .وهو في منزلة أبي تمام والبحتري ، وربما فضلها  
أحيانا ؛لأنه قال في كل فنون الشعر المعروفة ( وزاد عليها زيادة لو وزعت على عشرة  
شعراء لأحلتهم منازل الفحول).(٣)

(١) أحمد حسن الزيات مرجع سبق ذكره ص ٢٠٢

(٢) عبد الأمير علي مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ٢٠٧

(٣) د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ، ط ١٦ تاريخها

٢٠٠٤م ، ص ٢٩٦

ليس في شعره انه تركها كما فعل أبو تمام والمتنبئ :

نحن بنو اليونان قوم لنا حجي جد وعيدان صلاب المعاجم<sup>(٤)</sup>

قوله في مواليه العباسيين :

مولاهم وغذّي نعمتهم والروم حين تنصّنى أصلي<sup>(١)</sup>  
أمه فارسية الأصل فكان يفتخر بأصوله من الروم والفرس ومن فخره بنسبه العريق في  
رأيه من قبل أبيه وأمه قوله :

كيف أغضى على الدنيّة والفرس خئولى والروم هم أعمامي<sup>(٢)</sup>  
أما الشاعر، واسمه العباس ، فقد أعتنق الإسلام ، وعاش في كنف بني العباس ؛ لهذا لا  
نعجب إذا كان الشاعر نفسه مقيما على الولاء للعباسيين ، ومتعصبا لآل البيت ، على الرغم  
من اعتناقه مذهب المعتزلة ، على ما ذهب إليه بعض المؤلفين ، وفي هذا الولاء يقول ابن  
الرومي :

قومي بنو العباس حلمهم حلمي ، كذاك وجهلهم جهلي<sup>(٣)</sup>

لعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إنّ المثاليات التي كان الشاعر يطمح إلي تحقيقها ، والواقع  
المؤسف الذي يحيط به الشاعر كان من أسباب الاضطراب النفسي والجسماني الذي ألم  
بشاعرنا ، فجعله غريب الأطوار والآراء والتصرفات !

وقد ذهب بعضهم إلي أن مزاج ابن الرومي وطبعه الغريبيين يعودان إلي تأثره بالوراثة  
المزدوجة ، بحيث كان موضع تجاذب بين نفسيّتين ومزاجين : مزاج أبيه الدنيوي ، الواقعي  
النزوع ، ومزاج أمه الميالة إلي الزهد ، التي ترى اللذة الروحية في الخلوة الليلية ، وهذا  
التجاذب غير المتكافئ قد ترك انعكاسا سيئا في شخصية ابن الرومي ، فإذا هو مادي

(٤) مرجع سبق ذكره ، ص ٢٩٦

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر  
بيروت ج ٥ ، ص ١٤٥

(٢) د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ، ط ١٦ تاريخها  
٢٠٠٤م ، ص ٢٩٦

(٣) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر  
بيروت ج ٥ ، ص ١٤٤

متطرف في ماديته من ناحية ،ومن ناحية ثانية ،متردد متهافت القوي ،لايقوي على نضال  
أو سعي .والواقع أن ابن الرومي<sup>(٤)</sup> صور هذا الحال بقوله:من البحر الطويل  
أذقتني الأسفارُ ما كرهَ الغنيَّ إليَّ ، وأغراني برفض المطالب<sup>(٥)</sup>  
فأصبحتُ في الإثراء أزهَّدَ زاهدٍ ، وإن كنت في الإثراء أرغب راغب  
حريصاً جباناً ،أشتهي ثم أنتهي بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب  
ومن راح ذا حرصٍ وجُبْنٍ ، فإنه فقيرٌ أتاه الفقرُ من كُـلِّ جانب  
تتازعني رغبٌ ورهبٌ كلاهما قويٌّ وأعياني اطلاعُ المغائبِ

يقول ابن الرومي إن مشقات السفر جعلتني اختصر حاجاتي، وأصبح أكثر الزاهدين بالمال  
بعد إن كان أكثر الراغبين فيه ، وبعد ذلك أصيب بالجبن ينظر إلى الرزق من بعيد ،ومن  
كان حريصا جبانا فانه أفقر الفقراء ،وفي البيت الأخير نازعه عاملان:الرغبة في المثوبة ،  
والخوف من العقاب عاجز عن معرفة ما قدر له في الغيب .

يقول الدكتور طه حسين "ونحن نعلم أنه كان سيء الحظ في حياته ، ولم يكن محببا إلى  
الناس ، وإنما كان مبغضا إليهم ، ولم يكن أمره مقصورا على سوء حظه ، من سوء  
طبيعته . فقد كان حاد المزاج ، مضطرب ، معتل الطبع ، ضعيف الأعصاب ، حاد الحس  
جدا ،كاد يبلغ من ذلك ، الإسراف." هذه الحوادث جميعا تكشف لنا عن جانب مهم من  
ظروف حياة الشاعر: لقد عاش مستضعفا، شقيا، بانسا لا يلقى من دهره إلا الكوارث،  
فقد عائلته، وضاعت ثروته فأصبح متسائما.

وفضلا عن ذلك ،فان ابن الرومي يصف لنا نفسه في مواضع شتى من ديوانه ،فيبدو في  
صورة إنسان جميلا الوجه ،ذي بشرة بيضاء ،ولكن سرعان ماتبدلت وبهتلونها ، لان إقبال  
الشاعر على اللذائذ ،جعلت نور وجهه يخبو ويشح بصره ،ويضعف سمعه ويتقوس  
ظهره،وكان ضئيلا نحिला دميم الوجه تقتحمه العيون، وظل طوال حياته ينعى على نفسه

(٤) أنيس المقدسي مرجع سبق ذكره ص ٣٠٢

(٥) د. شوقي ضيف ، تأريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ، ط ١٦ تاريخها  
٢٠٠٤م ج ١ ، ص ٢٢٠

دقة جسمه وضآلته وقبحه وله في ذلك أشعار كثيرة يصرح فيها بدمامته وما أنضم إليه من صلعه وله مقطوعة يصور فيها صلعه وقبح وجهه ونراه يختمها بقوله:

عَزَمْتُ عَلَى لُبْسِ الْعُمَامَةِ حِيلَةً      لَتَسْتَرَّ مَا جَرَّتْ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَعِ

يذكر شبيهه قائلاً<sup>(١)</sup>:

فَظَلَّمُ اللَّيَالِي أَنْهَنْ أَشْبَنِي      لعشرين يَحْدُوهُنَّ حَوْلَ مُجْرِمٍ

يقول بأسلوب فيه الكثير من حسن التعليل<sup>(٢)</sup>

شَابَ رَأْسِي وَلَاتَ حِينَ مَشَيْبِ      وَعَجِيبُ الزَّمَانِ  
قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيباً      أَنْ يُرَى النُّورُ فِي الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ

كان ابن الرومي يهتز في مشيته مضطرباً ، فكأنه المغربل يهز غرباله يقول<sup>(١)</sup>

إِنَّ لِي مَشِيَةً أُغْرِبُ فِيهَا      آمناً أَنْ أُسَاقِطَ الْأَسْقَاطَا

اتصف الشاعر أيضاً بمزاج عصبي، وبحس دقيق، ومن كان مزاجه وحسّه على هذه الشاكلة، كان إلى الغضب منه إلى الحلم أسرع، غير أن ابن الرومي سرعان ما كان يرضى، معبراً بذلك عن وجدان صاف، وقلب طيب طهور، ولا يخفى بطبيعة الحال، إن بعض الطرائف التي تروى عن الشاعر، لأن كل من كان غريب الأطوار في الناس ، تعرّض لنسج الروايات الخيالية أو الواقعية المضخمة حول سيرة حياته. ويمتاز ابن الرومي عن غيره من الشعراء بخصائص جعلت منه فريداً في فنّه ، وطائراً يغرد خارج سربه.

هذه الخصائص تبرز في الأغراض الآتية :وهي وصف الطبيعة ، والهجاء ، عمل العقل والثقافة ، شعر الشخصية ، أي الذي يصور فيه ابن الرومي آراءه وخواطره في الحياة والموت والوطن والمرأة والأصدقاء ...

من هذه الأغراض نتناول الهجاء عنده ، إن عمق الإحساس وشدة التأثر من أبرز خصائص الشاعر ، فإذا أضيف إلى ذلك مزاج كمزاج ابن الرومي أصبح صاحب هذا المزاج يجد القبح في كل مكان ، وفي كل كائن .

(١) ابن الرومي حياته من شعره، لعباس محمود العقاد ص ٦٨

(٢) د. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني دار المعارف ، ط ١٦ تاريخها

٢٠٠٤م ج ١ ، ص ١٢٥

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ٨١

لقد كان ابن الرومي شديد النفور من القبح ، وكثير التأثر به ، وتقوم ميزة ابن الرومي في الهجاء على خصائص أبرزها : التصوير الهزلي ، وتضخيم العيب وتشويهه ، السخرية وتحقير المهجو في منزلته وقيمته ، إخراج عدّة صور للمهجو تتناوله في مختلف جوانبه ، ومثال ذلك قوله في وصف أحدب (٢) :

قصرت أخادعه وغار قذاله فكأنه متربّص أن يُصـفعا  
وكأنما صُفعت قفاه مرّةً وأحسّ ثـانـيةً لها فتجمّعا

فهو في البيت الأول صورة واقعية لأحدب في تركيبه الجسماني : أخادع قصير وقذال غائر . ثم قدّم له صورة ثانية هي صورة الحالة النفسيّة التي يكون فيها صاحب هذا الشكل عادةً وهي : " وكأنه متربص أن يصفعا" ونلاحظ ما في لفظة " تربّص" من عناصر الحذر والخوف . ثم قدم لنا الشاعر صورة ثالثة لأحدب تؤكد الصورة الثانية وتزيد عليها عنصر " التجمع " .

ومثال آخر : لرجل ابتلاه سوء حظّه بلسان ابن الرومي ، وهو أبو سليمان الذي كان مغنياً ومعلم صبيان يقول فيه :

أبو سليمان لا تُرضي طريقته لا في عناءٍ ولا تعلّيم صبيان  
له إذا جاوب الطنبور محتقلاً صوت بمصر وضرب في خراسان  
عواء كلب على أوتار مندفةٍ في قبح قـردٍ وفي استكبار هامان  
وتحسب العين فكّيه إذا اختلفا عند التتغمم فكّي بغل طحان

فالشاعر بعد أن وضع العنوان وهو أن أبا سليمان غير نافع في الغناء وفي التعليم ، بدأ بالتفصيل فتناول أولاً جهل أبي سليمان بأصول التلحين والملاعبة بين العزف والغناء ؛ ثم وصف صوت أبي سليمان وعزفه وشكله وأخلاقه ، وإذا في البيت صورة جمعت من عناصر القبح ما لا يمكن تخيّلـه . وكان ابن الرومي قد شعر بأنه لم يوف بعد أبا سليمان حقّه فإذا به ينتبعه وهو يغنيّ حتى يقف عند حركة فكّيه فيرى فيهما فكّي بغل طحان . ولا يخفى ما في هذه التفصيـلة من إمعان في التشويه .

مثال أيضاً لابن الرومي :

تخاله أبداً من قبح منظره مجاذباً وتـراً أو بالعا حجرا

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢

كأنه ضفدع في لجةٍ هرمٍ إذا شدا نغماً أو كرّر النظراً  
فصور ابن الرومي المغني في ثلاث صور : صورة لجهد هذا المغني وانتفاخ أوداجه كأنه  
يجاذب وتراً صعباً ، وصورة لاختناق صوته كأنه بالع حجراً ضخماً ، وصورة ثالثة  
لصوته ونظراته وهو يغني كأنه ضفدع هرم ينق في الماء نقيقه الخشن المبجوح ، والصورة  
الأخيرة فيها تشويه للقبح : فالضفدع قبيح أصلاً ، إلا ابن الرومي يزيد على هذا القبح  
عنصري الهرم والماء. لا بدّ من الإشارة إلى أن ابن الرومي قد أفدع وبالغ في هجائه  
وأفحش في كثير من أشعاره وأتى بالهجمات التي يحمر لها وجه الأدب خجلاً .

قال في هجاء عبد القوي: (١)

قل لعبد القوي أنت قوي فاتق الله ويأك في الضعفاء  
نحن جم ، وأنت أقرن ، والله حسيب القرناء للجماء  
لو علمت الخفي من كل علم جامعاً بينه وبين البغاء  
أعجب الناس ما وعيت وقالوا: عسل طيب خبيث الوعاء  
عبد القوي : هو أبو سويد ، عبد القوي بن أبي العتاهية ، هجاه ابن الرومي في أكثر من  
مقطوعة . الجم : جمع أجم وهو الكبش بلا قرن ، والأقرن من التيوس : ما له قرنان .  
وقول والله حسيب القرناء للجماء : أي أن الله ينتقم من ذات القرون لما لا قرون لها .

قال في هجاء إسماعيل بن بلبل (٢)

إن ابن بلبل نخلة لانت لصقر من وراء  
ذاك الذي نسخ الإجارة بالوزارة للقضاء  
ملك الرججال بعزّة ملك الرججال الأقوياء  
ولطال ما ملك الرججال بذلة مثل النساء  
أضحت سعادته له رهنًا مليًا بالشقاء  
عبد الندى ، ملك الحجاب تراه جبار اللقواء  
يهوى سفالاً في الحضيض وأنفه فوق السماء  
شبه إسماعيل بن بلبل بالنخلة التي لانت للصقر ، كما وصف أن الملك دائماً للرجل القوي  
، وليس للرجل الذليل الذي فيه صفات النساء ، وسعادته مليئة بالشقاء فهو عبد للندى جبار  
نذل سافل .

قال في هجاء بني طاهر: (٣)

دعنتي إلى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبة  
فأخلفتكم ما توسمته وقل حميداً على تجريرة

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٨٢  
(٢) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج ١ ، ص ١١٣  
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٨



وكم لُمةٍ خلتها روضةً      فالفيتها دمنةٌ مُعشبةً  
ظلمتكمُ : لا تطيبُ الفروعُ      إلا وأغراقها طيبةً  
وكنت حسبت ، فلما حسبتُ      عفى الحسابُ على المحسبة

إن الذي دعاني وشجعتني لطلب معروفكم ونيل عطاياكم إعجابي بمناظر وجوكم .توسمته :  
تعرفته وتبينته وتقرسته . وقوله قل حميد على تجربة : أي ندر من تحمده وتشكره بعد  
تجربتك له وتبيان حقيقته .

قال في هجاء البخلاء :<sup>(١)</sup>

إذا غمر المالُ البخيلَ وجدتهُ      يزيدُ به يُبساً وإن ظنَّ يرطُبُ  
وليس عجباً ذاك منه فإنه      إذا غمر الماءُ الحجارَةَ تصلبُ

يرطب : يندي وهي خلاف اليبس . تصلب : تشد صلابتها وتزيد . ومعنى البيتين  
: إذا كثر مال البخيل يزيد بخلاً مثله مثل الحجاره المغمورة في الماء ، فإنه يزيدها صلابه  
وقساوة .

نجده في بعض الأبيات يعاتب ثم يهجو :<sup>(٢)</sup>

عجبتُ لقومٍ يقبلون مدائحي      ويأبونُ تثويبي ، وفي ذلك معجبُ  
أشعري سفسافٌ فلم يجتنبونه ؟      وإن لا تكن هاتي فلم لا أثوبُ ؟  
حلفت بمن لو شاء سدّ مفاقرِي      بما لي فيه عن نوي اللؤم مرغبُ  
فما آفتي شعراً إليهم مبخضُ      ولكنه منع إليهم محبب  
وأعجبُ منهم معشرٌ ليس فيهمُ      بشعري ، ولا شيء من الشعر مُعجب  
براذين ، أهاها قديماً شعيرها      عن الشعر ، تستوفي القضيم وتركب  
من اللائي لا تتفك تجري سواكناً      بفرسانها تلقاء نار تلهب  
تقوم بفرسان تحرك تحتها      أفانين ، فالركبان لا الظهر \_ تتعب

يأبون تثويبي: يرفضون مكافأتي . سفساف: غث وقوله لم يجتنبونه : أي لماذا يختارونه .  
أثوب : أكافأ . سد مفاقرِي : أعانني على ما ألقيه من عوز . وأراد بالمفارق : الفقر .

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة  
والنشر بيروت ، ج ١ ، ص ١٤١  
(٢) المصدر نفسه ج ١ ، ص ١٤٧

مأخذهم عليّ ليس في أنهم يكرهون شعري وإنما في حبهم البخل ومنع العطاء ، إنهم أناس لا يعجبهم شعري ولا شعر غيري وهذا معجب .برذان : جمع براذن وهو نوع من الدواب يتخلل بياضه سواد ، عظيم الخلقه غليظ الأعضاء .شبه القوم بالدواب المشغولة بالشعير لا بالشعر تأكل الكلاً وتجتره ثم تتركب . تجري سواكن : أي تتحرك وهي ثابتة .إن هؤلاء القوم من البراذين التي تحاول الجري بركابها فلا تستطيع إزاء نار تلتهب .شبه المهجويين بأغصان شجرة ثابتة ، فالأغصان تتحرك وتتعب والشجرة راسخة لا تتعب وقال يعاتب ويهجو : (١)

ليس عن شركم ولا عن أذاكم مُستمازٌ ولا ذرّي للجَنوبِ  
قلّ من خيركم نصيبي ، ولكنّ أنا من شركم كثيرُ النصيبِ  
إن تباعدت نالني من بعيدٍ أو تقربتُ نالني من قريب

مستماز : منعزل . الذرى : المرتفعات . طالما أن الريح الجنوبية تحمل شركم وأذاكم فلا مهرب منهما . أصابني شركم وأذاكم .  
قال في هجاء عيسى: (٢)

أكلتُ رغيفاً عند عيسى فمأني  
رآني قليل الخوف من لحظاته  
يُرِيدُ أَكِيلاً رُزُوءَهُ مِنْ طَعَامِهِ  
إِذَا لَحِظَتْهُ عَيْنُهُ عِنْدَ مَضْغَةٍ  
يُحِبُّ الْخَمِيصَ الْبَطْنَ مِنْ أَكْلَائِهِ  
وما أنسُ ذي أنسٍ لعيسى بمؤنسٍ  
تزوّد إذا آكلته فهي أكلةٌ  
وكان كهمي من محبٍ مقربٍ  
وذلك من شأنِي لَهُ غَيْرُ مُعْجَبٍ  
كرزء كتابٍ من ترابٍ مُتْرَبٍ  
طوى الأنس طي الخائف المترقب  
يُضْحِي وَيُمْسِي بَطْنُهُ بَطْنَ مُقْرَبٍ  
و لا وَقَعُ أَضْرَاسِ الْأَكِيلِ بِمُطْرَبٍ  
وما أختها إلا كعقلاءمُغْرَبٍ

ملني : ضجر مني وسئم مني . لحظاته : نظراته . الأكيل : الذي يشاركه الأكل . ورزأ الرجل طعامه: أصاب منه شيئاً . يريد عيسى من هذه الأبيات أن من يشاركه الأكل أن ينال من أكله شيئاً قليلاً جداً ، شأنه شأن الكتاب الذي يترب بالتراب فيلحقه بعضه . وما

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ١٥٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥٤

يريده عيسى من الأكيل أن يتوقف عن الأكل مخافة ضرره عند كل نظرة إليه . وكذلك شبه عجز البيت الخامس أن بطن عيسى ممتلئاً بالطعام كبطن الحبلى التي قربت ولادتها . كما يفسر لنا البيت السادس الأنيس لا معنى من أنسه عند عيسى ، كما أن الأكل عنده لا يشعر بلذة في أكله . عنقاء : مغرب اسم لطائر لم يوجد يضرب مثلاً عند ندرة الشيء ويقصد من هذا البيت إذا تيسر لك وأكلت عند عيسى فأكثر من الأكل حتى تشبع فهي أكلة العمر لن تعود أبداً.

مدح أبا العباس بن ثوابة وهجا الكوكبي: (١)

يا صاحبَ العينِ المُصَابَةَ	أني هجوتَ بني ثوَابَةَ
والأصالةَ اللَّبَّابَ	أهلَ السَّماحةِ والرَّجاحةِ
أولي الرِّيَاسةِ والنَّقَابَةَ	القائِلينَ الفِعالينَ
مُخَلِّيَّا فِيهَا ذُنَابَهُ	ولهُ نَعاجٌ لا يَزَالُ

ابن ثوابة : هو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة كاتب نصراني الأصل . كتب للمعتضد ، وكان من الثقلاء البغضاء وله كتاب مدون مستهجن مستنقل ، وأيضاً له كتاب رسائل مجموع ، ورسالة في الكتابة والخط . توفي سنة ٢٧٧هـ . والكواكبي هو أبو علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكاتب صاحب الأخبار والحكايات المتوفى ٣٢٧هـ .

مدح دُريرة وهجا نزهة : (٢)

دُريرةٌ تَجَلُّبُ الطُّربا	ونزهةٌ تَجَلُّبُ الكُربا
تغني هذه فيظُلُّ	عناك الحزنُ قد عَزبا
وتعوى هذه فتنطيلُ	منك الحزنَ والوصبا
أقول لجامعٍ لهما :	لقد أحضرتنا عجباً
أجمعُ بين مُخْتَلِفَيْنِ	ذا صعداً وذا صَببا

هجا أبو جعفر : (٣)

أبا جعفر واصفحُ عن الفاءِ إنْها	تزيدك في جَعْرِ من الأَفِّ جانبا
رأيتك للفعلِ الجميلِ مُجانبا	فأليت لا ألقاك إلا مجانباً

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ١٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٧٦

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤

قال هجائياً : (١)

إن كنت من جهلٍ حقّي غير معترِّدٍ  
فأعطني ثمن الطرسِ الذي كُتبتُ  
وكنّت من ردِّ مدحي غيرَ مثبِّبٍ  
فيه القصيدةُ أو كفارةُ الكذبِ

كذلك قال هجائياً : (٢)

مُجَرَّبٌ أَنَّهُ إِذَا نَسَبُ  
يَدْعُو بِهِ السَّاخِرُونَ صَاحِبَهُ  
عَفَى عَلَى اسْمٍ فَإِنَّهُ لَقَبُ  
وَمَا لَهُمْ فِي دَعَائِهِ أَرْبُ  
أُفْظُنُّ لِدَاعِيهِ كَيْفَ يَنْسَبُهُ  
فِي مَوْطِنٍ لَيْسَ حَقُّهُ النَّسَبُ  
هُزْءاً وَسُخْرًا بِمَا تَتَحَلَّى وَالنَّاسُ  
إِذَا مَا تَهَكَّؤُوا قَلْبُوا

قال هاجياً : (٣)

هَبُوا أَبَا يَوْسُفٍ هَجَانِي  
وَلَا بِنِ بَوْرَانَ وَجْهٌ عَذْرٍ  
فَالشَّاعِرُ الْعَالَمُ الْأَدِيبُ  
لِأَنَّهُ مُطَرَّبٌ مُصِيبُ  
وَمَا هَاهُ أَوْ قَرِيبُ  
عَثُونَهُ فِي اسْتِهِ خَضِيبُ  
وَرَأَى سَابِطَ لِمِ هَجَانِي ؟  
وَخَالِدٌ فَهُوَ قَحْطَبِي

قال هاجياً : (٤)

لهف نفسي على رصاصِ مُذَابٍ  
وهزْبِرٌ غَضَنْفَرٍ فِي كِتَافٍ  
وَكِرَانِيْبٍ فِي يَدِي صَبَّابِ  
فَاغْرِ فَاهُ ، كَالْحِ الْأَنْيَابِ  
فَيْصُبُ الصَّبَابُ فِي فِيهِ بِالْكَرِ  
قَالَ ذَلِكَ الصَّبَابُ: قَلِّ لِي أَبَا الْحَارِثِ  
وَنَنَادِيهِ نَحْنُ كَيْفَ أَبُو الْحَارِثِ  
قَلِّ لِي يَا حَاطِمَ الْأَصْلَابِ  
أَمْ كَيْفَ صَبْرُهُ لِلْعَذَابِ ؟

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٢٦٣

(٢) المصدر نفسه ص ، ٢٩٩

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٢

(٤) المصدر نفسه ج ١ ، ص ٣٢٧

قال في هجاء أبو أيوب: (١)

ماكنتَ بخس الجزاء بمشيئةٍ  
وأراك أيضاً مثله في جوده  
أصبحت كالجمال الذي لا يرتجى  
ما أنت الأحياء بالحي الذي  
إلا كنيك ، يا أبا أيوب  
للكبين بظهره المركوب  
لجزاء عارفةٍ ولا تثويب  
يُطرى ، ولا بالميت المنسوب

قال يحذر من التعرض هجائه: (٢)

ألم تر أنني قبل الأهاجي  
لتخرق في المسامع ثم يتلو  
كصاعقة أتت في إثر غيثٍ  
عجبت لمن تمرّسَ بي اغتراراً  
سأرهُقُ من تعرّضَ لي صعوداً  
أقدمُ في أوائلها النسيباً؟  
هجائي مُحرقاً يكوي القلوبا  
وضحكُ البيض تُتبعُهُ نحيبا  
أتساح لنفسه سهماً مصيباً  
وأكوى من ميسمي الجنوبا

قال في هجاء أبو القاسم الوزير المرّجي (٣)

قل لأبي القاسم المرّجي :  
مات لك ابنٌ ، وكان زيناً  
حياةً هذا كموتِ هذا  
قابلك الدهرُ بالعجائبُ  
وعاش ذو النقص والمثالبُ  
فلست تخلو من المصائبُ

قال في هجاء بني خاقان: (٤)

أموركُم بني خاقانَ عندي  
قرونٌ في رؤوس في وجوهٍ  
هجرتكم وهجركم ورائي  
عُجابٌ في عجابٍ في عجابٍ  
صِلابٌ في صلابٍ في صلابٍ  
صوابٌ في صوابٍ في صوابٍ

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣١

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٨٠

(٣) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ٤٠٩

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٤١١

قال في هجاء أبا على بن قرّة: (١)

وزادَهُ في علوّ القدرِ والصيتِ:  
من اجتبيتَ لتجديدِ المواقيتِ؟  
حتى يقومَ على رِغمِ الطواغيتِ  
أعاذك الله من لؤمٍ وتبكيّتِ

قل للأمير أدامَ اللهُ دولتَهُ  
ماذا يقول امرؤُ الإلهةَ لهُ :  
من ذا نُقيمُ مواقيتَ الصلاةِ بهُ  
ماذا يكون جوابُ المرءِ حينئذٍ

---

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ٤٤٠

قيل : إنه أول شعر قاله من بحر الرجز<sup>(١)</sup> :

أصلع يكنى بأبي الجاحت  
حبلق كالماعز الكلوخت  
ذو هامة مثل الصفاة المورت  
تعرفه الأنباط بالبذقة  
أحسب حساب بني نوبخت

قال في هجاء البين<sup>(٢)</sup>

إف لنا بارع الصفات غرابُ بينِ المُغنيَّاتِ<sup>(٣)</sup>  
مكدح شهرناً بكى مقل فائق الثبات  
يا مسلمون انفروا جميعاً إليه أو انفروا ثبات  
ووجه مظلومة هواءه وهمها في بني الفرات

قالهاجياً :<sup>(٤)</sup>

فقدتُك يا كنيزة كل فقدٍ      ودُقتِ الموت أول من يموتُ  
فقد أوتيتِ رحباً فم وفرجٍ      كأنك من كلا طرفيك حوتُ  
ويابسة الأسافل والأعالي      كأنك في المجالس عنكبوت  
عظامٌ قد براها السُّلُّ برياً      فما فيها :لبعض الطير قوت  
سأقترحُ السكوتَ عليك دهري      فأحسن ما تُغنينَ السكوت

قال أيضاً في هجاء إنساناً ضرط بحضرته، فضحك ابن الرومي ،وغضب الضارط:<sup>(٥)</sup>

بليت بقاتة فضحكت فلتة      فلا تغضبُ كلا الأمرين بغتة  
ولي فل عليك لأن فعلي      بغير أذى عليك ، فلم كرهته ؟

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٤٤٢

(٢) البين : هو محمد بن علي . كان يتردد على مجالس عبيد الله بن طاهر . أشاد ابن الرومي بعلمه باللغة الشعر .

(٣) المصدر نفسه ج ١ ، ص ٤٤٤

(٤) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ١ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٤٤٧

(٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٤٧

وتجشمتني رضى ما قد فعلته  
ولم تسمع أذاي ولا شممته؟

وأعرض عني ساعةً فحييتُ  
وحقك ما يا صاحب خريتُ  
لأغسل عنها سلكها فعميت

أُتسمعني الأذى وتشمّنيهِ  
وتغضبُ أنْ ضحكتُ بغير عمدٍ

قال أيضا هاجياً: (١)

تنفس في وجهي فكدتُ أموتُ  
وأنتني حتى ظننتُ بأنني  
فإن لم أكن فتشتُ حقاً غلاتي

قال أيضاً في هجاء لابن بشر المرثدي: (٢)

من حاوية الحوت  
وعتله أذن الحوت  
مصروف عن الحوت  
أتى من ذلك الحوت  
ميراثاً عن الحوت  
في ذرية الحوت

نجاً يونس في اللجة  
بتسبيح له منجج  
فكم نوع من الآفات  
وحياتناكم نسل  
وقد حزن من التسبيح  
فما إن يطمع الصياد

قال في هجاء بني طاهر (٣)

فرمتُ مخّ الذرّ في عسرتيه  
ما أملّ المعتز من نصرتيه

رمتُ نداكم يا بني طاهر  
أملتُ من رقد سُلَيْمانكم

قال في هجاء إبراهيم بن المدبر: (٤)

نبشتُ صداه بعد مرّ ثلاث  
نواشِر أرواحٍ لهن خباث

تبحثتُ عن أخباره فكأنما  
تلقتني الأنبياء عنه شبيهة

قال في هجاء بعض من زعم أنه عنين: (٥)

عاقبَ الله كلَّ من قال: إني مُخنّثُ

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٨

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٩

(٣) عبد الأمير على مهناً، ديوان ابن الرومي ج ١، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ص ٥٨

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٣

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٧



بمبِيتي مع أمِّه ليلَةٌ لا تُتَّانِثُ  
لو رأى ثم ويحاهُ أرضَها كيف تُحرثُ  
لدري هل مُذكَرٌ فـوقَها أم مؤنثُ

قال في هجاء دُرَيْرَةَ جارية هواها: (١)

ويلك يا قَدَّ البَسْتَوُجَهَ ما أنت والله بمغْنُوْجَه  
قد أَفْضَى الطيزُ إلى فَقْحَةٍ مفتوقةً بالطعن مضروجةً

قال في هجاء شَيْخاً بَتْرِيًّا: (٢)

يا بَـانِي الدَّرَجِ الذي أُولى به هُدْمُ الدَّرَجِ  
بئس البنا هي في المسا جد والديار فلا تَلْجُ  
لو أن قمل رؤوسكم ذات القـورون إذا درج

قال هجاء أبا القاسم عبيد الله بن العباس: (٣)

هب على رأسك العنا قِيدَ والقارَ والسَّبْجِ  
هب على رأسك الدُّجَى ثَبْجاً فوقه ثَبْجِ  
جُمَّةً فوق جُمَّةً دَرَجاً خـلفه دَرَجِ

قال في هجاء أخرى: (٤)

لأنتِ شَيْنُ القِيانِ يا غَنَجَهَ نَمِيمَةٌ القَدِّ في الـورى سَمَجَهَ  
رأيت كل القيان تـألفني وأنت عني أراك منـعرجه  
ثم تجودي لكل ملتـمس بـفقحة لا تزال مختلـجة

قال في هجاء ابن أبي الجهم: (٥)

لابن أبي الجهم وجه سُوءٍ مَقْبَحٌ ظاهـر قُبُوْحُه

(١) عبد الأمير على مهناً، ديوان ابن الرومي ج ٢، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ص ١٢

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٦

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٤

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١

يعلوه بُغْضٌ له شديد  
على قلوب الورى طُفُوْحُه  
بغض تراه ولا يراه  
ولم يُقَصِّرْ به وُضُوْحُه  
لولا عَمِي نَظْرِيَه عنه  
لذابَ حتى يَخِيفَ رُوْحُه

قال يخاطب قوماً لاموه على الهجاء: (١)

قِيلَ لِي : لَمْ ذَمَّمْتَ كُلَّ الْبَرَايَا  
فَأروني من يستحقُّ المديحاً؟

قال في هجاء بعض الشعراء، وهو البحتري: (٢)

ما تَجَزَعُ الشَّاةُ إِذَا شُحِطَتْ  
ولا من التَّقْصِيلِ مَنكُوسَةً  
من أَلْمِ الذَّبْحِ ولا السَّلْخِ  
لكنها تجزع من خَلَّةٍ  
ولا من الشَّيِّ ولا الطَّبْخِ  
لشَفِقٍ أَنْ يُكْتَبَ فِي جِلْدِهَا  
تَقَدِّحُ فِي الْأَحْشَاءِ بِالْمَرْخِ  
شِعْرُكَ يَا ذَا الْقَرْنِ وَالْكَشْخِ

قال في هجاء سوار بن أبي شراعة: (٣)

أرى العصفورَ يعبثُ بالفخاخِ  
وقال الشعرَ يُغربُ فيه حتى  
وما لخنَاقِهِ فيها مَرَاخِي  
ولم تجنِ المسامع منه معنى

قال في هجاء ابن المدبِّر: (٤)

رَدَدْتَ عَلَيَّ مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ  
وقلتَ : أمدح به من شئتَ غيري  
وقد دنسْتَ ملبسَه الجديداً  
ولا سيما وقد أعمقتَ فيه  
ومن ذا يقبل المَدْحَ الرِّيداً؟  
مخازيك اللواتي لن تبيدا

قال في هجاء ثقيلاً: (٥)

رجل وجهه كضرع المرديِّ  
جدليُّ إذا تُنوزعَ شعراً  
حاش لله ، أو كسحر المُعْدِّ  
مستجير من ذكر هذا بهذا  
شاعرٌ حضرةَ الجَدالِ الألدِّ  
ما لديه لسائلٍ من مرَدِّ

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٢ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٩٦

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ٩٧

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٥

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٧

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٤

قال في هجاء أبا بكر الرقي: (١)

لأبي بكر كلامٌ واحدٌ لا يتعدى  
ضرب الله عليه دون لفظ الخلق حدًا  
بعضه أشركت بالله وأُعطي الله عهدًا

قال في هجاء بعض ولد ابن سيرين (٢)

تُرَى ابن سيرين ما رأى حُلماً  
فِينَقِي الله في مشيئته  
يبدؤ له فيه غي ما يلدُ  
فيختصي أو يئيم أو يئدُ

قال في هجاء العميان: (٣)

مجالسة العمي تُعدي العمى  
فإن أنت شأهتهم مرة  
بحيث تقوت إشارتهم  
لأن إشارتهم لا تزال  
فلا تشهذن لهم مشهدا  
فكن منهم الأبعد الأبعدا  
وإلا فانك منهم غدا  
قد نفضت نحو عين يدا

قال في هجاء حمّالا: (٤)

رأيت حمّالاً مُبينَ العمى  
مُحتَملاً ثِقلاً على رأسه  
بين جمالات وأشباهها  
يعثر بالأكم ، وفي الوهد  
تضعفُ عنه قُوةُ الجلدِ  
من بشر ناموا عن المجدِ

قال في هجاء بعض الكتاب: (٥)

عَيْنُكَ الصُّلَعُ ليس مما يُغَبِّي  
قد نَزَفْتُ المنيَّ واستُكَّ غرثي  
طال تجديدُك القواليب لآست  
صَبْرُها للأبور يوهمنيها  
حُبِّكَ الصُّلَعُ من أيور العبيدِ  
كُلُّ وقت تقول : هل من مزيدِ؟  
غير محتاجة إلى تجديدِ  
خُلقتُ من حجارة أو حديدِ

(١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٣

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٠١

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢١٤

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٣

قال في هجاء القاسم: (١)

وصديق أجبتُهُ إذ دعاني  
لم يدع لي عز القنوع ولا جاد  
جاد ثم التوى فلا أنا بالراضى  
هاض حرיתי ، وأوثق بالمنزور  
نحو معروفه فلم ألق رُشدا  
برفد يعُدُّه الناس رِفدا  
ولا المشتكى فاشفَى وجدا  
من نيله لساني عَقدا

قال في هجاء خالد القحطبي: (٢)

لعن الله خالداً  
الأم اللائمين نفساً  
رجل لا يرى ألا  
بادئاً ثم عائداً  
وأماً ووالداً  
هاً سوى الأير واحد

هجا أيضا أبا حفص الوراق: (٣)

قالوا : هجاك أبو حفص ، فقلت لهم  
فأبلغوها سلامي لأعدمتكم  
لولا النبيذ وأشغال شغلت بها  
استبطأت هامة الصفعان عاداتها  
واستظروها سأعطيها إرادتها  
إذن لما أغفلت كفى عيادتها

هجا والده: (٤)

لو كان مثلك في زمان محمد  
ما جاء في القرآن برّ الوالد

هجا المبرد: (٥)

ودّ المبرد أن الله بدله  
فأعطيه يا إله الناس منيته  
لكي يقضي أوطاراً مذمّة  
بل لو يكون له ضعفاً جوارحه  
هيهات ثم غليل لا شفاء له  
من كل جارحة في جسمه دُبرا  
ولا تُبق له سمعاً ولا بصراً  
من كل عرد ترى في رأسه عَجرا  
من الفقاح لما قضى بها وطرا  
أو يجعل الكل منه فقحةً وجرا

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ٢ ، ط ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ص ٢٢٥

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٣

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٣

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٠٥

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠

هجا جاراً له وكان قد بنى درجة لمسجد يشرف منها على منزله إذا رقى الناس إلى علو المسجد: (١)

يا باني الدرّج الذي أولى به      لو كان يعقل هدمها من داره!  
لا تبنيَنَّ بنيةً قوادةً      تُزني بنات أبي البنات بجاره  
لم بينها إلا امرؤ متعصبٌ      للكشخ يعجبته ارتفاع شناره  
لكنه رجلٌ يبرج عرسه      وبناته ليزدن فتي أنصاره

هجا أبا حفص الوراق: (٢)

زوّج شيخ لنا عجوزاً      تزهي بطست لها وتور  
تتزه الطرف في ذراها      فلا ترى ثم غير ثور  
قد بارها الدهر كل بور      وبارت الدهر كل بور  
دارت تعاويذها قديماً      في الحزن والسهل كل دور

هجا عمرا: (٣)

لا يغضبنّ لعمرو من له خطرٌ      فليس يرضى بضيمي من له خطرٌ  
لا سيما ولقولي فيه منزلةٌ      من سيد مثلاًه الشمس والقمر  
أعجب الناس أن أضحكت سيدهم      خليفة الله يُستسقى به المطر  
سخرتُ فيك هجائي بعد ما ذّرتُ      منك القوافي ، وقدماً عيفت القذر

قال في هجا عبيد الله بن العباس الملقب بحجر الرجل: (٤)

لم تكن مثل نعمة الله في العباس      تتجو من آفة التكدير  
كدر الدهر صفوفاً بعبيد الله      وجه الحمار والخنزير  
غير أنا نرجو لراحتنا منه      سريعاً لطف اللطيف الخبير  
يسرح الطرف من أخيه ومنه      بين قرد وبين بدر منير

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٣ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٣٢

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٦

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٠

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٣٣

لك وجه كأنه حين يبدو مستعارٌ من منكر ونكير

هجا نفسه ومدح القاسم : (١)

جزى الله عني قبح وجهي سعادةً  
ذعرتُ به قوماً فأدوا إتاوةً  
فدى نفسه من قُبْحِ وَجْهِ سَيِّدٍ  
فلا يَقْطَعَنَّ الرِّزْقَ عَنِّي قَاسِمٌ  
لرؤيته عندي أجل من الذي  
وإلا فما لي حاجةٌ في نواله  
كما قد جزاه ، والأله قديرٌ  
كأنني عليهم عند ذاك أمير  
وزير ، أبوه سيّدٌ ووزير  
فليس له مني سواه خفير  
يحلُّ به من ملكه ويسيرُ  
وإني إلى ما دونه لفقير

قال في هجاء العزيز: (٢)

قل لعمّار بن عمار  
بحرٍ أختك وحرٍ والدتك  
وأدقني فرج الزوجة  
وتذكر حين تتسى  
حر خالتك للجيران  
ألا تُعْظِمُ قَدْرِي  
لا تُعْبَثُ بِشِعْرِي  
مُنْقَاداً لِأَمْرِي  
حر عمتك وأيرى  
لكن لست تدري

قال يهجو على بن عيسى: (٣)

أيامكم يا بني الجراح قد جرحت  
ما منكم رجل تمّت رياسته  
لا قدّس الله بالأقبال دولتكم  
كُلَّ الْقُلُوبِ ففِيهَا مِنْكُمْ ثَارُ  
إِلَّا مَشُومٌ عَظِيمُ الْكِبَرِ جَبَّارُ  
فان إقبالكم للناس إدار

قال يهجو الناشئ : (٤)

يُرجف القرد بأنّي  
حاول القرد لعمري  
أتراه يتظنّي أن  
زائل العقل موسوس  
عكس أمر ليس يُعكس  
عين الشمس تُطمس ؟

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٣ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ١٨٣

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢١١

(٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢١٢

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٨١

قال يهجو صاعداً وابنه أبا عيسي، ويرثي داليتيه فيهما: (١)

راع قلبي مشيبُ رأسِ خليسِ      راع جهلي والكيس بالتكيسِ  
حالكغيرته جُونٌ وعيسُ      فهو لوان بين جـون وعيسِ  
والليالي وناسخاتُ الليي      تُوشكُ القَدَحَ في الصحيحِ المليسِ  
تركت آلَ مَخْلَدٍ سَخَطَةً      الله كطَسَمَ بحقِّهم وجـديسِ  
هل ترى رائياً لهم من خيالٍ؟      هل ترى سامعاً لهم من حَسيسِ؟

قال يهجو رجلاً عاب مشيه: (٢)

أيعيبُ مشي جاهلٌ لو أنه      يمشي لأصبح ضُحكةً في الناسِ  
بل رُجْمَةً لَهُمْ سماجةً منظرِ      بل رحمةً لنتابع الأنفاسِ  
لو رُمْتها لنترتَ فَرْتُكَ دُونَهَا      من ضيقِ صدرٍ واتساعِ مَفاسي

قال يهجو كنيزة: (٣)

كَنَزَ اللهُ في كَنيزَةَ نَتْنًا      خالصِ النوعِ ليس ما يُغشُ  
بخرٌ يصدع الصفاً ، وخُشامٌ      وصُنَانٌ ، فإنَّما هي حَشُ  
ثمَّ من أقبحِ البريَّةِ طُراً      زفَّها عاجلاً إلى القبرِ نَعَشُ

قال يهجو إبراهيم البيهقي المؤدب، كان شاعر عبيد الله بن عبد الله: (٤)

لا ترجُ يا بيهقيُّ إفراشي      لن يقبلَ الموتُ رشوةَ الراشي  
أضرمْتني ثم حلتَ تطفنني      هلاً تضرعتَ قبل إكماشني  
يا هارباً والصبحُ فاضحه      هلاً ترحلتَ تحت إغباشني  
لم تتركِ البغي يا حذيفتة      حتى أظلتك خيلُ قرواش

قال يهجو رجلاً: (٥)

ضيقُ الصدرِ بخيلٌ      ضيقُ الله معاشه

(١) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٢٩٥  
(٢) عبد الأمير على مهناً، ديوان ابن الرومي ج ٣، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر  
بيروت، ص ٣١٤

(٣) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٣٠

(٤) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٣٨

(٥) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٣٤٥



وكساه الخوفَ والذلهُ وابتنزَ ريشتهُ

قال يهجو نفطويه: (١)

هَجَرْتِي ظُلْمًا لِتَحْمِيلِ وَاشٍ هَيَّجْتُ لِي ضِدِينَ : مَاءً وَنَارًا  
مَا أَرَادَ الْوَشَاةَ مِنِّْي أُرَانِي نَفَرُوا مِنْ هَوَيْتِهِ رَبَّمَا أَبْصَرُهُ  
وَأَطَالَتْ بِهَجْرِهَا إِحْشَايَ دَمَعَ عَيْنِي يَهْمِي وَلَوْعَةَ جَاشِي  
اللَّهِ بِالسُّقْمِ وَالضَّنَى كُلَّ وَاشِي نَحْوِ خَلَّتِي ذَا انْحِيَاشٍ

هجا ابن فراس (٢)

نظرتُ إلي الرغيفِ فردَّ رُوحِي لَدِي حَجْرٍ يَرُضُ وَلَا يَرِضُ  
فَتَى مَا زَالَ يَنْهَضُ لِلْمَخَازِي وَلَيْسَ لَهُ إِلَى الْعَلْيَاءِ نَهْضُ  
سَجِيَّتُهُ طَوَالَ الدَّهْرِ قَبْضُ وَكُلُّ سَجِيَّةٍ بَسْطُ وَقَبْضُ

هجا ابن الخنساء صاحب الطائي: (٣)

نُبِّئْتُ أَنَّ ابْنَ خَنْسَاءٍ وَقَدْ رَأَى النَّاسُ جِدِي  
وَقَالَ قَوْمٌ : عَهْدُنَاكَ فَقُلْتُ : وَتَرَى إِيَّاهُ  
قَدْ تَنَاوَلَ عِرْضِي فِي الْحَادِثَاتِ وَنَهَضِي  
لَا تُرَامُ فَتُغْضِي قَدْ تَقَدَّمَ نَقْضِي

قال أخبث ما جاء في الهجاء: (٤)

أَيْسَتْ مِنْ دَهْرِي وَمِنْ أَهْلِهِ إِنْ رُمْتُ مَدْحًا لَمْ أَجِدْ أَهْلَهُ  
فَلَيْسَ فِيهِمْ أَحَدٌ يَرْضِي أُرِمْتُ هَجْوًا لَمْ أَجِدْ عِرْضًا

هجا خالد القحطبي (٥)

أَعْقَبَ الْقَرَبَ مِنْ حَبِيبِكَ شَحْطُ خَانَكَ الدَّهْرُ أَسْوَةَ النَّاسِ ، كَلَا  
وَلَأَيْدِي الْخَطُوبِ قَبْضُ وَبَسْطُ شَرْطَ الدَّهْرِ فَجَّعَ كُلُّ مُحِبِّ  
بَلْ وَفِي ، إِنْ مَا تَرَى مِنْهُ شَرْطُ وَهُوَ فَظٌّ عَلَى الْمُحِبِّينَ سَأَطُ

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ص ٣٤٥

(٢) ، المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٩

(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٥٠

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٦٣

(٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٧٤

هجا الورد: (١)

وقائلٍ لم هجوتَ الوردَ معتمداً؟  
يا مادح الورد لا ينفكُّن غلطةً  
كانه سُرْمٌ بغلٍ حين يُخرجه  
قال في المجون يهجو مُدركاً: (٢)

فقلتُ: من بُغضِه عندي ومن سِخِطِه  
ألستَ تُبصرُه في كفٍّ ملْتقطِه  
عند الرياثِ وباقي الروثِ في وسطِه

قلتُ لخودٍ ضفقتُها مرةً  
وقد بدت ساقٌ لها خدلةً  
يتبعها ردفٌ لها راجح  
يا ربةَ المنزل هل عندكم

من أهل بيت الشرف الأرفع  
كأنما تمشي على خروع  
ينوخ فيها أكثرُ الإصبع  
من مطعم للزُبِّ أو مطمع؟

قال يهجو مغنية : (٣)

بتُّ وباتَ الصبيانُ في أرق  
يبكون من خوفها ويُسهرني  
نحتال للنوم كي يواتينَا  
لا حفظ الله تلك مُسمِعةً

من بحةٍ لم تزل تُفزعُنَا  
بكاؤهم ، فالبلاء يجمَعنا  
بكل شيءٍ وليس ينفَعنا  
ما يكره السامعون تُسمَعنا

هجا أبو حفص : (٤)

لا تحسب الشيخَ أبا حفصٍ  
لكن من الله ومن زوجه  
ليستُ بذِي بأسٍ ولكنها  
من كسبها عاش أبو حفصٍ

يعيش من أقلامه الصُّلَع  
تستدخلُ الأصلع في المخدع  
قوامةُ الليل على الأربع  
وطال من عاش مع الجوع

قال يهجو شنطف : (٥)

وجهك يا شنطفُ هولُ المُطلَع

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ص ٩٣

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٣٥

(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٨٤

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٨٦

(٥) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٨٧

يأخذني منه انتـ فاض وفضـع  
ويطلعـع النحس بـه إذا طلعـع  
يا ويـيح أثـوباك لو قد تـتـزع  
لنـزعتـ عن برص وعن لمـع

وقال يهجو ابن معدان : من الرمل (١)

يا تناهٍ والتّناهي انقطاعُ  
كنّ لدنياه انقطاعاً وشيكاً  
وانصداعاً ليس فيه التّمامُ  
خنه ما اعطاك معطي العطايا

كنّ كما سمّاك مولى لكاعُ  
وانقلاعاً ليس فيه انخداعُ  
وافتراقاً ليس فيه اجتماعُ  
مثلما خان السحاب انقشاعُ

وقال في كبير اللحية : من السريع (٢)

ولحية يحملها مائق  
تقوده الريح بها صاغراً  
فإن عدا والريح في وجهه  
لو غاص في البحر بها غوصةً

مثل الشرايين إذا أشرعا  
قوداً عنيفاً يُتعب الأخداعا  
لم ينبعث في وجهه إصبعاً  
صاد بها حيتانه أجمعا

وقال يهجو أبا إسحاق البيهقي من البحر البسيط : (٣)

قالوا هجأك أبو المزاق ، قلت لهم :  
أنهي إليه نصيح غير متهم  
فقلت : ما ناك مثلي مثل زوجته  
وما أراه على حال تعف له

ولم هجاني ؟ فقالوا : للذي بلغه  
أن قد تركت مغيصي عرسه ردغه  
لكن إخال عدواً كاشحا نزغه  
أنثى ، ولو حمقت حتى تكون دغه

وقال في عمر النصراني من البحر مجزوء المنسرح : (٤)

شهدتُ بعض المخانيث والطريف طريفُ

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ج ٤ ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ص ١٨٨

(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٩٢

(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٩٥

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٢٦١

فقام من جنب عمرو  
فقلت : أني ، ولم قمت  
فقال : لا تلحيني  
وللشقي حفيف  
خائفاً يا سخي ف؟  
فأنف عمرو مخيف

وقال يهجو أهل الزمان من البحر الكامل: (١)

قل للذين مدحتهم فكأنما  
رئوا علي صحائفاً سودتها  
ما كان مثلي مادحاً أمثالكم  
أسخطت خلق البرية فيكم  
أغرقت في نزعى لكم ولربما  
مُسخوا كلاباً غير ذاتِ خلاق  
فيكم بلا حثق ولا استحقاق  
لولا اتهامي ضامن الأرزاق  
فبلغتم مني رضى الخلاق  
حرم الرمأة الصيد بالإغراق

وله من المدح والهجاء من البحر الطويل : (٢)

أبا جعفر هل أنت قابل شاعر  
مضت حقبه وهو الخبيث مأكلاً  
وقد كان ممن يشهد الزور مرة  
ويعرض علق الصدر من حرّ شعره  
أحلّ حرام المدح في غير أهله  
وليس له من توبة غير مدحه  
فأعتقه من رق المذلة إنه

وقال يهجو إسماعيل بن بلبل : (٣)

سائل أبا الصقر إذا جنّته  
وضربها الكامخ في طيزها  
قاد أبا الصقر إلى ما أرى  
يا عجباً ليس لأن ردّني  
عن أمّه ذات البساتيق  
بين دنان ودواريق  
من فعله قائد توفيق  
من بعد إيماض وتبريق

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ،

ج ٤ ص ص ٢٦٨

(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٣٤

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ، ص ٣٣٤

وقال يهجو ابن عمار : (١)

ومعاشر بصقوا على ما قلتُهُ  
فبصقتُ في الأحراجِ من نسوانهم  
ومجبتُ في أرحامهن مجاجةً  
وكذاك أجزى كل مُنفق بصقةً  
لم أرضَ أوجههم ممجَّ بصاقي  
وطعنتهن بأيما مرزاق  
أوجدتهن لها أذَّ مذاق  
في غير موضعها من الإنفاق

وهجا صاحب لحية : (٢)

ومائق فوق صدره هنةً  
إذا أراد الكرى توسدها  
علامة الفسق طول لحيته  
جازتُ بشبرٍ مشكَّ منطقتيه  
فقد كفته مكانَ مرقفته  
وآية الفحل طول شقشقته

وقال يهجو خالد القحطبي كما هجاه في حرف الدال والسين : (٣)

أخالدُ : قد أصبحت قيمَ نسوةٍ  
لعينيك ما يفعلن غيرَ مكاتم  
نساءً إذا ما أظهر الله آيةً  
رفعنَ لمُرتادِ الزنا أرجلَ الزنا  
كَمَلنَ خلَاعَ السؤِ مثلَ كمالِكا  
وما ذاك إلا من هون سبالِكا  
تحاذرُ منها الصالحاتُ المهالِكا  
عروضاً ويدي الداعياتِ هُنالِكا

وهجا أبخر من البحر المجتث : (٤)

سَمَّاكَ خُرءًا بخلا شاكَّ شيخٍ معفلٍ  
لأن في الخُرء نفعاً للخلِّ والخلُّ يؤكل  
وأنت ما فيك نفعٌ لولا للنفعِ توملُ  
فلستُ خُرءًا بخلٍ لكن صديقٌ بجنظل  
وإن هذين عندي في الخلق منك لأمثل  
وللمنافع إن عُددتِ المنافعُ أخيل

(١) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ٣٣٧

(٢) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ،

ج ٤ ص ، ص ٣٣٨

(٣) المصدر نفسه ، ج ٥ ص ٧٨

(٤) المصدر نفسه ، ج ٤ ص ١٣٦

وقال يهجو بني ثوابة من البحر المتقارب: (١) جاء الأبيات متناولة صفات الهجاء الساخرة، ممثلة في الكذب والفجور وأن زواجهم من النساء فاسد مشبهاً ذلك بفساد الماء الذي تغيرت رائحته، وهذه الأبيات تدل على ذلك .

بناتِ ثوابةَ ما في الأنام  
جمعتم لشقوتكم أبنةً  
ثقلتم فلو كنتم تكحون  
ولكن خلقتم بلطف اللطيف  
وكان البغاء دواءً الثقيل  
ألم تروا الأرض إذ ثقلت  
أخلق منكم ولا أثقل  
إلى ثقل ماله محمل  
باتت نساؤكم تطحل  
لأن تحموا لا لأن تحموا  
كيما يكون هو الأسفل  
كنتقيكم خلقت تجمل

هجا ابن فراس من البحر المتقارب: (٢)

بخيل يصوم أضيفه  
يدس الغلام فيوليهم  
فهم مفطرون ولا يطعمون  
فيحتال بخلاً لأن يفطروا  
لقد جاء باللوم من فسه  
ويخل عنهم بأجر الصيام  
جفاء فيشتتم مولى الغلام  
وهم صائمون وهم في أثام  
على رقت القول دون الطعام  
وتم له البخل كل التمام

وقال يهجو رجلاً عاب أكله: (٣)

كم جارع جرع المكاره عالماً  
يا صاحباً رضي النذالة صاحباً  
قد كان للجود المبين حاتم  
أن المكاره يكتسين مكارما  
وغدا يعد مؤاكلة أراقما  
وأراك للبخل المبين حاتما

وقال يهجو أبا سويد بن أبي العتاهية (٤)

أيها القائل بالجسم  
أتق الله ففي قولك  
لأن الأيـر جسم  
عدوان وإثم

(١) المصدر نفسه، ج ٥ ص ١٥١

(٢) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ج ٦ ص ١١

(٣) المصدر نفسه، ج ٦ ص ٧٥

(٤) المصدر نفسه، ج ٦ ص ١٣٦

أهويت الأير حتى  
ضل حلم لك أضحى  
قلت : إن الله جرم؟  
يعبُد الأير وعلم

وهجا ثقيلًا : من البحر الخفيف (١)

كان للأرض مرةً ثقلان  
أتقى غصةً اسمه علم الله  
يا ثقل الثقال أقذيت عيني  
من يكن عانياً بحب حبيب  
فلها اليوم ثالث بفلان  
فأكني عن ذكره بالمعاني  
ليت أني كما أراك تراني  
ففؤادي ببغضك الدهر عاني

وهجا أبا حفص الوراق من البحر البسيط : (٢)

قالوا : هجاك أبو حفص ، فقلت لهم :  
عرضي له الدهر يهجوني وأصقعه  
أخي وخلي وندماني وصعفاني  
وإن أبي زدته أعراض إخواني

وهجا أبا حسان الزيادي ، من البحر السريع : (٣)

إليس إن كنت من المنظرين  
هذا أبو حسان سيف الردى  
وكانت لا تهلك في الهالكين  
والله لو راجعته لفظة  
كلمة إن كنت من الصادقين  
ما رمت أو يقطع منك الوتين

وهجا ابن بوران من المتقارب : (٤)

وشيح بيت غلام له  
يقلقل أحشاه بباركا  
يُنعمه بنعيم مهين  
ورب شفاء بماء مهين  
بجرد طويل غليظ متين

وقال يهجو مغنية : (٥)

مغنية حقا بإسقاط نقطة  
لها نكهة تحكي بها إن تكلمت  
إذا ما شددت ظلت وأشداقها تلوي  
فأهدت إلى المشتّم من ريحها الفسوي

(١) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٢١٥

(٢) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ، ط ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت ، ج ٤ ص ، ص ٣٢٥

(٣) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢٦

(٤) المصدر نفسه ج ٦ ص ٣٢٦

(٥) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٣٤٦

إذا شهدت للقوم في اللهو معرساً  
وإنّ امرأً يقوى على لثم ثغرها  
جفت هامةً منها ودقق ساقها  
غدا مأتماً يمحو بأحزانه اللّهوي  
على الضغط والتعذيب في قبره يقوى  
فما صلحت إلا لبئجقها ملوي

وهجا ابن أبي العتاهية: (١)

إنّ عبد القوي عبد قوي  
أشبه العالمين في أخذه الكتب  
يكره الصوم والصلاة جميعاً  
في استه يأخذ الكتاب بفوه  
بيحي النبّي حاشا النبوه  
ويرى الكفر والبغاء مروّه

(١) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٣٤٧



ويبدو أن العقاد قد صنع عن ابن الرومي أفضل الدراسات التي كتبت عن شعره ، وخاصة عن سيرته الشخصية ، وفي ذلك يقول الدكتور طه حسين (١) :

" وأما العقاد فكتب عنه كتابا من أحسن ما كتب عن ابن الرومي إلى الآن، وإن كان الأستاذ عني بالشاعر أكثر مما عني بالشعر، فشخصية ابن الرومي من أحسن الشخصيات الإنسانية التي يجب أن تدرس ، فالباحثون يجب أن يعنوا بابن الرومي، ولا أقول في الأدب وحده، بل في الأدب والفلسفة وعلم النفس. فالأستاذ العقاد، في كتابه على عنايته بالشاعر قد أحسن إلى ابن الرومي ، وإلى الأدباء المعاصرين إحسانا لا حدَّ له " على سبيل ما أعطى من الشعر ، ففي أدبه لمحات إنسانية تهم علم النفس وعلم الفلسفة، على ضوء هذا المزاج الغريب الذي كانت تتبع منه تصرفات ابن الرومي الشخصية ، وعطاؤه الفكري في آن واحد توفي والده وهو في مطلع حياته أتجه إلى التعليم فألتحق ببعض الكتاتيب التي كانت تهتم بتحفيظ القرآن الكريم وتلقين الناشئة النحو وبعض الأشعار والخطب وشيئا من الحساب ونال حظه من هذا كله ثم اتجه إلى حلقات العلماء في المساجد فكان يستمع إلى بعض المحدثين والفقهاء ورواة التاريخ والأخبار وقد كثرت دراسة الآداب والعلوم والشعر وعاش في هذا العصر جهابذة من الشعراء والنابهين كابي تمام والبحتري والحسن بن الضحاك وعلى بن الجهم ودعبل الخزاعي وابن المعتز وابن الرومي وأوشك أن يكون كل متعلم متأدب شاعرا ينظم الأبيات والمقاطع في بعض أغراضه فمثلا الخلفاء كانوا ينظموا للغزل والغناء والأمراء والوزراء يتطارحون الأشعار ويحفظون منها الشيء الكثير ولهذا قال ابن الرومي في محمد بن عبدالله بن طاهر، أراد (وضح) أن ملوك هذا الزمن أدباء وشعراء لا يكرمون الشعراء المادحين بدافع من الغيرة ، وأن هؤلاء الملوك يلومون الشاعر إذا أساء المديح ويعيبون شعره .

لأنه كان يشعر بالمنافسة ولا يشعر بالعطف من جانب هؤلاء الزملاء وربما نظموا في أوزان الشعر الفارسية كالدوبيت والرباعية وتفننوا في التسميط والتوشيح والازدواج على نحو ما راه من كلف بعض الشعراء المعاصرين باختراع الأوزان و الأعراب.

(١) " من حديث النثر والشعر " للدكتور طه حسين ، دار المعارف بمصر ص ١٥٠

ويذكر معاصرو ابن الرومي انه كان ضيق الصدر سريع التغير والانقلاب واثر ذلكانه كالمتوجس المذعور إذا رأوه، كأنما أصابه شيء من الاختلال ولعل ذلك هو الذي أعده لا يصبح اكبر شاعر متطير في عصره، وتفتحت موهبته الشعرية مبكرة وهو لازال حدثا في الكتاب إذ تروى له أبيات في هجاء غلام عباسي يسمى جعفر كان زميلا له وكان ذلك إرھاصا بان الهجاء سيغلب عليه طوال حياته .

أصبح الشعر يتخذ حرفة يكتسب بها وعرضه على كبار الموظفين ورجال الدولة وفي مقدمتهم أبو العباس محمد بن الطاهر حاكم بغداد منذ سنة ٢٣٧ فاخذ ينقد بعض أشعاره ابن الرومي يوجه إليه مثل قوله<sup>(١)</sup>

مدحت أبا العباس أطلب رفته فخيبي من رفته وهجا شعري

ويبدو أنه كان بخيلا، وان بخله هو السبب الحقيقي في انصرافه عن الشاعر متعلبا أنه لا يعجب بشعره مما جعل ابن الرومي يصب عليه سياتا حاميه من الهجاء، وهو يعمم فلا يقف بهجائه له وحده بل يعم به أسرة الطاهرين جميعا من مثل قوله<sup>(٢)</sup>

إذا حسنت أخلاق قوم فبئسما خلقتم به أسلافكم آل طاهر  
جنوا لكم أن تمدحوا وجنيتم لموتاكم أن يشتموا في المقابر

ثم يتجه إلى سامراء حاضرة الخلافة ومجمع كبراء رجال الدولة ووزرائها العظام ويمدح أحمد بن الخصيب وزيره إلا انه وجد الباب أمامه مغلق، ونهض يحيى بن عمر العلوي بثورة عارمة في الكوفة ضد الدولة وأخذ يجند جيش كثيف لحرب العباسيين ويلتقي به محمد ابن عبد الله بن طاهر لسنة ٢٥٠ ويقتل في ساحة المعركة ويغضب له ابن الرومي غضبا شديدا ويرثيه بجيمية طويلة يندبه فيها ندبا حارا مصورا حرقه حزنه عليه، ولا يبكيه وحده بل بكى العلويين منذ شهدهم الحسين المقتول في كربلاء، وعلى هذا النحو أصبح ابن الرومي يجاهر بتشييعه ولعل هذا الجانب فيه هو السبب الحقيقي في أنه لم يحاول المثول بين الخلفاء مادحا، ثم بعد ذلك وقف مع عامة الشعب في بغداد لسنة ٢٥٠ حين لجأ إليها

(١) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ج ٣ ص ١٩

(٢) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٨٠

الخليفة المستعين ووقعت الحرب بينه وبين أهل بغداد، وبين المعتز والجند في سامراء  
وصور لنا ابن الرومي هذه الحادثة بدالية يرثى فيها الخليفة المستعين بعد قتله وعزله في  
سنة ٢٥٢ افتتحها بقولة<sup>(١)</sup>.

إن المنيّة لا تُبقى على احد      ولا تهاب أبا عزٍّ ولا حشد

وجمع الأتراك أمرهم على خلع المعتز وأرسلوا إلى سليمان حاكم بغداد أن يبعث إليهم  
بمحمد الوثائق ليبياعوه بالخلافة وكأنما يجد ابن الرومي في ذلك نكته لبيعته للمعتز فيصليه  
قطعة من هجائه قائلاً<sup>(٢)</sup>

جاء سُلَيْمَانُ بَنِي طَاهِرٍ فَاجْتَا حُجْرَةَ بَنِي الْمُعْتَصِمِ  
كَانَ بَغْدَادَ لَدُنْ أَبْصَرْتَ طَلَعَتْ نَائِحَةٌ تَلْتَدُمُ

وأخذت المنافسة بينه وبين البحتري تمتد وأنقسم الأدباء إلى قسمين:  
قسم من اللغويين وهم أنصار البحتري وهم الأكثر وآخر مقابلاً له وهم أنصار ابن الرومي  
ونراه هجاء خصمه ببائية طويلة: يقول فيها إن الحظ أعمى ولولا ذلك ما نال البحتري ما  
نال من الشهرة بشعره الغث في رأيه، ويزعم أنه ليس فيه شيء فكله أغارت وسرقات ونهب  
من دواوين أسلافه ويستعدى عليه العلاء بن صاعد الذي أمّن الطرق من اللصوص قائلاً: <sup>(٣)</sup>

ما أنسَ لا أنسَ هنداً آخرَ الحِقَبِ      على اختلاف صروف الدهر والعقب  
ليست من البحترياتِ القصارِ بُني      والشَّاربات مع الرُّعيان بالعُلب  
ولم تلد كوليِد اللّومِ فالقّة      عن رأسٍ شرٍّ وليدٍ شرٍّ ما ركَب  
البُحْتُريُّ ذنُوبُ الوجهِ نعرفُهُ      وما رأينا ذنُوبَ الوجهِ ذا أدب

أيسرقُ البحتريُّ النَّاسَ شعَرَهُمْ      جهراً وأنت نكالُ اللّصِّ ذي الرِّيبِ؟

(١) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ج ٢ ص ١٥٢

(٢) المصدر نفسه، ج ٦ ص ٨

(٣) المصدر نفسه، ج ١ ص ٣٠٠

يعيب شعري، وما زالت بصيرته عمياء عن كل نورٍ ساطعٍ اللهبِ

والبيت الثاني ما يدل على أن البحري كان ينقذ شعره وأشعار البحري حاميه مما أخذ عليه أنه غير مثقف بالثقافة الفلسفية الحديثة مثل ابن الرومي والذي تعمق الفلسفة والمنطق ، وما زالت المناقشة مشتتة بينهما فتداخل بعض الأدباء فأصلحوا بينهما وأعترف كل منهما بفضل صاحبه .

تناول ابن الرومي شعره في المدح مثل مديح أبي الصقر مدحا رائعاً<sup>(١)</sup> :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت ، كلا لعمرى ولكن منه شيبان

ظن أنه يعرض به لأنه كان يدعى نسبه من شيبان ولم يكن شيبا نيا حقيقة فقال هجاني ورجعه بعض الحاضرين قائلاً له : إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع ما بعده<sup>(٢)</sup> :

وكم من أب قد علا نرى شرف كما علت برسول الله عدنان

ولم أقصر بشيبان التي بلغت بها المبالغ أعراق وأغصان

لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان

فقال : إنا بشيبان ، وليست شيبان بي ، وملاه الغيظ والغضب على ابن الرومي فقليل له ألم تسمعه يقول<sup>(٣)</sup> :

لله شيبان قوم لا يشوبهم روع إذا الروع شابت منه ولدان

فاستمر في غيّه وسوء فهمه، وقال والله لا أثيبه على هذا الشعر وواضح إن أبا الصقر لم يفهم معاني القصيدة ولا مراد ابن الرومي في البيت الأول وغيره من الأبيات. فنجد أن ابن الرومي لم يبتعد عن الناس وعطاياهم ولم يهجر الدنيا وملذاتها بل كان يتهافت على الحياة مما يشبع شهواته ويسرف في ذلك كل الإسراف ويرمى على نفسه على أبواب الكبراء

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ، ط ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت

ج ٦ ١٧٨

(٢) المصدر نفسه ج ٦ ١٧٩

(٣) المصدر نفسه ج ٦ ١٧٩ .

والوجهاء طالبا رفدهم ،ممنياً نفسه بالحظوة عندهم ومع ذلك نجد شعره ناقما أو ساخرا عابثا ، ليس له منزله توجب احترامه ،لان في طبعه ما يستدل من شعره ما كان ينفره من الناس وينفر الناس منه وهذا الطبع هو الذي جنى عليه وألزمه حالة الحاجة والخمول وقد أصاب في وصف نفسه ،إذ قال (١):

أسخطت إخواني وأخفق مطعم فبقيت بين الدور والأبواب

### عقليته وأثرها في شعره:

لابن الرومي(٢)مع فرط أدبه وتوقد قريحته عقلية غريبة فهو لبيب مفكر يأتي بالحكم والأقوال الساحرة ولكنه في بعض الأحيان عصبي المزاج شديد الانفعال: فإذا هاجه هائج أضاع لبه فإذا عاتب كبار الرجال تجده مُرّ أليم اللسان ويتجلى مزاجه العصبي في عتاب إسماعيلين ونجت (وهو احد ممدوحيه) يوازن بين نفسه وسواه من الشعراء فيصفهم بالجيف الننتة والغناء الطافي على وجه اليم ،وانه أحق منهم ببلوغ الأمانى ثم يخاطب إسماعيل فيقول: (٣)

واجبي أن أرى جوابي عتباك فلا تجعل السكوت جوابي  
إن في إن تعقني بعض إغضابي وفي أن تهينني إغضابي  
كنت تأتي الجميل ثم تنكرت فعاتببت مجملا في العتاب

ومثل ذلك قصيدة يعاتب إسماعيل بن بلبل وقد شعر بشي من الجفاء منه قال فيها: (٤)

فما لعطاياك أضحت حمى على وأضحت لغيري نهابا  
قبلت مديحي وأنشدته أناسا وأمسكت عني الثوابا  
قلله أنت وما جئته إلى لقد جئت شيئا عجابا  
أتهتك سترى عن خلتي وتغلق دون عطاياك بابا  
حلفت لئن لم ترضني لتتصرفن القوافي غضابا

(١) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ، ط ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

بيروت، ج ١ ص ٢٦٧ .

(٢) أمراء الشعر العربي في العصر العباسي تأليف أنيس المقدسي ص ٢٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٣١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ص (٢٠٢)

وأقلّ ما يقال في هذا العتاب انه تهديد، وان صاحبه ممن إذا غضبوا لا ينظرون إلى العواقب، ومما عرف عن ابن الرومي من الهجاء هو اثر من تلك الطبيعة الشديدة الانفعال التي يخرج بها الإنسان عن طور الرشاد.

وقد غالى بعضهم في هجاء ابن الرومي وجعلوه فنا من فنون الشعر فلو اقتصر فيه الشاعر على تصوير المساوي، ولكن الشعر العربي الهجائي في كل أطواره لم يصل إلى تلك الدرجة الراقية إلا نادراً.

فالهجاء الفني يقتضى أمرين: الفكاهة أو الدعابة، وحسن التصوير فالفكاهة ترفعه عن الخشونة والإفذاء، والدعابة تضعه في صف الفنون الجميلة، ولكن أكثره من قبيل الطعن الشخصي الذي يراد به الحط من كرامة الشخص أو أهله، لا لقصد إصلاحه بل تشفياً أو تفاخراً<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت نقائص جرير والأخطل والفرزدق، وعلى هذا النمط جرى أكثر الهجائيين عند العرب ولم يشذ ابن الرومي عن هذه القاعدة وقال ابن رشيق: "وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به وحتى صار يقال أهجى من ابن الرومي، وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير.

هجاء ابن الرومي فيه شيء من الدعابة وحسن التصوير، ولكن معظمه فاحش لا يرتفع إلى أن نسميه فن أدبي، ومن دلائل ضعفه العصبي اعتقاده بالطيرة: كان ينتشام من بعض الألفاظ أو الحوادث، وكان لهذا الطبع اثر شديد في تصرفه مما جعله سخرية في أعين العقلاء، ونفسر هذه الظاهرة العقلية التي تضعف إرادة الإنسان وتحملها على ربط الحوادث بغير أسبابها إلا بقولنا أن صاحبها شاذ في عقله وان في جهازه العصبي ضعفاً خاصاً.

وقد تناول أبو العلاء المعري تطير ابن الرومي في رسالة الغفران وانتقده ولم يتعدّ دائرة الصواب إذ قال عنه "إن أدبه أكثر من عقله" وقال ابن رشيق: كان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة ليتصرف تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه، حتى بعض أخوانه من الأمراء انتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه خادماً ليتفاهل به. فلما أخذ أهبطه

(١) عبد الأمير على مهناً، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ١، ص ٢٩٢ وما بعدها

للركوب قال للخادم :انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ،ومنكوس اسمك لأبقا "ونلمح ذلك عندما سقطت ابنة بعض أصدقائه من السطوح فماتت ،فكتب إلى صديقه يقول فيها:(<sup>١</sup>)

لا تَهَاونَ بَطِيرَةَ أَيَّهَا النَّظَّارِ      وَاَعْلَمَ بِأَنَّهَا عُنْوَانُ  
قِفْ إِذَا طَيْرَةٌ تَلَقَّتْكَ وَانظُرْ      وَاسْتَمِعْ ثُمَّ مَا يَقُولُ الزَّمَانُ  
فَتُحَكِّمُ الْمَهْرَجَانَ بِالْحَوُولِ      وَالْعُورَ أَرَانَا مَا أَعْقَبَ الْمَهْرَجَانُ  
كَانَ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ ابْنَتَكَ      الْحَرَّةَ مَبْصُوغَةً بِهَا الْأَكْفَانَ  
وَتَجَافَى مُؤَمِّلٍ لِي خَلِيلٍ      لِحِجِّ مَنْهُ الْجَفَاءِ وَالْهَجْرَانَ

عقلية<sup>(١)</sup> كهذه لا تستطيع ربط الأسباب بالمسببات ،بل تميل إلى الوهم والذعر ، لا ينتظر أن يكون صاحبها ذا إقدام وعزيمة صادقة برغم من تجده في شعر ابن الرومي من ذكر المجد والعلا فإنه لم يتعدّ في ذلك حد الكلام ، فكان ذا موهبة شعرية حادة مقرونة بضعف عصبي حاد ، وقد تولد من امتزاجهما ذلك الخوف الصبياني وتلك الغيرة الشاذة التي كانت توهمه فوق العالمين ،وانه جديد بكل إكرام وتعظيم وان من لا يكرمه فقد نقص قدره وحق عليه أن يهجوّه ويحطّم كرامته ،وأنا لنوافق الأستاذ العقاد في شاعرنا : "كان حسن النية رقيق القلب لم يخلق شريرا مطويا على الشكس والعداوة" ولكن الرجل يجمع في نفسه نقائص من الأخلاق فهو مسالم شديد العداوة. رقيق القلب أليم البغض ،وفىّ ساخر ،شجاع جبان إلى آخر هذه الصفات الغريبة التي يقف المنتقد الأخلاقي لديها حائرا ، والتي لا يمكن لنا إلا نعرؤها إلى اختلال في جهازه العصبي جعله غريب الأطوار شاذ الأخلاق ،مميالا إلى الإسراف في كل شيء .

ويعتبر ابن الرومي ودعبل الخزاعي من أشهر الهجائيين في أدب العصور الإسلامية عامة في القرن الثالث للهجرة وقد جمع المعرى بينهما في بيت واحد وضرب بهما المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال<sup>(٢)</sup>:

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٢٠٣

(١) أمراء الشعر العربي ، أنيس المقدسي ص ٢٩٢

(٢) ابن الرومي حياته من شعره ، لعباس محمود العقاد منشورات المكتبة العصرية بيروت ، ص ١٩١

لو أنصف الدهر هجا أهله كأنه الرومي أو دعبل

وليس للمؤرخ الحديث أن يضيف أسما جديد إلى هذين الاسمين، فان العصور التالية للقرن الثالث لم تخرج من يضارعهما في قوة الهجاء والنفاذ في هذه الصناعة فنجد ابن الرومي لم يكن مطبوع على النفرة من الناس ولم يكن قاطع طريق على المجتمع في عالم الأدب، ولكنهما كانا فنانا بارعا أوتي ملكة التصوير ولطف التخيل والتوليد وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال فإذا قصد شخص أو الشيء بهجاء صوب إليه "مصورته الواعية فإذا ذلك الشخص أو ذلك الشيء صورة مهياة في الشعر تهجو نفسها بنفسها وتعرض للنظر مواطن النقص من صحتها، فكل هجوه تصوير لإشكاله أو لعب بالمعاني، والفرق بين مذهب الشاعرين فقد كان دعبل بدويا نافرا بفطرتة وكان ابن الرومي حضريا أنيسا بفطرتة، فإذا تبرم ابن الرومي بالناس فإنما يتبرم بهم ويأنس إليهم ويعانى ما يعانى من عشيرتهم ثم يسخط عليهم لأنه مقيد بهم لا يستطيع الفكك منهم فسخطه أساسه المودة والألفة وليس أساسه القطيعة والنفرة، كما كان السخط في نفس صاحبه دعبل الخارج على الجماعة ولهذا الفرق أثره في موضوع المسالب التي يلقيها كل منهما على مهجويه فدعبل يسلب المهجو جميع الفضائل التي تغتر بها النفس الصارمة البدوية: يسلب النخوة والكرم والبأس. وابن الرومي يسلب مهجوة الفطنة والكياسة والعلم يلصق به كل عيوب الحضارة التي يجمعها التبذل والتهاك على اللذات، فإذا حذف من هجوه كل ما أوجبته الحضارة والخلاعة الفاشية في تلك الحضارة فقد حذف شر ما فيه ولم يبق منه إلا ما هو من قبيل الفكاهة والتصوير، والبدوي يخاف الدم والحضري قلما يخافه، فما يرتاح للمدح ولا يرتاح للشتم كما قال ابن الرومي في بعض مهجويه، فالإفحاش وليد الحضارة والغلو والتهاك، ومتى غلا الشاعر في القذف بأدناسا التبذل والخلاعة فهناك عيبان محققان هما عيب البيئة التي أشاعت تلك الأدناس أو جعلت الدم بها نما على الأسماع فلا بد فيه للشاعر من المبالغة والإغراق.

والثاني نبحت عنه في قائل الهجاء ومدمنه، فإنه لا عيب فيه لما اضطر إلى الهجاء ولا أدمنه وأفرط فيه. فما هو ابن الرومي ما عيوبه التي أولعته بالهجاء والإفحاش وصيرته عنوان لزمانه في السفاهة والبذاءة، فعيبه الأول هو الشهوانية والتهاك على اللذات وهي التي هونت عليه الإقذاع وسوغت له خوض الفضائح فأوغل فيها غير مستكره ولا متحرج، ثم أعانها الضعف وهو عيبه الغالب عليه الذي تبدأ منه وترجع إليه جميع عيوبه. ففي



هجائه صفة ذميمة يشتمز منها القارئ في كثير من الأحيان ولكنها صفة الضعف والخفة وغيرها وتشعر بان قائل هذا الهجاء رجل متألم يدفع الألم عن نفسه وليس برجل السوء الذي يعنيه أن يوقع بغيره ويعتد إيلام الناس غرضاً له مقصود لذاته .

لابن الرومي فن واحد من الهجاء كان يختاره ويكثر منه لو لم تحمله الحاجة وتلجئه النعمة إليه ،ونقصد به فن التصوير الهزلي والعبث بالأشكال المضحكة والمناظر الفكاهية والمشابهات الدقيقة وهو مطبوع على هذا كما يطبع المصور على نقل ما يراه وإعطاء التصوير صفة من الإتقان والاختراع ونقرأ له قوله<sup>(١)</sup> :

ما استب قط اثنان إلا غلبا شهما نفسا وأما وأبأ

فلا تصدق أن قائله ابن الرومي هجاء اللغة العربية وقاذف المهجوين بكل نقیصة، وفي بعض الأحيان يسكن إلى رشده فيسام الهجاء ويعافه ويود الخلاص منه حتى لو كان مهجوا معدودا عليه ويعتزم التوبة عن الهجاء مقسماً<sup>(٢)</sup>:

آيَتَ لَا أَهْجُ وَطِـ\_\_\_\_وَالْ ذَهْرَ إِلَّا مِـ\_\_\_\_نَ هَجَانِي  
لَا بَلْ سَأَطْرَحَالْ هَجَاءَانِ رِمَانِي مَـ\_\_\_\_نَ رِمَانِي  
أَمِنَ الْخَلَائِقُ كُلُّـ\_\_\_\_هُمُ فَلْيَأْخُذُوا مِنِّي أَمَانِي  
حَلْمِي أَعـ\_\_\_\_زٌّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي إِذَا غَضَبِي عِرَانِي  
أَوْلَى بِجَهْلِي بـ\_\_\_\_عْدَمَا كُنْتُ حَلْمِي مِـ\_\_\_\_نَ عِنَانِي

هذا أشبه بابن الرومي لأنه في صميمه خلق مسالماً سهلاً ولم يخلق شريراً على العداوة فلو كان أكثر شراً لكان أقل هجاء ،لأنه كان يؤمن جانب العدوان فلا يقابله بمثله ،فكان يستخدم هجاءه للدفاع وليس للهجوم .

ومن قرأ مراثي ابن الرومي في أولاده وأهله فهو رجل مفطور على الحنان ورعاية الرحم والأنس بالأصدقاء والإخوان فمراثيه هي التي تدل عليه حق الدلالة وليست مدائح التي كان يملئها الطمع والرغبة أو أهاجيه التي كان يملئها الغيظ وقلة الصبر على خلائق الناس ،ففي هذه المراثي تظهر لنا طبيعة الرجل لا تشوبها المطامع والضرورات ،فنرى فيه

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت

ج ١ ص ٢٤٠

(٢) المصدر نفسه ، ج ٦ ص ٢٩٨

صورة الولد البار والأخ الشفيق والوالد الرحيم والزوج الودود والقريب الرؤوم والصديق المحزون ولا يكون الرجل كذلك ثم يكون مع ذلك شريرا مغلق الفؤاد مطبوع على الكبد والإيذاء.

فإذا اختلف القولان بينه وبين أبناء عصره فأحجى بنا قبل أن نصدق كلامه هو في أبناء عصره قبل أن نصدق كلامهم فيه لأنهم كانوا يستبيحون إيذاءه ويستسهلون الكذب عليه لغرابة أطواره وتعود الناس أن يصدقوا كل ما يرمى به غريب الأطوار من التهم والأعاجيب في حين أنو كان يتحامى تلك التهم ويغفر الإساءة بعد الإساءة مخافة من كثرة الشكاية وعلمنا منه بقلّة الإنصاف ، فهو لم يكن شرير ولا ردى النفس ولا سريع إلى النعمة، فكان مستغرق في فنه يحسب إن الشعور والعلم والثقافة وحدها كفيلة بنجاحه وارتقائه إلى مراتب الوزارة والرئاسة.

فهو شاعر فذ في ابتكاره وإبداعه وسمو خياله وشدة حسّه ونفوذ بصره وطول نفسه واستقصائه، وفهمه للأشياء فهما خاصا يفضى به إلى الشذوذ، واعتباره لها على خلاف ما درج عليه الشعراء فهو أطول شعراء العربية نفسا وأكثرهم استقصاء، كثير التوليد للمعاني مغرم بإيراد الأقيسة والحجج على معانيه ويتناول المعنى فيتوسع به، ويقيم الأدلة على ما يدعيه له في قصيده، ثم يأخذ المعنى نفسه، وفي قصيده ثانياه ويرعى خلاف ما ادعاه في الأولى ويورد له الأدلة والبراهين والناظر في شعر ابن الرومي يتبين حسن الوصف ودقة الملاحظة كما يتبين أثر الثقافة الواسعة في العلوم الإسلامية والآداب العربية فهناك ذكر الفرق والمذاهب والمقالات الدينية واستخراج المعاني الشعرية والحجج الخطابية من اختلاف آرائهم وأقوالهم قال<sup>(١)</sup>:

لولا دليل كبيضِ الفجرِ      يشرح بالإيمان كل صدرٍ  
لقلت بالدهر كاهل الدهرِ      مما أرى من سوء هذا القدرِ

ومن الشواهد الدالة على سعة ثقافته :

قال المرزبانى في معجم الشعراء (ابن الرومي أشهر أهل زمانه بعد البحترى، وأكثرهم شعرا وأحسنهم أوصافا وأبلغهم هجاء وأوسعهم افتنانا في سائر أجناس الشعر

(١) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ٤ ص ٣ ص ١٧٠

وضروبه وقوافيه يركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ويلزم نفسه ما لا يلزمه ويخاط كلامه بألفاظه منطقيه يحمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد من أهل عصره غزارة قول).

وقال المسعودي في مروج الذهب :

( ابن الرومي كان من مختلقي معاني الشعراء المجودين في القصير، والطويل، متصرف في المذاهب تصرفا حسنا وكان أقل أدواته الشعر).

وفهم ابن الرومي للشعر وطريقة تناوله يخالف ما أصطلح عليه شعراء العربية ولعل أحسن إيضاح لهذه القضية أن نورد رأى البحري في الشعر وهو متفق على أنه أحسن ممثل للروح العربية في الشعر وقال<sup>(١)</sup>:

كَلْفَتْمُونَا حُذُودَ مَنْطِقِكُمْ فِي الشَّعْرِ يَكْفَى عَن صَدَقَةِ كَذْبِهِ  
وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرُوحِ يَلْهَجُ بِالْمَنْطِقِ مَا نَوَعَهُ وَمَا سَابِيَهُ  
وَالشَّعْرَ لَمْحِ تَكْفَى وَلَيْسَ بِالْهَذْرِ طَوَلَتْ خَطْبَهُ

فيستعمل ابن الرومي الأقيسة المنطقية ويصطنع براهن أهل الجدل، ولا يعتبر الشعر كما يعتبره البحري لمحا وإشارة ويعتبره ككائن حي يشتمل على عناصر شتى من حسن وجهامة وقوة وضعف ورقة وخشونة فتارة يمثله بالعمر ، ولذلك طالت قصائده ، وأختلف ترتيبها عن طريقة الشعراء وقلت عنايته بالموسيقى اللفظية على سعته مفرداته وأنكر الناس عليه في أيامه ترتيب قصيدته ، وهو يمثل المعاني أشخاصا تفيض بالحياة يخاطبها ويسمع لها وينطقها بشتى الأحاديث وأنواعها. ولعل أظهر خصائص هذا الشاعر بعدما تقدم ثلاث: الاختراع وسعة التفرد وسعة الخيال، والاختراع هو أن يؤتى الشاعر بمعنى حسن جديد لم يسبقه إليه الشعراء من قبل. والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة وخاصة الاختراع لا تأتي بالتعليم بل تستدعي مخيلة مبدعه وفكرا مولدا وهي من أهم الخصائص وأندرها في الشعراء حتى في كبارهم وفحولهم مثل البحري وأبي فراس الحمداني<sup>(٢)</sup> والشريف الرضي<sup>(٣)</sup> فإنهم لم يذكروا باختراع على علو منزلتهم في

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي تأليف شوقي ضيف ، ص ١٩٦

(٢) أبو فراس الحمداني: أمير وشاعر ولد بالموصل سنة ٩٢٢ ومات قرب حمص عام ٩٦٨ نشأ مع ابن عمه الأمير سيف الدولة وإستصحبه في معاركه أسروه الروم ونقلوه إلى خرشنة وديوان

الشعر .ونجد أن ابن الرومي يفوق الجميع في هذه الخاصية فهو أكثر شعراء العربية اختراعا وتوليدا وأحق من تسمى أشعاره بنات فكره.ولو صحَّ أن يسمى المخلوق خالق لجاز أن يقال أن ابن الرومي مخلوق خالق لكثرة ما أبتكره من المعاني التي لا محل لاستقصائها ولكن نورد أمثلة منها، منها قوله: (٤)

عَدُوكَ مَنْ صَدَيْقَكَ مُسْتَفَادًا      فَلَاتَسْتَكْتَرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ  
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَحْوِلَ      الطَّعَامِ أَوْ الشَّيْبِ رَابِ  
مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّيْبِ رَابِ      وَتَلْقَى الرَّيَّ فِي النَّطْفِ الْعَذَابِ

وقوله (٥):

عَيْنِي لِعَيْنِكَ حِينَ تَنْظُرُ مَقْتَلُ      لَكِنْ لِحِظِكَ سَهْمٌ حَتْفٌ مُرْسِلُ  
وَمَنْ الْعَجَائِبُ أَنْ مَعْنَى وَاحِدًا      هُوَ مِنْكَ سَهْمٌ وَهُوَ مِنِّي مَقْتَلُ

وإذا صح قول النقاد : أن الشاعر سُمِّي شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به الناس فنجد أن ابن الرومي أحق الناس بهذا الاسم لأنه تلبس بهذه الصفة إلى أقصى حدودها فهو يشعر به بما لا يشعر الناس ،ويرى ما لا يرون ،وتعتبر الأشياء على خلاف ما يعتبرون فيرى للمعنى الواحد أوجه شتى وصورا متباينة ،وفهمه على أنواع مختلفة ويحلّه حلا ينم على ذهن متوقد ونظر بعيد وخيال سام وخاطر غريب وقال يصف شعره ، وسمع البحري يوما شيئا من شعره فأستحسنه وتعجب منه وقال "هذا من خاطر الجنلا من خاطر الأنس ".وقد تقضي خاصة التفرد إلى الشذوذ، فيحسن القبيح ويقبح الحسن ويقيم الأدلة الخطابية على ما يدعى. وخاصة التفرد أعظم عنصر في نبوغ ابن الرومي ولا نجدها واضحة جلية كما نجدها فيها وليس بمستعبد أن يكون تظاهر على تكوين هذه الخاصة فيه مزاجه وجنسه وثقافته لأنه كثيرا ما يستعين بأقيسة المتكلمين وأهل الجدل في بعض ما يخالف به عرف

شعره يسجل تاريخ حياته وهو من شعراء الطبقة الأولى وشعره الروميات التي نظمها في أسره من أروع شعره

(٣) الشريف الرضي :محمد بن الحسين العلوي أشعر الطالبين على كثرة المجيدين فيهم مولده ووفاته في بغداد سنة ٤٠٦ شعره من الدرجة الأولى بيانا ووصفا

(٤) عبد الأمير على مهنا ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت

ج ١ ص ٢٤٦

(١) ديوان ابن الرومي، ص ١٣٠

وأمثته تدل على خاصة التفرد والشذوذ : مثلا درج الناس على الحزن عند المصائب وهو يرى أن حزنه على نفسه يشغله عن الحزن على غيره إذ يقول<sup>(١)</sup>:

رأيتُ الدَّهْرَ يجرح ثم يأسوا      يُعوض أو يُسلى أو يُنسى  
أبت نفسي الهلاع لفقْد شيء      كفى حزنا لنفسي فقد نفسي  
أتهلع وحشة لفرأقألفا      وقد وطنتها لحلول رمس

وهناك نوع من شذوذه كأنما أراد أن يغيظ به الناس فعمد إلى ما أجمعوا على استحسانه، فهجته وقبحه كقوله يهجو البدر، وكأنه كان يريد أن يمتحن مقدرته الفنية في تقبيح الحسن.<sup>(١)</sup>

لو أراد الأديب أن يهجو البدر      رماه بالخطة الشنعاء

قال يا بدر أنت تغدر بالساري      وتزري بزورة الحسناء

أما إذا تناولت الخيال فهو مادة الشاعر، وعلى أجنحته يسمو ويخلق به في سماء الشعر ولولاه لأفقر الشعر من السحر والاختراع والإبداع والشعراء يعيشون بخيالهم أكثر من الفنانين ولولا ذلك لكانت الحياة عبئا ثقيلا أشد الناس إحساسا وشعورا.

ومظهر الخيال في الشعر العربي على حالين: دنيا وعليا وأما الدنيا في المجاز وفروعه من تشبيه واستعارة وكناية، وأما العليا ففي اختراع المعاني وإبداع الصور ونفخ الحياة فيما يخلقه الشاعر ويتخيله، وخيال ابن الرومي خصب واسع في المظهرين يرفده حس مستيقظ، ومزاج عصبي فيسمو ويخلق ويتسلسل ويصور ويخترع بل يعيش في عالم خيالي مسحور خلقه لنفسه بأرضه وسمائه ومرئياته ومعنوياته وبث الحياة في جميع عناصر ذلك العالم وجعلها تتأثر وتعمل فالماء والهواء والكواكب والتراب والأشجار والأعشاب والأزهار أحياء تتجاذب الحياة وتحس وتفهم وتلد وتحب وترضى كالإنسان ولسان حالها لا يقل عن لسان المقال قال

(٢) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت

ج ٢٥٢٣

(١) عبد الأمير على مهنا، ديوان ابن الرومي، ط ٢ ١٩٩٨م، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت، ج ١، ص ١٢١،

## الهجاء وموضوعات وسمات شاعرية ابن الرومي:

شاعرية ابن الرومي<sup>(٢)</sup> تختلف عن شاعرية من عداه من شعراء العرب ، في انه لا يعير الصياغة اللفظية ، والأسلوب التعبيري ، الاهتمام الذي كان يعيره للعمل العقلي ، وللمعنى العميق الدقيق. ومن هنا أنه ضحى بالإجادة البيانية في كثير من الأحيان ، في سبيل استكمال الصورة التي يصفها أو الشعور الذي ينمّ شعره عنه أو العاطفة التي تقعم فؤاده فهو ترجمان حياته والحياة عنده أوسع من أن تحصر وراء أبواب وفصول لأنه نظم في كل معاني الحياة فهو أكثر الشعراء معاني ونواحي وخاصة الاختراع والتفرد وسعة الخيال والاستقصاء شائعة في جميع ما قال ،ومما لاشك فيه أنّ إحسانه في بعض الأبواب أظهر كالوصف والتصوير إجادة لم يسبقها إليه شاعر ،والشكوى والعتاب وبرع في الهجاء ، حتى عدّ سيّد شعرائه في الأدب العربي ، ولقد تعرض ابن الرومي لموضوعات ليست جديدة في الأدب العربي، ولكنه أفاض فيها ووسع معانيها وطورها. فهو أول شاعر تبسط في وصف الحياة والناس ،وكذلك أول شاعر تغلغل في طبقات المجتمع وأصناف الناس ، فمثلا صور الأحدب والأصلع وما شابه ذلك وعبر عن كل شكل من أشكال الطبيعة ،وعن كل حركة تمور فيها<sup>(١)</sup>. وإذن ابن الرومي شاعر مجدد ، بكل مافي التجديد من معنى ؛ لقد انطلقت شاعريته في الآفاق التي أحببتها ، لم تقيد نفسها بأغراض رتيبة تعاهدها الشعراء ، فما حادوا عنسبيلها ،ولا وجدوا لأنفسهم منها فكاكا، ودراستي المنهجية لهذا الشاعر تقتضي الوقوف عند ثلاثة من أغراضه رئيسة وهي الوصف والثناء والهجاء والسخرية والوقوف على خصائص الشاعر العامة لا يمكن أن يتحقق بصورة جدية ومتكاملة ، ونضيف إلى هذه الأغراض الثلاثة ، لمحات موجزة عن بعض الأغراض الباقية التي تناولها ابن الرومي ،وسكب عليها فيضاً من شاعريته، فلقد جوّد في هذه الأبواب الثلاثة ما شاء ،واتى بما يأت به أحد ونفرد هذه الأبواب في سطور :

وإن شاعرا بلاه الدهر هذا البلاء ، وأصابته سهام الأقدار تلك الإصابات ، لحري به أن يستفيد من تجارب الحياة وعبرها دروسا لا تنسى ، بل دروسا يجدر ببني الإنسان أن يحفظها ، ويعتبر بها ، فيفهم حقائق غابت عن باله ، ويطلع على أسرار لا يتأتى له كشفها

(٢) الأعلام والفنون الأدبية : للدكتور فوزي عطوي دار الكاتب العربي ١٩٦٦م ج ١ ص ٧٩

(١) الحديث في الأدب العربي ، لشفيق النقاش طبعة ١٩٥٢ ، ص ١٧٣

بالسهولة واليسر ، فإذا وقف ابن الرومي مرشداً ، واعظاً ، مدلياً بالحكمة الإنسانية الخالدة ، فإنما هو المتحدث بلسان الحقيقة التي لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان .  
وابن الرومي ، وإن لم يكن فيلسوفاً ذا منهج واضح متجه إلى هدف محدد ، فهو شاعر الخاطرة الناجمة عن تجربة ، وشاعر الحكمة النابعة من إدراك لحقيقة إنسانية مطلقة ، ولأنه كذلك ، فإن آراءه تتنوع بتنوع تجاربه . إن إدراكه البديهي لتركيب الكيان البشري من روح وجسد ، جعله يؤمن بأن امتزاج هذين العنصرين هو امتزاج الخير والشر في الذات البشرية (٢)

النَّفْسُ خَيْرٌ رَكَ، إِنَّهَا عَلَوِيَّةٌ وَالْجَسْمُ شَرٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَارٌ  
فَإِنْفَذْ لَخَيْرِ رَكَ لَا لِشَرِّ رَكَ، وَاتَّبِعْ أَوْلَاهِمَا بِالْقَادِرِ  
فَالنَّفْسُ تَسْمُو نَحْوَ عُلُوِّ مَلِكِهَا وَالْجَسْمُ نَحْوَ السُّفْلِ هَاوِ هَارِي  
رَأَيْتَ جِنَاةَ الْحَرْبِ غَيْرَ كِفَاتِهَا إِذَا اخْتَلَفَتْ فِيهَا الرِّمَاحُ الشَّوَاجِرُ  
كَذَاكَ زِنَادُ النَّارِ عَنْهَا يَنْجُوهُ وَلَكِنَّمَا تَصَلِي صِلَاهَا الْمَسَاعِرُ

في كل ذلك كما ترى المعجب المطرب، مما يخاطب العقل ويناجي القلب ويثير العاطفة ويهز النفس ويمتع النظر ويطرب السمع ويلذ الذوق. ولو أُتيح لابن الرومي في جملة شعره من حسن النسج وجمال الديباجة وسحر الألفاظ ما أُتيح للبحثري لما تقدم عليه شاعر .

ولم يكن الهجاء قبل<sup>(١)</sup> ابن الرومي استجابة لرغبة فنية، أو لنزعة وجدانية لدى الشاعر، وإنما كان الهجاء يتسم بالميسم السياسي أو العشائري ، وبذلك لم يكن يخلو هتك ستر ، أو فضح سر ، فضلاً عن تعابيره البذيئة المقذعة التي تمعن في المهجو إيلاً وإيذاءً أما ابن الرومي، فلم يكن يدفعه إلى الهجاء دافع منهذه الدوافع؛ ولعل في رأس الأسباب التي جعلته لا ينظم شعراً من هذا القبيل، كونه يوناني الأصل، وإن كان يدين لبني العباس بالولاء. وإنما دفع الشاعر إلى الهجاء ، مزاج شخصي فيه ، ورغبة ملحاح في الاستجابة للفن الوصفي المشوه الساخر، ثم دفعه إلى ذلك الهجاء ما كان في نفسه من نقمة على الناس والمجتمع، بسبب الحرمان الذي عانى منه والحاجة التي عضته بنابها، والازدراء الذي لقيه من بني البشر والنكايّة التي أحاطوه بها من كل جانب. وهجاء ابن الرومي ناجم عن فنه وبراعته

(٢) المصدر نفسه ج ٣ ، ص ٨٥

(١) ( ابن الرومي شاعر الغربة النفسية ) د فوزي عطوي ص ٧٠

في التصوير الساخر، وفي تجسيم المعاييب، وإبراز الجوانب المخزية في شخصية من يصب عليهم هجاءه وغضبه؛ كما أن إبداعه في ذلك الفن ناجم عن جراح الدهر الذي آذاه، وعن مصائب الزمن الذي برح به، وعن لوعة الألم الذي ناء عليه.

ويقول الدكتور شوقي ضيف، موضحاً العلاقة بين الشاعر وفن الهجاء عنده<sup>(١)</sup> "فقد أعد مزاجه الحاد لضرب من الهجاء يمكن أن نسميه الهجاء الساخر، إذ كان يعبث بمهجويه عبثاً لاذعاً يشبه الصور الكاريكاتورية.

فهو يقف عند نواحي الضعف، ويكبرها، ويظهرها في أوسع صورة لها، حتى يثير الضحك والإشفاق على من يتناوله منهم، إذ يصنع بهم صنيع أصحاب الصور الكاريكاتورية: فهم يضعون راساً كبيراً على جسم صغير، أو يخالفون في أعضاء الجسم، فيركبونها عليه بالطول، وتارة بالعرض، وهو تركيب مضحك في جميع صورته وهيئاته؛ وكذلك كان ابن الرومي يتناول من يهجو، فيشوهه تشويهاً غريباً". ولقد هجا ابن الرومي<sup>(٢)</sup> شعراء عصره، حسداً ونقمة، لأنه كان يراهم رافلين بحلل النعمة والعزة، وهو رافع في بؤسه وذله. كذلك كان شأنه مع البحري، على الرغم من أن البحري شاعر مجيد مبدع، ومن يقرأ قصائده، يصطدم باللهجة العنيفة المؤلفة التي لا تنطلق من مقاييس نقدية سليمة، ولا ترتكز إلى أصول بلاغية عامة. وكان أجدر بابن الرومي بدل أن يتعرض للبحري في شؤون مظهرية خاصة، أن يدلنا على جوانب النقص التي تعتريشعره، أو إلى المعاني المسروقة التي يتهمه بها في البيت الأخير، ولم يكن لهذه الأبيات من القيمة النقدية مالها من القيمة الهجائية الساخرة التي لا يهم سوي التشويه بصرف النظر عما إذا كانت كلماتها صادقة النبوة، أو كاذبة اللهجة.

فإذا نظرنا إلى هذه الأبيات من هذا المنظار، أدركنا أن ابن الرومي في هجائه الوصفي، أو في وصفه الهجائي، فقد حالفه التوفيق، ولقد سبق لنا قول في حديثنا على شعر المتنبي: إن النظرة الفنية إلى عمل من الأعمال الفكرية، وخاصة إلى العمل الشعري، وكان ابن الرومي لا يبارى في الهجاء لذلك طبع عليه فكان أول قال من الشعر، وهو في الكتاب وختم به حياته، لأنه كان سبب موته، جود ابن الرومي الهجاء، لأنه كان عصب المزاج المفرط الحس

(١) ((الفن ومذاهبه في الشعر العربي)) للدكتور شوقي ضيف ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) (ابن الرومي شاعر الغربة النفسية) د فوزي عطوي، ص ٧٨



كثير الوسوس شديد الاعتداء بنفسه عاكسه الدهر في كل أمانيه وجفاه وأغرى به بعضهم يهزؤون به ويسخرون منه فعظم عليه هذا الحرمان ولم يطق احتمال هذا الظلم فنقم من الدهر وأهله هذا الجور الأعمى ،وانتقم لنفسه بالهزاء أشد انتقام كان في أهاجيه يخوض حربا زبونايعد لها جميع أنواع السلاح والحيل لقهر عدوه فيهاجمه في نفسه وعرضه وشرفه ومرؤته ونسبه ويرمى الرجل بكل نقيصة ويقذف النساء بكل فاحشة ويفحش ويقذع ويخترق ويكذب ويخترع لهذه الشتائم صورة مبتكرة تبكى تارة وتضحك أخرى .وهو في هجائه خصم قاس شديد عالم بالمقاتل تام العدة يرمى فيصميو لا يقف عند حد في خصامه فإذا رمى فريسته مثلبها أشنع تمثيل، وهجاءه في جملته بجمع كل عناصر الهجاء التي تقاسمها الشعراء منذ الجاهلية إلى عصره تجد فيه التفرغ الأليموالشتيمة الموجعة والتهكم اللاذع والسخرية الممضة وهتك الحرمات فهو الغاية التي بلغها هذا الفن في جميع أطواره وهجاؤه ممض<sup>(٢)</sup>،كيف ما أداره ولعل أبداع ما فيه عنصر السخرية والتهكم فهو مصور وممثل هزلي بارع يصور المهجو ويمثله أضحوكة تستثير الضحك ورأيهفي ذلك رأى جرير القائل: إذا هجوت فأضحك "

ولو خلا هجاء ابن الرومي من الفحش والإقذاع لكان من أنفس الفنون الأدبية ،لما فيه من الفطنة والبراعة وخفة الروح والنقد والابتكار والذوق واللباقة على أنه فيإقذاعه فنان ساحر ويعتبر إقذاعه الذي يستثير الإعجاب فهو عمل سيئ ولكنه والحق يقال متقن فيه شعر وإبداع وأي شيء أدل على براعة الفنان فلا يزال يريق عليها من سحره حتى يجعلها فتنة للناس قال يهجو طنبورياً<sup>(٣)</sup>:

أَبُو سُلَيْمَانَ لَا تَرْضَى طَرِيقَتَهُ لَا فِي غِنَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ صَبِيَّانِ  
لَهُ إِذَا جَاوَبَ الطَّنْبُورَ مُحْتَفِلًا صَوْتًا بِمَصْرٍ وَضَرْبٍ فِي خُرْسَانَ  
عَوَاءِ كَلْبٍ عَلَى أَوْتَارٍ مَنْدَفِهِ فِي قَبْحِ قَرْدٍ وَفِي اسْتِكْبَارِ هَامَانَ  
وَتَحْسَبُ الْعَيْنُ فِكْيَهُ إِذَا اخْتَلَفَا عِنْدَ النَّغْمِ فَكِي بَغْلٍ طَحْنَانَ

(٢) ابن الرومي ، لخليل بك مردم ص ٥٧

(٣) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ، ط ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج٦ ، ص ٢٨٨

والهجاء عند ابن الرومي يأخذ لونين :لونا قائم كله على الإقذاع والسب وهتك للإعراض وقد يطيل فيه إلى مئات من الأبيات ،ولونا زاهياً ينحو فيه منحى السخرية والإضحاك وهو اللون المهم في هجائه لأن اللون السابق كثيراً مانجده عند سابقيه ومعاصريه ،أما الهجاء الساخر فقد نماه إلى أبعد حد تسعفه في ذلك قدرة بارعة على استغلال العيوب الجسدية في مهجويه حتى ليصبح شبيها أدق الشبه بأصحاب الصور الكاريكاتورية ،فهم يستغلون العيوب الخلقية ويبروزنها بالطول أو بالعرض أو التضخيم أو التصغير إيراداً مضحكا في كل صورة ،وكذلك كان ابن الرومي هجاء ساخر يعرف كيف يصور العيوب الجسدية<sup>(٢)</sup> والمعنوية تصويراً مضحكا مثل تصويره لبعض مهجويه بحيوانات مجتررة ،وكذلك لم يعجبه بعض المغنين فصوره في تحرك فكيه قي غنائه بالبغل حين يحرك فكيه للأكل فذات يوم له جار أحدب فرؤيته كانت تؤذيه فانقم لنفسه منه بقوله<sup>(٣)</sup>:

قصرت أخدعه وغاب قذاله فكأنه متربص أن يصفعا  
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

فجعله الدهر مصفوعاً يحاول أن يتقي صفعه بتجميع قفاه إلى ظهره ،وكانت تؤذيه اللحي حين تخرج عن مقدارها الطبيعي فيهجوها ويهجو أصحابها هجاء ساخراً وله مقطوعات غزليه قصيرة وطويلة ومن أطرفها وأجمعها للهزؤ والسخرية قوله في لحيه بعض مهجويه<sup>(١)</sup>

أن تطل لحيه عليك وتعرض فإلمخالي معروفة للحمير  
علّق الله في عذاريك مخللة ولكنّها بغير شعير  
لو غدا حكمها إلي لطارت في مهب الرياح كل مطير  
لحيه أهملت فسالت وفاضت فإليها يشير كرف  
أروغ منها الموسي فانك منها يشهد الله في آثام كبير  
ما تلقاك كوسجق إلا جـرر الله  
لحيه أهملت فطالت وفاضت فإليها تشير

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي لشوقي ضيف ص ٣١٥  
(٣) ابن الرومي ، تأليف خليل بك مردم ، دار صابر بيروت ، ١٩٨٨ م ص ٦٠  
(١) ديوان ابن الرومي ج ٣ ص ٣٢

ما رأتها عين من امرئ ما رأتها  
 روعة تستخفه لم يرعها  
 فاتق الله ذا الجلال وغير  
 أو فقصر منها فحسبك منها  
 لو رأى مثلها النبي لأجرى في  
 واستحبالإخفاء فيهن  
 فتلك لحية أهملت وفاضت في وجه صاحبها وكأنها مخللة شعير فارغة متدلّية في رقبة  
 حمار ، وهذه اللحية مهما طالت وعرضت فلن ترفع صاحبها أو تزيده إكراماً . و شبه  
 الشاعر بقوله "بغير شعير" على أن بيته الأول لا يخلو من غمز للمخاطب إذ يشبهه من  
 طرف خفي بالحمار . وهذه اللحية الكثة المفرطة في الطول والعرض تزيد الشاعر إيماناً  
 بانعدام العدل في كل شيء ، إن هذا الضرب من هذه اللحية لا يزيد صاحبه إلا بشاعة  
 وقبحاً. فمن يلقه يملأ الفزع نفسه ، وهو يرى فيه ما هو أبشع وافزع من مرأى منكر  
 ونكير يوم القيامة . ولكن بدون شعير ونصح صاحبها أن يجعل الموس يرعاها ويأخذها  
 من جميع أطرافها وجعل محافظته عليه إثماً كبيراً فإن الكوسج خفيف اللحية إذا رآها نسب  
 إلى الله الجور والظلم في قسمة الأرزاق ، وقد طالت حتى غدت فرجة للرائحين والغادين  
 متعجبين بل يصيحون الله أكبر للروعة الشديدة التي تأخذهم ، وأنها لأكثر هؤلاء من وجه  
 ملكي القبر منكر ونكير ويدعوه أن يتقي الله ويغير هذا المنكر الذي يحمله في ذهابه وإيابه  
 أوليقصرها على التذكير والرجولة ، يقول أن الرسول عليه الصلاة والسلام لو رآها لأبدل  
 السنة وهو يشير في البيت الأخير إلى الحديث الشريف (احفوا الشوارب وأعفوا اللحية).  
 وقال ابن الرومي يهجو الشعراء<sup>(١)</sup> :

يقولون ما لا يفعلون مسيئةً من الله مسيوبٌ بها الشعراءُ  
 وما ذاك فيهم وحده بل زيادة يقولون ما يفعل الأُمراءُ

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ،  
 ج ١ ص ٥٢

وكذلك من أنواع الضرب الهجائي الفني الكاريكاتوري القائم على المبالغة في الوصف والتصوير المعبر عن الازدراء والتحقير ما قاله ابن الرومي في أنف المدعو (دبسا) وكان أنفا طويلا للغاية: (١).

قولا لدبسٍ شـرّ من يطأ التراب و يرمسُ  
تبباً لدهر أنت فيهمقـدم ومـرأس  
لو أن إيليسا رآك لكاد ذعرا يبلس  
وإذا جالست أذى خشامـكمن يضـم المجلس  
وإذا نهضت كبا بوجهك للجبين المعطس  
فالأنف منك لعظمه أبدا لراسك يعكس  
حتى يظن الناس أنك في التراب تقرس  
إن كان أنفك هكـذا فالفيل عندك أفطس  
إذا جلست على الطريق ولا أرى لك تجلس  
قيل: السلام عليكم ما فتجيب أنت ويخرس  
ومن روائع هجائه القصيدة اللامية الشهيرة التي تعرض فيها لعمرو ، صاحب الوجه الطويل ؛وفي هذه القصيدة من الخفة والرشاقة والحركة والحيوية ، ما يُدمي المهجو ،وينتزع إعجاب القارئ أو السامع ،بالتجربة الفنية المكتملة لدى الشاعر ،حيث تتجسد في المهجو، عبر القصيدة ، ألوان الخزي الخُلقي والعائلي ، مضافة إلى قُبْح الشكل والمنظر (١)

وجهك، يا عمرو، فيه طولٌ وفي وجوه الكلابِ طولٌ  
مقابح الكلبِ فيك طرّاً يزول عنها ولا تزول  
وفيه أشياء صالحاتٌ حمّا كما الله والرسول  
فالكلبُ وافٍ، وفيك غدرٌ ففبك عن قدره سُفولٌ  
وقد يُحامي عن المواشي ومما تحامي ولا تصول  
وأنتَ من أهل بيتٍ سوءٍ قصّتهم قصةٌ تطولُ

(٢) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٢٧٨.

(١) عبد الأمير على مهناً ، ديوان ابن الرومي ، ط ٢ ١٩٩٨م ، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر بيروت ، ج ٥ ص ١٨٧

وجوههم للورى عِظَاتٌ	لكنَّ أققاهم طبولُ
نستغفرُ اللهَ قد فعلنا	ما يفعلُ المائقُ الجهولُ
ما إن سألنا ما سألنا	إلا كما تُسألُ الطلولُ
صمَّتْ وعيَّتْ، فلا خطابُ	ولا كتابُ، ولا رسولُ
مستفعلنُ فاعلنُ فعول	مستفعلنُ فاعلنُ فعول
بيتُ كمنك ليس فيه	معنى سوى أنه فضول

الملاحظ ، أنه بدأ وصفه بتقرير حقيقتين :وجه عمرو طويل ، ووجه الكلاب طويلة ؛ ثم يربط بين هذين الحقيقتين بحرف العطف ، فإذا بوجه الشبه قد انعقد بين المهجو والكلب . ثم يمضي ابن الرومي في المقارنة والموازنة بطريقة منطقية متسلسلة : إن مهجوه والكلب يشتركان في جميع مقابح الكلاب ، ولكنهما يختلفان بعد ذلك في أن الكلب ربّما تخلى عن مقابحه ، أمّا المهجو فمقابحه لا تزول؟ ويختلفان أيضاً في أن الكلب يتحلى بميزات صالحة يفترق إليها المهجو؟ وهنا يبدأ ابن الرومي بالتفصيل وإيراد الحجج والأدلة والبراهين فيعرض لأخلاق المهجو: الكلب وافٍ والمهجو غادر ، ويعرض لشهامة المهجو: الكلب ذو نخوة والمهجو جبان نذل ،حتى إذا انتهى من شخص مهجوه في شكله وأخلاقه وعزيمته التفت إلى أسرته ووصفها بأنها أسرة سوء . ثم يعرض لمنزلة المهجو فيجعله تافهاً لا قيمة له ولا حاجة إليه مثل مستفعلن فاعلن فعول .

ومثال آخر ابتلاه سوء حفظه بلسان ابن الرومي ، وهو أبو سليمان الذي كان مغنياً ومعلم صبيان . يقول <sup>(١)</sup>

أبو سليمان لا تُرضى طريقتُهُ	لا في عناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوب الطنبور محتفلاً	صوت بمصر وضرب في خرسان
عواء كلب على أوتار مندفة	في قبح قرد وفي استكبار هامان
وتحسب العين فكيه إذا اختلفا	عند النغم فكي بغل طحان

(١) ديوان ابن الرومي ج ٦ ص ٢٨٨

فالشاعر بعد أن وضع العنوان وهو أن أبا سليمان غير نافع في الغناء وفي التعليم ، بدأ بالتفصيل فتناول أولاً جهل أبي سليمان بأصول التلحين والملازمة بين العزف والغناء ؛ ثم وصف صوت وعزف وشكل وأخلاق أبي سليمان ، وإذا في البيت صورة جمعت من عناصر القبح ما لا يمكن تخيله . وكان ابن الرومي قد شعر بأنه لم يوف بعد أبا سليمان حقه فإذا به يتبعه وهو يغني حتى يقف عند حركة فكّيه فيرى بغل طحّان . ولا يخفى ما في هذه التفصييلة من إمعان في التشويه .

وكذلك مثلاً آخر التقطته ريشة ابن الرومي ورسمته بهذه الصورة :

تخاله أبدأً من قبح منظره مجاذباً وترأً أو بالعاء حجرا

كأنه ضفدع في لجة هرم إذا شدا نغما أو كرر النظرا

فصور ابن الرومي المغني في ثلاث صور هي : صورة لجهد المغني وانتفاخ أوداجه كأنه يجاذب وترأً صعباً ، وصورة لاختناق صوته كأنه بالع حجراً ضخماً ، وأخرى لصوته ونظراته وهو يغني كأنه ضفدع هرم ينق في الماء نقيقه الخشن المبحوح . ولا يخفى ما في هذه الصورة من تشويه للقبح : فالضفدع قبيح أصلاً ، إلا أن ابن الرومي يزيد على هذا القبح عنصري الهرم والماء .

## **الفصل الرابع**

**الهجاء عند بن المعتز**

## الفصل الرابع

### الهجاء عند بن المعتز

#### مولده ونشأته :

كان الشاعر العباسي عبد الله بن المعتز واحد من أولئك الشعراء الذين مثلوا تلك الطفرة التي عرفها الشعر العربي من شعر قديم ، فيأخذ أحد شعرائها في بناء قصائدهم ومعجمهم وإيقاعهم وصورهم.

ولد في بيت الملك وموئل الخلافة ونشأ في باحة من النعيم ، فكان نبيل النفس دقيق الحس ، قوي الشعور بالجمال ، ولعاً بالأدب والموسيقى. عاصر ابن المعتز بعد وفاة والده أربعة من الخلفاء العباسيين هما المهدي (٢٥٥-٢٥٦)، والمعتمد (٢٥٦-٢٧٩)، والمعتضد (٢٧٩-٢٨٩) ، والمكتفي (٢٨٩-٢٩٥)، عبدالله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ولد قبل وفاة جده بسامراء المتوكل عام (٢٤٧ هـ ٨٦١ م) للهجرة وبعد وفاة جده تولى الحكم بعد المنتصر والمستعين في الفترة ما بين (٢٥٢ - ٢٥٥ هـ) وعمره ما يقارب العشرين عاماً كان جميل الوجه مرهف الحس رقيق الذوق والمشاعر ، مما انطقه بالشعر المصفى، ونشئ في الحلية والزينة ، وعاش معيشة مترفة ناعمة وكان اتصاله بالدرس منذ نعومة أظفاره فمدحه البحثري وهوفي التاسعة من عمره قائلاً:

أبا العباس برزت على قومك آداباً وأخلاقاً وتبـريزاً<sup>(١)</sup>

فأمّا حلبة الشعر فئتولي على السبق بها قرصاً وتمييزاً

كان غزير الأدب وأفر الفضل ، حسن الأخلاق ، وقد أصاب من كل علم من العلوم وكل فن من الفنون وكان إلى ذلك شاعر مطبوعاً رقيق الألفاظ مشبوب العاطفة، لقد أرهفت ابن المعتز وحياته وأبياته وثقافته ووجدانه بطبعه ملهم الشعارية الفخري والاخوانيات، وخرياته في دقة معاني ورقة تصوير، وكثرة تشبيهات وبلغ كذلك ابن المعتز في الوصف حد الجودة والإبداع ورسم صور صادقة لكل ما وقعت عينيه من مناظر طبيعية ومظاهر الحضارة ووصفه وصف وجداني، له موسيقى عذبه وفيه رقة وسلاسة وابتداع في

(١) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٣٢٥



الأسلوب وتجديد في التشبيه والاستعارة ويمتاز أسلوبه : بكثرة التشبيه وجودة التصوير وجزالة اللفظ ورقه يفيض بها شعره مع جمالا في ترف البيان وألوان البديع وتشيع في أسلوبه الصياغة الفنية الممتلئة روحاً وحياة وموسيقى ووضوحاً في دقة تصوير وقرب مآخذ وجودة قريحة في بعد فكرة ووحدة خيال. والمدرسة الأدبية التي يمثلها ابن المعتز هي مدرسة المحدثين التي قاد زمامها أبو تمام والبحتري<sup>(١)</sup> والتي امتازت بميزتين:

الأولى: هي التعمق في المعاني واستنباطها.

الثانية: هي صناعة الشعر التي تطلب ألوان الجمال في الأداء وتعتمد علي الترف البياني في الأسلوب ومن جناس وطباق وتشبيه واستعارة وتمثيل، وألوان البديع عند ابن المعتز تشمل الاستعارة والتجنيس و المطابقة ورد العجز عن الصدر و المذهب الكلامي ، لقد أجاد في الشعر السياسي ، فنشأ شاعراً وناشراً حكيماً بليغاً وهو القائل في عبيد الله بن سليمان بن وزير المعتضد

وَأَبْهَجْنَا ضَرْبَ الدَّنَائِيرِ بِاسْمِهِ      وَتَقْلِيدَهُ مِنْ أَمْرِنَا مَا تَقَلَّدَا<sup>(٢)</sup>  
عَلِيمٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّهُ      شَعْرَهُ ذَاتَ الظَّنِّ يَسْمَعُ أَوْ يُسْمَعُ  
إِذَا أَخَذَ القُرطاسَ ظَلَّتْ يَمِينُهُ      تَفْتَحُ نُورًا أَوْ تَنْظُمُ جَوْهَرًا

### من سيرة شعره وكتابه :

لنشأة ابن المعتز أثر ظاهر في شعره . فهو رقيق اللفظ ، سهل العبارة ، صافي الأسلوب ، لريقة طبعه وسهولة خلقه وصفاء خاطره . وهو بليغ الاستعارة رائع التشبيه دقيقالحس ، ولطيف الشعور ، وامتلاً ذهنه بروائع الجمال وبدائع الخيال ورونق الحضارة .

كان يقول الشعر إرضاءً لنفسه وتصويراً لحسه ، فبري من كذب المدح ولؤم الهجاء ، وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس الأنس ومطاره الصيد ومراسلة الإخوان . وله ولع بالبديع في حسن صوغ وقلة تكلف . ونثره لا يقل عن التخيل في نقاء الأسلوب وجودة اللفظ ودقة التخيل<sup>(٣)</sup>

ولابن المعتز كتاب الزهر والرياض ، وكتاب البديع في صناعة الشعر وهو أول مصنف في هذا الفن ، جمع سبعة عشر نوعاً منه ، كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، كتاب الجوارح

(١) الحياة الأدبية في العصر العباسي تأليف الدكتور محمد خفاجي الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م ، ص ٢٢٥

(٢) ديوان ابن المعتز ج ١ ص ١٤٠

(٣) تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٢٠٤

والصيد ، والسرققات ، وأشعار الملوك ، وحلى الأخبار ، وطبقات شعراء المحدثين ، والجامع في الفناء ، وأرجوزة في ذم الصباح وقد طبع ديوانه بالقاهرة في جزأين لأبن المعتز الخلافة لليلة واحدة ثم قتل وكان ذلك سنة ٢٩٢ هـ - ٩١٠ م<sup>(١)</sup>

وقد يكون في ذلك مبالغة على عادة الشعراء في المديح ومن البيتين نرى إن ابن المعتز كان يهتم بالقراءة وأن موهبة الشعر بدأت تستيقظ في نفسه وهو صغير السن وكان أباه معجباً به مما جعله يضرب باسمه الدنانير ويسجل ذلك البحري في مدحه طويلة يصور فيها جمال طلعتة وشمائله الكريمة ثم يقول

وفي الشطر الثاني ما يصور إرهاباً للبحري للمعتز بأن يولّى عبداً لله العهد

ومضى يصرح بذلك ويطلب به ويهتف في وضوح ونراه في قصيدته يقول<sup>(٢)</sup>

ومليتُ عَبْدَ اللَّهِ أَنْ سَمَّاهُ      هُوَ الْفَطْرُ فِي إِسْبَالِهِ وَأَخُو الْفَطْرُ  
شفعتُ إليه بالأمام وإئماً      تشفعتُ بالشمس اقتضاءً إلى البدر

دائم الإحساس بآلام الحياة وما تكتظ به من كوارث وفواجع ، كبرها في نفسه وخياله ما كان ينعم به في صباه من ترف وحياء لاهية لم تلبث أن حفت بها الدماء المسفوكة ، دماء أبيه ، وكذلك النفي والتشريد ، فإذا النعيم يصبح جحيماً ، وينقضي عهده

إلى غير مآب ، وبذلك يقول ابن المعتز باكياً صباه بدموع غزار<sup>(٣)</sup>

لهفي على دَهْرِي الصِّبَا الْقَصِيرِ      وَغَضَّةُ ذِي الْوَرَقِ النَّضِيرِ

وسُكَّرِهِ وَذَنْبِهِ الْمَعْفُورِ      وَمَرِحِ الْقُلُوبِ فِي الصُّدُورِ  
وَطُولُ حَبْلِ الْأَمَلِ الْمَجْرُورِ      فِي ظِلِّ عَيْشِ غَافِلِ غَدِيرِ

ومضت الأيام وتولى المعتمد الخلافة لسنة ٢٥٦ وأخذت شؤون القصر تستقيم ، فلم يعد للأتراك تسلطهم ولا استطاعتهم على الخلفاء ، فاهتمت جدته المعتز بتربيته وتعليمه وأحضرت له المعلمين في الفقه والحديث والأدب واللغة ، ويبدو أنه كان يلتقي بالمبرد وتعلب في أثناء زيارتهما لسامراء قبل انتقاله ونزوله ببغداد لسنة ٢٧٦ .

وقد نشأ منذ حداثة علي المكرمة وأصبح يأخذ من أعلام عصره مثل المبرد وتعلب أحمد بن سعيد الدمشقي ، ويظهر أنه لم يُعَنَّ بالتقافات الأجنبية إلا قليلاً ، وقد ذكر لنا

(١) موسوعة شعراء العصر العباسي عبد عون الروضان الجزء الأول ص ٢٩

(٢) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ص ٣٢٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٢٦

مواد ثقافته في شعر يخاطب به مؤدبه ابن سعيد إذ يقول (١)

أصبحت يا ابن سعيد حُزتَ مكرمةً      عنها يقصر من يحقّي وينتعل  
سرّبلتني حكمةً قد هذبت شيمي      وأججت غرباً ذهني فهو مشتعل  
أكون إن شئت قساً في خطابته      أو حارثاً وهو يوم الفخر مرتجل  
و إن أشأ فكزيد في فرائضه أو مثل      نَعْمَانِ ما ضاقت بي الحيل  
أو الخليل عروضياً أخا فطن      أو الكسائي نحوياً مركبها  
تغلي بداهة ذهني في مركبها      كمثل ما عرفت آبائي الأول  
عقبك شكر طویل لا نفاذ له      تبقى معالمه ما أطلت الإبل

ونلمح من هذه الأبيات إنه تلقن عن ابن سعيد ما يكون به خطيباً فصيحاً ، ولا يقل عن قس إيراد في خطابته التي اشتهر بها بين الجاهليين وشاعرا كالحارث بن حلزة في شعره وبداهته ، وماهرا في علم الميراث كزيد بن ثابت ، وفي علم الفقه كأبي حنيفة ، وبارعا في العروض كالخليل بن أحمد الفرهيدي وفي النحو واستنباط علله كالكسائي وهذه هي مواد ثقافته وهو في سن الثالثة عشرة ، ولم يذكر بينها فلسفة ولا منطق وهذا يدل على أنه كان نهما بالقراءة وطلع على شيء من الفلسفة وبعض كتب الفلك والتنجيم مما يظهره واضحا في شعره ، ولعل من الطريف أن نجده يقول (٢)

ولا تفرعن من كل شيء مفرع      فما كل تربيعة النجوم بضائر

وكأنه كان يتشكك في حسابات المنجمين وما يزعمون من طوابع السعد والنحو ومنح جل وقته للشعر والأدب وانصرف عن السياسة وشئون السلطان ففرغ نفسه للحياة الأدبية ، وانفق في ذلك أعواما كثيرة .

كان يقرأ كتابات سابقيه ويفكر فيما يقرأ ناقلا ومحلا ، فما أدى ذلك إلى تأليف كتابه " البديع " وضع فيه الفنون العلمية الدقيقة فهي منتورة في القرآن الكريم والحديث النبوي وأشعار الجاهليين والإسلاميين ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الزهر والرياض ومكاتبات الإخوان بالشعر وكتاب الجوارح والصيد وكتاب فصول التماثيل في الشراب

(١) الفن ومذاهبه تأليف د شوقي ضيف دار المعارف بمصر ص ٢٦٣

(٢) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ، ص ٢٤٩

وآدابه، وكتاب السرقات و" طبقات الشعراء " ذائع مشهور وهو يصور ثقافة واسعة بالشعر العباسي الحديث وكانت له نظرات نقدية طريفة وذوقا مهذبا صافيا .

وكان يهتم في بداية حياته بالغناء والموسيقى ،وفي ذلك يقول أبو الفرج الأصبهاني " كان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله في ذلك من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم تدل على فضله وغازاة علمه وأدبه "

وكان ابن المعتز يأخذ بنصيب غير قليل<sup>(١)</sup> من متاع الحياة وكأنه ورث عن أبيه كل مزاجه ، إضافة إلى حياة القصور المترفة التي كان يعيشها إلى اللهو ،مما جعله يفتح بيته للندماء ، وكان أكثرهم من الشعراء أمثال النميري ، وكانت تجري مراسلات شعرية طريفة ،وعلى مهدي الأصبهاني وبينهما مكاتبات بالأشعار ومجاوبات وأن مجلسه لم يكن لهو خالصا فقد كان يقصده علماء اللغة والأدب وفي مقدمتهم المبرد وثلعب أستاذاه وصديقه ويقول الصولي في ترجمته له بكتابه الأوراق : " كانت داره مغائاً لأهل الأدب وكان يجالسه منهم جماعة " ولعل فيما سبق هذه هي العناصر التي كونت لنا شخصية ابن المعتز الأدبية فهو عربي عباسي يعتز بعروبته وأسرته،ولد في القصر العباسي واخذ عن أبائه الرشيد والمتوكل وحياة اللهو والطرب وقد يكون في ذلك بعض البواعث عنده على الإحساس المادي للأشياء ويعتبر هذا الوصف الذي يلاءم مزاجه المترف ،كما كان يلاءم عقله الذي يعيش في النعيم فلا يستطيع أن يتعمق الأشياء وإنما كان يقف عند ظاهرها الحسي المكشوف ،وقديما أشار ابن الرومي إلى تأثير بيئته المترفة في شعره فهو الذي يصف به بيئته، لأنه ابن الخلفاء وهو مشغول بالتصرف في الشعر وطلب الرزق به فنجد تارة يمدح ويهجو ويعاتب وأخري يعطف وابن الرومي يلاحظ التأثير المادي المترف للبيئة على ابن المعتز. وعنصر آخر اشترك في تكوين شخصيته الأدبية بقوة ،وهو عنصر ثقافته الإسلامية ،وقد جعله ذلك أقرب إلى ذوق المحافظين منه إلى ذوق المجددين ،مما أدى ذلك إلى انقسام بيئات النقاد في عصره إلى مجددين مسرفين في التأثر بمقاييس البلاغة اليونانية وتحكيمها في الشعر العربي من جماعة المترجمين ومن التف حولهم ،ومحافظين مسرفين في رفض هذه المقاييس والتأثر بالمقاييس العربية الخاصة من جماعة اللغويين أمثال ثعلب والمبرد

(١) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ٣٢٨

والبحثري من الشعراء ،ومعتدلين يتأثرون بالضربين من المقاييس دون إفناء الشخصية الأدبية العربية في المقاييس الأجنبية من أمثال أبي تمام وابن الرومي وجدناه يأخذ صف المحافظين لتعمق إحساسه بعروبه وتغلغل الثقافة العربية الإسلامية في نفسه .

ويصرح بذلك في كتابه البديع الذي أنشاه ، و يثبت أن كل ما استحدثه العباسيون المستظهرون للثقافة اليونانية الفلسفية ليس مستحدثا في حقيقته ،بل هو مستمد من أصول قديمة في الشعر الجاهلي والإسلامي والقرآن الكريم والحديث النبوي وعلى الرغم من ذوقه المرهف وحسه الرقيق كان ينحو نحو المحافظين في فهم الشعر ونقده ونظمه ، وكتابه "طبقات فحول الشعراء المحدثين " يدل على ثقافة واسعة بالشعر العباسي ؛ إذ سخرها كما يتضح في كتابه " البديع " لإثبات أن العباسيين لم يأتوا بشي ذي بال ،وان كنوز الشعر العربي لا تزال مفتوحة على مصاريحها ليشتق العباسيون منها.<sup>(١)</sup>

ويدور شعر ابن المعتز حول ماكان ينعم به من رغد العيش ،وعنى خاصة بالغزل والخمریات ومجالس الشراب ،ولم ينس خصوم أسرته من العلويين ،فوجه إليهم تهديدات شديدة اللهجة ،وله منظومة في ذم الصبوح ،وهي أقرب إلى الهزل منها إلى الجد ،وقد دافع عنه أبو الفرج الأصبهاني فقال : " وشعره غني فيه رقة الملوكية وغزل الظرفاء وهلهة المحدثين وفيه أشياء تجري في أسلوبه ،ولا يقل عن مدى السابقين، مثل أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ،وليس عليه أن يشابه فحول الجاهلية ،بين ندامى وقيان ،وعلى ميادين من النور والنجس ومنضود من أمثال ذلك وأن يعدل بذلك عما يشبهه من الكلام السَّبُّط (السهل) الرقيق الذي يفهمه كل من حضر إلى جعد الكلام ووحشية وإلى وصف البيد والطبي والظليم والناقة والجمل والديار والقفار والمنازل الخالية المهجورة ،وإذا عدل عن ذلك وأحسن قيل له مساء ،ولا أن يُغْمَطَ حقُّه كله إذا أحسن الكثير وتوسَّط في البعض وقصر في اليسير ،وينسب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطِيَّ المحاسن فلو شاء أن يفعل بما تقدم لوجد مساعاً"

ويتميز ابن المعتز بأنه شاعرا محسنا ،غير أنه أميرا مترفا ،ولم يتح (يتيح) له ترفه أن يتعمق الثقافة والفلسفة ،وعلى نحو ما تعمقها أبو تمام وهو كذلك لم يتعمق وسائل

(١) موسوعة شعراء العصر العباسي عبد عون الروضان ٢٢٩

التصنيع الحديثة ، نفاه لم يعرف العمق في شيء ، إنما عرف اللهو والنعيم وعبر عن ذلك أجمل تعبير بقوله :<sup>(١)</sup>

شَرَبْنَا بِالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَلَمْ نَحْفَلْ بِأَحَادِيثِ الدُّهُورِ  
لقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السرور

فحياته كانت مترفة ، ومثل هذه الحياة لا تؤهله لتفكير عميق ولا لتعقيد في التفكير ، إذ تقوم على الأشياء القريبة ، وقلمنا تعب صاحبها في حياته العقلية والمادية .

وليس معنى ذلك أن ابن المعتز كان من ذوق الصانعين ، فقد كان من المصنّعين ، فالتصنيع والزخرف أساسيان في حياته وفنه ، ويحدثنا صاحب الأغاني أنه بدت فيه منذ نشأته نزعة إلى الغناء والموسيقى ضاعفت حسه بالجمال ، وذكر له كتب في الغناء كما ذكر له ادوار غنى فيها ، وأن من يعيش مثل هذه المعيشة ولا يمكن أن يكون ذوقه بسيطاً ، فالترف لا يتيح بساطة في الحياة ، بل هو يتيح ضرباً معقداً من التصنيع في شئونها .

كان ابن المعتز شاعراً مصنّعاً من أصحاب مذهب التصنيع ، وكان يعجب به إعجاباً شديداً دعاه إلى أن يكتب في أدواته وزخرفة كتابه (البديع) وهو يشهد بأنه كان فناناً عالماً يحسن وضع المصطلحات الفنية ، ولكنه لم يتعمق في فهم جوانب التصنيع وزخرفته عند أبي تمام ، فهم الزخرف الحسيّ زخرف الجناس والطباق والتصوير والمشاكل ، لكنه لم يفهم الزخرف العقلي ، ولذلك لم يسقط في كتابه أي تعريف بلون من ألوانه سوي ما سماه بالمذهب الكلامي وقد نقله عن الجاحظ دون فهم واضح له ، عابه بما فيه من تكلف ، ولو أن ابن المعتز كان متعمقاً في فهم وسائل التصنيع وزخارفه وكم هذا التصوير الذي كان يستغله أبا تمام في التعبير الرمزي عن أفكاره العميقة.

وهو كذلك ليس هذا التصوير الفلسفي الذي يُمزج بتوافر الأضداد ولا التصوير الحسي الذي يحلله أبو تمام إلى أصباغه التي تحدثنا عنها من تجسيم وتدبيج وتشخيص ، إنما هو تصوير من نوع آخر لا يحتاج تأملاً عميقاً ، أو بعبارة أدق صبغ آخر من أصباغ التصوير ويقصد به " صبغ التشبيه" وكان النقاد القدماء يعرفون له هذا الجانب ، يقول ابن رشيق : إن ابن المعتز يغلب عليه التشبيه ويقول صاحب معاهد التنصيص هو " أشعر الناس في الأوصاف و التشبيهات، وامتلات به كتب النقد والبلاغة بأوصافه ، وأنشاد به عبد القاهر

(١) دشوقي ضيف ( الفن ومذاهبه في الشعر العربي ) ص ٢٦٥

الجرجاني في غير موضع من كتاباته، وطبيعي أن يعدل ابن المعتز بتصنيعه إلي التشبيه لأنه لا يحتاج بعدا في الخيال ولا عمق في التصوير ، وليس من شك في أن مقدرته ممتازة ، تلك التي استطاع بها ابن المعتز أن يحول صبغ التشبيه أليماً يشبه اللون الأخضر ممثلاً في الطبيعة واطهر بذلك مهارة واسعة في هذا النوع من أنواع التصوير إذ عرف كيف يحول صبغا محدودة إلي صبغا واسعة ثم أخذ يستخرج منه أوضاع آخري حتى لا يحس قارئه بتكرار في المنظر ؛ فهو لون ونوع واحد ، ولكن الشاعر جعلنا نخطئ في الحس والتقدير ، ونظن أننا نرى لونا واسعا له أوضاعه الكثيرة التي نتقلنا من عالمنا الحسي إلى عالم خيالي واهم ، إذ يقول في النرجس<sup>(١)</sup> :

كَأَنَّ أَحْدَاقَهَا فِي حُسْنِ صُورَتِهَا      مَدَاهُنَّ التَّبْرِ فِي أُرَاقِ كَافُورِ  
أو يقول فيه<sup>(٢)</sup>:

كَأَنَّ عَيُونَ النَّرْجِسِ الْغَضِّ حَوْلَهَا      مَدَاهُنْ دُرٌّ حَشُوهُنَّ عَقِيقُ

ويقول في النارج<sup>(٣)</sup>:

وأشجار نارج كأن ثمارها حقاق      عقيق قد ملئن من الدرِّ

وأول ما نقف عنده المديح الذي تتضح لنا فيه شاعريته التي تعبر عن عاطفة صادقة حارة وخير مدائحه رائيته التي يستهلها بقوله

سَلَّمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الدَّهْرِ      وَلَا زِلْتَ فِينَا بَاقِيًا وَأَسِيعَ العُمْرِ<sup>(٤)</sup>  
حَلَلْتَ الثَّرِيًّا خَيْرَ دَارٍ وَمَنْزِلٍ      فَلَا زَالَ مَعْمُورًا وَبُورِكَ مِنْ قِصْرِ  
فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا بَنَى النَّاسِ مِثْلَهُ      وَلَا فِي مَا بَنَى الْجَنِّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

والثريا مجموعة من الدور والقصور بناها المعتضد ومن حولها البساتين والرياض ، وقد صورها ابن المعتز تصويرا رائعا ، إذ يقول في نفس القصيدة<sup>(٥)</sup> :

وَأَنْهَارُ مَاءٍ كَالسَّلَاسِلِ فَجَرَّتْ      لِتُرْضِعَ أَوْلَادَ الرِّيَّاحِينَ وَالزَّهْرَ  
جَنَّانٌ وَأَشْجَارٌ تَلَاقَتْ غُصُونَهَا      فَأُورِقْنَ بِالْأَثْمَارِ وَالْوُرْقَ الْخُضْرَ

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، لشوقي ضيف ص ٢٦٨

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٦٨

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٨

(٤) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف في العصر العباسي الثاني ، ص ٣٣٨

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٨

تَرَى الطير في أغصانهم هواتفاً      تنقل من وكر لهنّ إلى وكر

## أغراض شعره وموضوعاته:

أفرزت الحياة في الحواضر العباسية مفاصد ومقابح لم يكن للعرب عهد بها من قبل فكان بداية للتحلل الأخلاقي، والإيغال في المعاصي والفواحش، والإغراق في الخمرة، كل ذلك وغيره كان من مظاهر الحياة الشاذة في الحواضر العباسية في ظل التأثير بالعبادات الفارسية التي فرضت سماتها على الدولة الجديدة.

كل ذلك أدى لظهور الفتن السياسية بين الأحزاب، والصراعات حول السلطة، ولعل ما غرقت فيه المدن من حياة لاهية ماجنة، وما تكالب عليها مترفوها من فسوق وانحراف وانغماس في الملاذ والشهوات، مما ألحق الله بهم العقاب بهم فصب غضبهم عليهم محناً ونكبات وحروب مدمرة، عفت محاسنها، وطمست على معالم بهائها وعمرانها وزينتها. وذلك حكم الله في كونه: يهلك القرى بظلمها، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾<sup>(١)</sup>

وفي هذا المعنى القرآني قال ابن المعتز<sup>(٢)</sup>:

دَامَ كَرَّ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ مَحْتَوِثِينَ      ذَا مُنْهَ وَذَا مَنْ يُيَمُّ  
وَرَحَى تَحْتَنَانَا وَأُخْرَى عَلَيْنَا      كَلْ مِنْ فِيهَا طَحِينِ هَشِيمِ  
وَسُرُورُ وَكُرْبَةٌ وَافْتِقَارُ      وَبِرِيقِ لَزْخَرِفِ لَا يِيذُومُ  
وَمَعْفَا فِي وَذُو سِقَامٍ وَحَى      وَحَبِيسِ تَحْتِ التَّرَابِ مُقِيمِ  
وَعَاوَى عَاصٍ وَبِرْتَقِي      وَاسْتَبَانَ المَحْمُودِ وَالمَذْمُومِ  
وَبَخِيلٍ وَذُو سَخَاءٍ وَلَوْلَا      بَخَلِ هَذَا مَا قِيلَ هَذَا كَرِيمِ  
وَتَرَى صَنْعَةَ تَخْبِرُ عَن خَالِقِنَا      خَالِقِنَا أَنَّهُ لَطِيفٌ حَكِيمٌ

يستهل الشاعر إحدى قصائده بمقدمة فنية تدبر فيها حكمة الخالق في كونه وخلقه، فإذا سنة الحياة تقتضي ألا يدوم شيء على حاله، وإذا رحى الأيام ترصد الخلق وتحركاتهم وتحيلهم هشيماً، فلا يصفو النعيم لأحد وتفسر هذه الأبيات صنعة الخالق، والمنتدبرة في الكون وما اقتضته فيه سنة الحياة من تغير وتحول.

(١) سورة الإسراء الآية ١٦

(٢) النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز، د. حسن عبد العليم يوسف، ص ٢١١.



فالرثاء نجده قليل في شعره وأن ما نظمه في صديقه المعتضد فقد حزن عليه حزنا شديدا ،  
إذ أحس أن أيامه أنسه عادت ظلما فقد طوت المنية صديقه الحميم ، وطار قلبه فزعا ،  
واسودت الدنيا من حوله ،

وقد مضى يرثيه على ما بذله في الدولة وحماتها يقول<sup>(١)</sup>

يا ساكنَ القبرِ في غبراءٍ مُظلمةً      بالطاهريةَ مقصي الدارِ مُفردًا  
أينَ الجيوشَ التي قد كنتَ تسحبها      أينَ الكنوزَ التي لم تُحصيها عددًا  
أينَ السريرِ الذي قد كنتَ تملؤه      مهابةً، من رأته عيَّنه ارتعدًا  
أينَ الرماحَ التي غذيتها مهجاً      مذمت ما وردت قلبا ولا كبدًا

ويصور لنا تحسره على قصره الثريا ووصائفه وملاهيته ، وكأنما أصبح ظللا مهجورا،  
ولكنه لم ينظم فيه قصائد إنما ينظم أبياتا قليلة يبكي فيها قدرته الكتابية والسياسية  
في الحكم والتدبير من مثل قوله<sup>(٢)</sup>

هذا أبو القاسم في نعشه      قوموا انظروا كيف تسير الجبالُ  
يا ناصر الملك بأرائه      بعدك للملك ليال طوال  
ولقد استطاع ابن المعتز أن يسبق بزمن طويل شعراء الأندلس حين مزج

عاشق: شعراء الطبيعة والرثاء فقال في صورة شعرية بديعة لقبر عاشق :

مررتُ بقبرِ زاهرٍ وسطَ روضة      عليه من الأنوارِ مثلُ الشقائقُ  
فقلتُ : لمنَ هذا ؟ فقالَ الثرى      ترَّحَّمَ عليه أنه قبرُ عاشق<sup>(٣)</sup>

إن مثل هذه الصورة تعتبر مقدمة مبتكرة لمزج شعر الطبيعة بالرثاء عند شعراء الأندلس  
بعد ذلك بقرنين من الزمان<sup>(٤)</sup>، وظهر في شعر ابن المعتز الفخري لون جديد من الشعر  
اكتسبه من الحضارة العباسية هو مزج بين الفخر والطبيعة

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف ص ٣٣٩

(٢) الديوان ص ٣٨٩

(٣) ديوان ابن المعتز ٢ / ١٩٥

(٤) الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ط ١ ، ١٩٧٩ ،  
ص ٧٨٧

وفي شعر ابن المعتز حنين، يصور شجاعته في الحروب وفروسيته وهو يحاكي القدماء في حماستهم ، ويفخر بأسرته وبجده العباس عم الرسول ﷺ وبلائه في موقعة حنين ، وبشجاعة آبائه وعمومه وبلاغتهم ، وفي ذلك يقول: (٥)

إِنَّا لِنَنْتَابِ الْعَادَةَ وَإِنِّ نَأْوَا  
وَنَقُولُ فَوْقَ أَسْرَةٍ وَمَنْابِرِ  
قَوْمٍ إِذَا غَضِبُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ  
وَكَأَنَّ أَيْدِينَاتِنَا تَتَفَرُّعُ عَنْهُ  
وَنَهْزَ أَحْشَاءَ الْبِلَادِ جُمُوعاً  
عَجَباً مِنَ الْقَوْلِ الْمَصِيبِ بَدِيعاً  
جَرَّوْا الْحَدِيدَ أَزْجَهُ وَدَرُوعاً  
طَيَّرُوا عَلَى الْأَبْدَانِ كُنَّ وَقُوعاً

و كان كثيرا ما يوجه فخره بأسرته إلى العلويين ، مبين أن بيته أحق بالخلافة فظل في صراع مع العلويين طوال عصره مما جعل يكثر من وعيدهم وتهديدهم يحاول في هذه المقطوعات وقصائد مختلفة أن يستل البغض من نفوسهم على شاكلة قوله: (١)

بَنِي عَمَّنَا عَوَدُوا نَعُدْ لِمَوَدَةِ      فَأِنَّا إِلَى الْحُسْنَى سِرَاغُ التَّعَطْفِ  
لَقَدْ بَلَغَ الشَّيْطَانُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ      مَبَالِغَةً مِنْ قَبْلِ فِي آلِ يُوسُفَ

فهم في رأيه بيت واحد وإخوة يجب أن يتحابوا ولا يتباغضوا ويتقاطعوا كما حدث بين إخوة يوسف عليه السلام وبينه ، ويبدو لبعض معاصريه لأمه على ما يوجه للعلويين من لؤم وأشاعوا انه يسب علي بن أبي طالب .

وفي ديوانه مقطوعات غزلية ولكنها لا تنبئ عن حب حقيقي كان يكتوي بناره ، وإنما هي استهلالات لقصائد تصدر عن ود ، وكأنه مثله من أبناء القصور لا يستطيع الحب أن يتعمقه، لذلك كنا نفقد عنده الإلاح في الطلب والأمل والشوق المبرح والتضرع الحار ، وكل ما نجده هو حب الشباب المترف الذي لا ينبع من أعماق النفس والقلب أو قل هي أبيات نشر و شره علي سبيل الدعابة من مثل قوله: (٢)

وابلائي من محضر ومغيب      وحبيب مني بعيد قريب  
لم ترد ماء وجهه العين إلا      شرقت قبل ريبها برقيب

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٨

(١) تاريخ الأدب العربي، لشوقي ضيف ص ٣٤٠

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤٢

فهي أبيات لا تصور عذابا في الحب ولا ألما من ناره المحرقة، إنما هي أقرب ما تكون إلى الدعابة وختم البيت الرابع بقوله " ويا" كما يقول الناس يا أختي ويا... مستغني بذلك عن الشرح وتحول هذا التعبير إلى لون من ألوان البديع سموه باسم الاكتفاء . ولعل نشأته المترفة في قصور أجداده وما كانت تموج به جوار وقيان ،وما أشربت به نفسه منذ صباه من جمال ، ورهافة إحساس ، وميل طبيعي نحو اللهو والغناء . إلى جانب التأثيرات الاجتماعية القوية، وشيوع المجون والجواري في عصره ، فجاء ديوانه بمختلف ألوان الغزل .

لقد كان شعر التغزل الماجن هو اللون الماجن هو اللون الغزلي الذي تقدم فيه ابن المعتز فصار قبلة الشعراء من بعده ، ولا يتهالك في طلب الوصل كما كان شأن الشعراء العذريين ، وإنما تأبى نفسه إلا يعيش منعما وراء اللذة الحسية ، فقال<sup>(١)</sup>:

لَقَدْ نَشَرْتَ نَفْسِي اللَّجُوجَ عَلَيَّ عَقْلِي      نَشَوُزُ فِتَاةِ السُّوءِ صَدَّتْ عَنِ الْبُعَلِ  
أَبِي الْوَصْلِ إِلَّا أَنْ أَعْيَشَ مُنْعَمًا      خِلَافِ مُحِبِّ مَاتَ فِي طَلَبِ الْوَصْلِ  
بَرِيْتُ إِلَى الْعُشَّاقِ مِنْ حَبِّ وَاحِدٍ      أَصَابِرِهِ حَتَّى يَمِلَ الْهَوَى قَلْبِي  
رَسُولِي إِلَى ذَا لَا يَفِرُّ وَنَظَرْتِي      لِهَذَا وَقَلْبِي عِنْدَ ذَاكَ عَلَى رَجُلٍ  
وَكَمْ مِنْ حَبِيبٍ قَدْ قَطَعْتَ وَصَالَهُ      فَمَا ذَهَبَتْ نَفْسِي عَلَيْهِ وَلَا عَقْلِي  
فَهَذَا هُوَ الْحُبُّ الَّذِي فِيهِ لَذَّةٌ وَحُبٌّ      جَمِيلٌ كَانَ عِنْدِي مِنَ الْجَهْلِ  
وهو لا يعترف بحب جميل ، نجده يتقمص شخصية عمر بن أبي ربيعة ، فإذا هو فتى يحظى بإعجاب النساء ومواصلتهن

وليست مواهب الشعراء واحدة في ميدان الوصف ، وإنما " الناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم من يجيد وصف شيء ، ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها ، وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كما مرئ القيس قديما وأبي نواس في عصره ، والبحثري وابن الرومي في وقتها ، وابنالمعتز ، فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف "

(١)اللزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ، د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ١٦٩

كان ابن المعتز أحد شيوخ الوصف في عصره، التقطت مخيلته كل ما وقعت عليه عينه من مظاهر الحضارة، فوصفه في شعره في رقة وسلاسة ودقة ملاحظة وتمكن من اللغة وحدة ذكاء وخصوبة ذهن.

لم يقف عند حدود وصف بيته الوارف النعمة والثراء وإنما تعدى للمدن والسفن ووسائل الثقافة وغيرها من مظاهر الطبيعة بمنزراتها وبركها وغاباتها وجبالها ورياضها وأزهارها وسمائها وحيواناتها، وشعر الطبيعة كما عرفه أحد الباحثين هو " الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه .والطبيعة تعني شيئين :

الحي مما عدا الإنسان ، والصامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال وما إليها<sup>(١)</sup>  
أما السماء فقد تصورها ابن المعتز وقد انتشرت فيها نجومها، برياض بنفسج خضله موردة، وما ورودها إلا نجومها المتلألئة:<sup>(٢)</sup>

ومَوْقِرَةٌ بَقُولِ الْمَاءِ جَاءَتْ      تَهَادِي فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ  
فَجَاءَتْ لَيْلِهَا سَحَا وَوَبَلَا      وهطلا مثل أفواه الجراح  
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ      خلال نجومها عند الصبّاح  
رِيَّاضٌ بِنَفْسٍ جَخَضَ نَدَاهُ      تفتح بينه ورد الأقاحي

ومما قاله الشاعر في المزن في صورة حضرية طريفة قوله:<sup>(٣)</sup>

ومُزْنَهُ جَادَ مِنْ أَجْفَانِهَا الْمَطَرُ      فالرّوضُ مُنْتَظَمٌ وَالْقَطْرُ مُنْتَشِرٌ  
تَرَى مَوَاقِعَهَا فِي الْأَرْضِ لَائِحَةً      مُثُلُ الدَّرَاهِمِ تَبْدُو ثَمَّ تَسْتَتِرُ  
مَا زَالَ يَلْطُمُ خَدَّهُ الْأَرْضُ وَإِلَيْهَا      حتى وقت خدها الغدران والخضير

ولا تبدو ظاهرة الزهد التي استفاضت<sup>(٤)</sup> في المجتمع العباسي ذات علاقة مباشرة بابن المعتز ولم تكن أطايب الحضارة ومباهجها وملاذها هبة لجميع الشرائح المجتمعية، وإنما كانت وفقا على طبقة بعينها هي طبقة الوزراء والولاة والكتاب وكبار الموظفين والتجار وغيرها من كانوا من الطبقة العليا من المجتمع وهي طبقة استبدلت بالمال والثراء الفاحش،

(١) شعر الطبيعة في الأدب العربي، د. سيد نوفل، دار المعارف \_ القاهرة، ط ٢، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٠٥

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٤

(٤) النزعة الحضريّة في شعر ابن المعتز، د. حسن عبد العليم يوسف، ص ١٩٧

وعاشت في مستوى من البذخ والإسراف ، في حين كانت الحضارة عبئا على الطبقات الدنيا في المجتمع وهي الشريحة التي حرمت من ضرورات العيش تكبدت الفقر وكان ابن المعتز أحد هؤلاء الشعراء الذين بدوا حياتهم عاكفين على المجون مشتطين في طلب المذات ، وانتبهوا من الغفلة عائدنين إلى رحاب التوبة ، مستجيبين إلى نداء العقل فقال عن دنيا أقبلت نحوه زمنا ثم نكصت على عقبيها وأسلمته لوخر الضمير : "وعد الدنيا إلى خلف ، وبقاؤها إلى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها الفجع ، طوآحة طرآحة ، آسية جراحة ، كم راقد في ظلها قد أيقظته ، وواتق بها خانته ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رسمه ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد تحت صفائح أنضاد ؛ وقد أسلمه الأحباب ، وافترش التراب ، في بيت نجرته المعاول ، وفرشت فيه الجنادل ، مازال مضطربا في أمله ، حتى استقر في اجله ، ومحت الأيام ذكره ، واعتاد الألاحظ فقده ويعمد ابن المعتز إلى زهدياته يحملها رسالة إلى نوي السلطان ، يذكرهم فيها أن كل شي في الدنيا إلى أمد ، وأن رحى الموت تدور بالضعيف والقوى ، تحصد ما يزرعه الإنسان في طور جبروته ، وتهدم ما بينيه المرء في أوان قوته ، وأن كل الناس رهن للبلى ، وسكان للثرى ، وأقران للردى ، كانت نصيحة الشاعر للمكوك أن يلونوا بالواحد الأحد ، مستغنين به عن الحياة الفانية ، ومن هنا توالى عظات الشاعر (١) :

كَمْ تَحْتَ أَرْضَ وَكَمْ عَلَيْهَا	وَكَمْ ثَوَى مَعَشَرَ وَزَالُوا
وَكَمْ مَلُوكَ فِي الْأَرْضِ صرعى	قَدْ نَغَصُوا لَلْذَّةِ وَنَالُوا
وَقَتْلَهُمُ الْبَّاسُ صافنات	وَأَسْأَلَ ذَبِيلَ طِيَالِ
وَكُلُّ ذِي شَفْرَةٍ رسوب	سَأَلَ عَلَى مَتَتِهِ الصِّقَالُ
وَجَحْفَلٌ مُلْبَسٌ حديدا	تَهْتَزُّ مِنْ رِزِهِ الْجَبَالُ
فَتَلَّكَ أَطْلَاهُمْ قفار	تَحْنُ فِي رِبْعِهَا الشَّمَالُ
كَذَلِكَ مَا تَصْنَعُ الْيَالِي	وَالدَّهْرُ فِي حَبْلِهِ انْفِالُ

(١) النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ، د . حسن عبد العليم يوسف ، ص ٢٠٢

الدهر خير قارع ومنبه للغافلين ، يهجم بالردى على الملوك الجبابرة في صياصيمهم ، ويغصّ الرضيع بحلبيه ،ومن ثم يهيب الشاعر بالناس أن يقذعوا أنفسهم إن هي مالت إلى النزوات ،ويأخذوا حذرهم من يوم تشخص له الأبصار ،وتذهل له المرضعة عن رضيعها ، وأن ينزعوا إلى المتاب والفناء في عبادة الله ،فيقول (٢):

يا دَهْرُ يا أبا العجب	يا طارقا بالهموم والكُرُوبِ
يا خَائِنًا عِنْدَ أَمْنٍ صاحبه	ويا معص الرضيع بالحَابِ
يا هَاجِمًا بِالرَدَى على الملك	الجبار خلف الأبواب والحُجُبِ
يا غَازِيًا أَنفَسَ الأَنام على	دهم وشهب يركضن بالعُطْبِ
يا رَافِعًاوهده بوضع ربي	وجاعل الرأس تابوع الذنْبِ
يا كُلَّ شَيْءٍ يَسُوءُ يا شر من	أكد ميثاقه لمَطَّأبِ
حِذَارًا يَا مَعَشَرَ العبادِ ولا	يغرركم بالخِدادِ والكِذْبِ
لا تَحْسَبُوا كل موقد لقرى	إيَّاكُمْ يا فَرِاشَ مِنْ لَهَبِ
يا أرضُ كم وافد أتاك فلم	يرجعُ إلى أهله ولم يُؤبِ
يَحْتَهُمْ مِنْ عليهم فلك	يدور دور الرحى على القُطْبِ
إنَّا إلى الله ما يـرد بنا	ونحن في غفلة وفي شغْبِ

يختم بإسداء النصيحة إلى كل معتبر، مهيبا به أن ينزوي عن مفاتن الدنيا ومغرياتها، وينزع المتاب إلى الله ، فعما قليل يقوم للموت قاعدة فيزور الرمس واللحد، وتلك نصيحته:

لا شيء يَبْقَى سوى خير تقدمه	ما دام ملكُ لإنسانٍ ولا خَلدا
فأمهد لنفسك والأقلام جارية	والتوب مُقْتَبَلٌ فالله قَد وَعَدا
لا تَفَخَّرَنَّ بِدنيا أنت تاركها	عما قليل تَزُورُ القبرِ واللحدا <sup>(١)</sup>

ولم يكن ابن المعتز خاليا من إحساس عامة الناس في عصره بيؤس العيش في ظل حضارة عصر كانت تكاليفها عبئا على السواد ، فحياة الشاعر لم تكن كلها نعيما خالصا ، خاصة

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣

(١)النزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ،د.حسن عبد العليم يوسف ، ص ٢٠٥

بعد قتل الأتراك والده ،تجرع حسي الفقر والحرمان بعد أن تقلب جنبه في دعة القصور  
وبذخها، ويعجب القاري حين يقرأ للأمر المترف أبياتا يصور فيها عجزه عن إعادة بناء  
داره التي تداعت سقوفها وحيطانها فقال :

أَلَا مِنْ لِنَفْسٍ وَأَحْزَانِهَا      وَدَارٍ تَدَاعَتْ بِحَيْطَانِهَا  
أَظْلُ نَهَارِي فِي شَمْسِهَا      شَقِيًّا لَقِيَا بِنِيَانِهَا  
أَسْوَدُ وَجْهِي بِتَبْيِيضِهَا      وَأَهْدَمَ مَالِي لِعِمْرَانِهَا<sup>(٢)</sup>

ومن هنا عمد الشاعر إلى التفتير من حب المال ، بعد أن وجد في القناعة خير عزاء ،  
فآلى على نفسه ألا يطلب رزقا من غير الله فهو الكفيل به ، فكان قوله<sup>(٣)</sup>:

أَلَا يَا نَفْسَ إِن تَرْضِي بِقَوْتِ      فَأَنْتِ عَزِيزَةٌ أَبَدًا غَنِيَّةٌ  
دَعِي عَنكَ الْمَطَامِعَ وَالْأَمَانِي      فَكَمْ أَمْنِيَّةٌ غَلَبَتْ مَنِيَّةً

ويحض على ترك الحرص فيقول: (١)

أَيَا بَنِي الدَّهْرِ كَمْ ذَا الجُهدِ والتَّعبِ      اللهُ يَرْزُقُ لَّا الحِرْصَ والتَّعبِ  
أَمَّا حَيَاءٌ أَمَّا دِينَ أَمَّا رَعَاةً      أَمَّا تَفْكَرَ مَعْقُولٍ أَمَّا أَدَبَ  
وثمة ظاهرة استفاضت في ديوان ابن المعتز، هي ظاهرة المقطوعات الشعرية ، حتى  
قيل أنه شاعر المقطوعات في العصر العباسي الثاني فديوانه يشتمل على ألف وثلاثمائة  
وثمانين مقطوعة .

ولم يكن الشعر عند ابن المعتز بضاعة مزجاة في سوق المديح ، فلم يلتزم بالمنهج الصارم  
الذي حدده النقاد من امتداد في طول القصيدة أو قصرها أو التوسط حسب الموضوع ، نظم  
ابن المعتز قصائد كثيرة مستغني عن المقدمات التقليدية، لذلك يكثر من شعر المقطوعات  
لأنها تمثل الحس الحضاري الذي يكشف عن حياة الشاعر العابثة ، وتصور تجربة من  
تجاربه الغزلية بإيجاز بليغ ، بل أحيانا يعمد إلى المفاخرة ، أو المديح ، أو الوصف أو  
الهجاء أو الرثاء ؛ مفرغا لمعانيه الشعرية في أشكال تعبيرية مجددة

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

(١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٦

## الهجاء وسمات شعره الفنية :

أكثر ابن المعتز من أوضاع هذه التشبيهات والصور في شعره حتى تظهر في قصائده على هيئة صفوف متلاحقة ، لم يضع ابن المعتز همه في إحداث تنويع واسع في زخرف شعره ، فقد رفض الزخرف العقلي أو بعبارة أدق لم يستطع إن يستخدمه بل لم يستخدم جميع أوعية الزخرف الحسي ، فقد انحاز إلى التشبيه ، وذهب يطرز به قصائده ، ويوشي به أبياته ، وأظهر في ذلك براعة لم تتح لشاعر من قبله وقد أبرع في هذا التشبيه إذ يقول :<sup>(١)</sup>

رِيمٌ يَتِيهُ بِحُسْنِ صَوْرَتِهِ      عَبَثَ الْفَوَاذُ بِلِحَظِ مَقْلَتِهِ  
وَكَأَنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَّتْ      لَمَا دَنْتَ مِنْ نَارِ وَجْنَتِهِ

فهي صورة رائعة تعكس ما فيها من جمال وبعث من نار، هي نار الوجنات أو هي نار الفن. ويقول في تشبيه أحداق هذه الزهرة بمداهن الذهب في أوراق كافور<sup>(٢)</sup> :

أَمَّا تَرَى النَّرْجِسَ الْمَيَّاسَ يَلْحَظْنَا      أَلْحَاطُ ذِي فَرَحٍ بِالْعُتْبِ مَسْرُورٍ  
كَأَنَّ ظِلَّ النَّدَى فِيهِ لِمَبْصَرِهِ      دَمَعٌ تَرَقَّرَ مِنْ أَجْفَانِ مَهْجُورٍ

ويميز ابن المعتز أنه يكثر في تنويع الموضوع الواحد وهذا ما نلمحه في التشبيهات التي افردها للنجوم وحدها استلهمها من طبيعة عصره المتحضرة يقول في النجوم المتأللة في صحن السماء:

وَكَأَنَّ أَنْجَمَهُ فِرَادَى نَرْجِسٍ      خَضَلَ تَطَلَعَ فِي رِيَاضِ بِنْفَسَجٍ<sup>(١)</sup>

ولعل ترفع ابن المعتز عن توظيف شعره في التكسب وإراقة ماء الوجه هو الذي جعله يترفع عن توظيف الشعر في الهجاء المقذع ؛ فالشعر في تصوره ، ما فرغ من كل لفظ قبيح فارتفع لذلك عن سلوك الغوغاء وسمات شعره إلى شعر الخاصة التي لا تقول الشعر لقاء مغنم أو دفع مغرم ، وإنما تقوله موهبة وإحساسا صادقا ولا تستعمله إلا عند الحاجة وتعبيرا عن مكارم أخلاقها.

(٢) د شوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ص ٢٧٠

(٣) لنزعة الحضرية في شعر ابن المعتز ٣٩٧

(١) المرجع نفسه ص ٣٩٢



ومن قوله في الهجاء (١):

لِي صَاحِبٍ مُخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ      مُتَمِّمِ الْعَيْبِ عَلَى الْإِخْوَانِ  
مُنْقَلَبِ الْوُدِّ مَعَ الزَّمَانِ      يَأْكُلُ عَرْضِي حَيْثُ لَا يَلْقَانِي  
وَهُوَ إِذَا لَقِيْتَهُ أَرْضَانِي      فَلَيْتَهُ دَامَ عَلَى الْهُجْرَانِ

قال ابن المعتز في وصف القلم في أبيات كتب بها إلى القاسم بن عبيد الله<sup>٢</sup>:

قَلَمٌ مَا أَرَاهُ أَمْ فَلَكَ يَجْرِي      بَمَا شَاءَ قَاسِمٍ وَيَسِيرُ  
سَاجِدٌ خَاشِعٌ يَقْبَلُ قَرطَاسَا      كَمَا قَبِلَ الْبَسَاطِ شُكُورُ  
مُرْسَلٌ لَا تَرَاهُ يَحْبِسُهُ الشَّكُّ      إِذَا مَا جَرَى وَلَا تَقْـكِيـرُ  
وَجَلِيلٌ الْمَعْنَى لَطِيفٌ نَحِيفٌ      وَكَبِيرُ الْفَعَالِ وَهُوَ صَغِيرُ  
كَمْ مَنَايَا وَكَمْ عَطَايَا وَكَمْ عَيْشٍ      وَحَتَّى تَضُمَ تِلْكَ السَّطُورُ  
نَقَشْتَ بِالْدَجَى نَهَارًا فَمَا أُدْرِي      أَخْطَ فِيهِمْ أَمْ تَصْـوِيـرُ

بيد أن العدد الأوفر من المقطوعات الشعرية في ديوان ابن المعتز استدعته ظروف ارتبطت بأسباب الحياة في ظل حضارة مجتمعه الجديدة. فكانت المقطوعة أبلغ استجابة لإيقاع عصره بملاهيته وملاذه، كما كانت أكثر تناغما مع الواقع الحضاري الذي صرف الناس عن القوائد الشعرية الطويلة واجتذابهم إلى شعر الخاطرة السريعة، والفكرة المعينة القصيرة التي كانت تستدعيها مجالس لهوهم ومجونهم.

ونلاحظ على مقطوعات ابن المعتز الذي حققت نوعا من الوحدة الفنية العضوية للبناء الشعري لقوائده. ونقصد بالوحدة العضوية: "وحدة الموضوع، والمشاعر التي يثيرها الموضوع وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم به القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الواحدة الحية، لكل جزء وظيفة فيها، يؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل

في التفكير والمشاعر<sup>(١)</sup>

(١) النزعة الحضارية في شعر ابن المعتز ص ٣٠٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٩

(٣) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة ودار العودة، بيروت \_ لبنان ١٩٧٣ م، ص

وقد مثلت العديد من المقطوعات الشعرية في ديوان ابن المعتز مظاهر الوحدة الفنية العضوية ، وتجتزئ بالمقطوعة التالية في العتاب دليلاً على ما ذهبنا إليه<sup>(٢)</sup>:

قَدْ شَبَّتَ بَعْدَكَ وَالْمَشِيبُ مَصِيبَةٌ      وَخَضِبْتَ بَعْدَكَ وَالْخَطَابُ عَنَاءٌ  
وَرَأَيْتُ صَرْفَ الدَّهْرِ يَخْلُقُ جَدَّتِي      لَا رَعِيَّةَ مِنْهُ وَلَا إِيقَاءَ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ حَادِثٌ تَبْكِي لَهُ      عَيْنِي وَتَأَلَّفَهَا بِهِ الْأَقْدَاءَ  
فَإِذَا مَضَى يَوْمٌ عَدَدْتُ مَضِيهَ      عِنَّمَا وَذَلِكَ لِلْحَيَاةِ فَنَاءُ  
أَتَأَلَّفُ الدُّنْيَا وَأَبْسَطُ عِزَّهَا      جَهْدِي كَمَا تَتَأَلَّفُ الْأَعْدَاءُ  
وَأَقُولُ إِنَّ أَنْكَرَ ضَيْقَةٍ مَعَسَرٍ      فَلَمَعَسَرَ سَعَةً بِهَا وَرَخَاءُ  
وَلِكُلِّ لَيْلٍ كَاشَفٍ مِنْ صُوبِهِ      وَلِكُلِّ صَبْحٍ مُقْبِلٍ إِمْسَاءُ  
كَالْبَدْرِ تَمَحَّقَهُ اللَّيَالِي بَعْدَمَا      مَلَأَ الْعَيُونَ لَهُ سَنِي وَضِيَاءُ  
حَتَّى يَعُودَ كَمَا بَدَأَ مَتَحِيْفَ      يَمْضِي وَتَخْلَفُ بَعْدَهُ الظُّلْمَاءُ  
وَتَطَّرَقَتْنِي الْحَادِثَاتُ فَهَلْ لِمَا      كَلَفَتْ بِهِ وَتَطَّرَقَتَهُ بَقَاءُ  
وَتَتَكَرَّرَ حَالُ الصَّدِيقِ فَبَعْدَهُ      عِنْدِي وَمَحْضَرُهُ عَلَى سِتْوَاءِ  
وَجَرَّتَ عَلَى الْأَعَادِي غِرَةٌ وَمِنْ      الصَّدِيقِ فِضَاضَةٌ وَجَفَاءُ  
وَأَلْفَتْ ضَنْكَ الْعَيْشِ بَعْدَكَ فَاسْتَوَتْ      عِنْدِي بِهِ السَّرَاءُ وَالضَّرَاءُ

إن هذه المقطوعة الشعرية من ديوان ابن المعتز تمثل مظهراً من مظاهر الفنية العضوية ، فقد سيطرت عليها وحدة نفسية شعورية قامت أساساً على هيمنة شعور نفسي واحد على جميع عناصرها. فالشاعر يصور مرارة ولوعه ، وفي نظرات فاحصة عميقة تتفحص في عمق طبائع الناس والحياة والكون ، ما صبه عليه الدهر من محن وكوارث وحوادث وما عرفه من فترات ضيق . فنتدفق في القصيدة عاطفته منسجمة تسيطر على جميع أجزاءها ، وهي عاطفة متفكر في كنه الحياة والناس والأصدقاء .

هذه الهيمنة للإحساس الواقعي الواحد على القصيدة كلها ، وتلك السيطرة لرؤية نفسية ذات لون واحد على أبيات المقطوعة ، جعلتنا نقرأ القصيدة ونحن نزداد بالتدرج دخولاً في عاطفتها ، (فتركت) فينا أثراً فنياً موحداً متكاملًا لم نشعر به بخلل أو تناقض أو انتكاس من

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص (٢٨٨)

الشعر عن اتجاهه الذي كان يتخذه بل نرى فيها " صورة النبتة التي تحيا إلى يدركها الذبول والنفاء ، ثم تعود للحياة من جديد" (١) وهكذا استتدت طبيعة خصائص أهاجيه القليلة في ديوانه إلى التهذيب والثقافة وعفة اللسان ، بل هو كثيرا ما كان يعد سكوته عن هجاء خصومه أبلغ من هجائه لهم ، يقول (٢):

عَلِمِي بِأَنَّكَ جَاهَلٌ      هُوَ جِنَةٌ لَكَ مِنْ عِقَابِي  
وَالصَّفْحُ عَنْكَ وَصَرْمٌ حُبْلَى      مِنْكَ أَبْلَغُ مِنْ عِتَابِي  
وَجَوَابٌ مِثْلَكَ أَنْ تَعَامَلَ      بِالسُّكُوتِ عَنِ الْجَوَابِ

ويقول في هجاء ابن بسام وهو الهجاء المقذع بقوله (٣):

مَنْ رَامَ هَجْوَ عَلِيٍّ      فَشَعَرَ قَدْ هَجَّاهُ  
لَوْ أَنَّهُ لِأَبِيهِ      مَا كَانَ يَهْجُو أَبَاهُ

وكذلك يقول لعلى بن بسام هجاء عصره (٤):

يَا قَذَى فِي الْعِيُونَ يَا حَرْقَةَ      بَيْنَ التَّرَاقِي حَزَازَةَ فِي الْفِؤَادِ  
يَا طَلُوعَ الْعِذُولِ مَا بَيْنَ الْإِلفِ      يَا غَرِيمَا وَاقِي عَلِيٍّ مِيعَادِ  
يَا رَكُودَا فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَصَيْفِ      يَا وَجُوهَ التِّجَارِ يَوْمِ الْكِسَادِ  
خَلِّ عَنَّا فَإِنَّمَا أَنْتَ فِينَا      وَאוْ عَمْرُو أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمَعَادِ

يقول ابن المعتز في هجاء الزمان (٥)

مَا أَعْجَبُ الدَّهْرَ فِي تَصَرُّقِهِ      وَنَقْلِ سُلْطَانِهِ وَدَوْلَاتِهِ  
مَنْ كَانَ يَدْرِي أَنَّ النِّعِيمَ إِلَى      بَوْسِ رَأْيِ الْهَمِّ فِي مَسْرَّتِهِ

وكذلك يقول في هجاء بغداد (٦)

بَغْدَادُ: كَيْفَ نَوْمِي وَقَدْ حَلَّتْ بِبَغْدَادِ      مَقْيُومٌ فِي أَرْضِهَا لَا أَرِيْمُ  
بَبَلَاءٍ فِيهَا الرِّكَايَا عَلَيْهِنَ      كَاللَّيْلِ مِنْ بَعْوَضِ تَحْوِمُ  
جَوْهَا وَالشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ وَالفِصْلِ      دَخَانَ وَمَاؤُهَا يَحْمُومُ

(١) فن الشعر ، د . إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ص ٢٥٠

(٢) النزعة الحضري في شعر ابن المعتز تأليف حسن عبد العليم ، ص ٨١

(٣) المرجع نفسه ص ١٨٠

(٤) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ص ٣٣٩

(٥) أحدى ما قيل في الهجاء إيمان البقاعي ص ٥٤ وما بعدها

(٦) أحدى ما قيل في الهجاء إيمان البقاعي ، ص ٥٧

وقال ابن المعتز في هجاء الأصدقاء (٢)

بلوتُ أَخْلَاهَا هَذَا الزَّمَانُ  
وكلهم إن تصفحتهم  
فأقلتُ بالهجر منهم نصيبي  
صديقَ البيانِ عدو المغيبِ

وقال ابن المعتز كذلك في هجاء الأصدقاء (٣)

وصاحبُ سُوءِ وَجْهِهِ لِي أَوْجُهُ  
وَإِذَا مَا قَلَى الْإِخْوَانَ كَانَ مَرَارَةً  
وَلَا بَدَلِي مِنْهُ فَحَنِينًا يَعْضِنِي  
كَمَاءِ طَرِيقِ الْحَجِّ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ  
وَفِي فَمِهِ طَبْلٌ لَسَاوِي يَضْرِبُ  
يَعْرِضُ فِي حَلْقِي مَرَارًا وَيَنْشَبُ  
وَيَنْسَاغُ لِي حَنِينًا وَوَجْهِي مَقْضَبُ  
يَذِمُّ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْهُ وَيَشْرِبُ  
ويقول ابن المعتز في المغنين (٤):

إِيَّاكَ مِنْ نَاشِي وَأَمْثَالُهُ  
إِذَا تَغَنَّى رَافِعًا صَوْتَهُ  
فَالعَيْشُ مَعَ أَمْثَالِهِ يَقْبَحُ  
حَسْبَتُهُ سِنُورَةٌ تَذْبَحُ

ويقول ابن المعتز في هجاء مغنية (٥):

عناؤها يصلح للتوبة وريقها من زبد الحوبة  
فَعَجَّلُوا بِالشَّرْبِ قَدْ أَمَسَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْحَقَهَا النُّوبَةُ

فقد استمد الشاعر ابن المعتز مواد صورته الشعرية من بيئته الخاصة ومن العالم المادي المحيط به والبيئة الاجتماعية التي عاش في ظل ظروفها ؛ وما دفعه إلى التأثر ببيئته الخاصة ومحيطه الاجتماعي وما زخر به من ماديات ومحسوسات ارتبطت بالحضارة الجديدة التي غزت المجتمع العباسي منذ مطلع القرن الثاني الهجري ، فلونت صور الشاعر بالحس الحضاري ، مما سجل في شعره كثيرا من أوجه المخالفة بينه وبين القدماء في مجال الصورة الشعرية، إذ جمع في شعره بين رقة الحضر وجزالة البدو ، وهو في كل الحالات كان يدرك مدى صعوبة الخلق الشعري وما يتطلبه من كد ومراس وإعداد سابق ،

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥

(٣) المرجع السابق ص ٩٥

(٤) ديوان ابن المعتز ص ١٨٧

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٢

فلم يكن الشعر عند ابن المعتز ترفاً وتسليّةً ووصفاً " لمامون بيته " ! وإنما كان خلقاً فنياً يتطلب التهيئ وال استعداد الروية ، وهو نفسه أقر<sup>(١)</sup> :

إِنَّ ذَا الشَّعْرِ فِيهِ ضَيْقٌ نِطَاقٌ      لَيْسَ مِثْلُ الكَلَامِ مِنْ شَاءَ قَالَا  
يَكْتَفِي فِيهِ بِالْخَفِيِّ مِنَ الْوَحْيِ      وَيَحْتَالُ قَائِلُوهُ احْتِيَالَا

ومن هذه الأبيات عرف كيف ابن المعتز أن يطرف قارئه بالصورة الغريبة وهي نادرة وهي ليست جامدة تلك التي تواضع عليها الشعراء وأصبحت متحجرة في اللغة ، إذ فقدت نضرتها وبهجتها بل هي حية ناضرة وكأنما نقشت رسومها بالأمس ؛ نقشها شاعر كان صباً ببعث الحياة والحركة في صورة حتى ليحس من يقرأ في ديوانه كأنه يعيش في دار من دور الصور المتحركة ، فما يزال يرى مناظر وأشكالاً وهي وجوه مستعارة ، ولكنها تعبر عن روعة الفن بأجمل مما تعبر عنه الوجوه الحقيقية ويصور الشاعر لنا صورة الليل وهذا الوجه الحبشي<sup>(٢)</sup> :

قَدْ اغْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي إِهَابِهِ      كَالْحَبْشِيِّ مَالٍ عَنِ أَصْحَابِهِ  
الصُّبْحُ قَدْ كَشَفَ عَنْ أُنْيَابِهِ      كَأَنَّهُ يَضْحَكُ مِنْ ذَهَابِهِ

ونلمح انه استعار الوجه واستغراق الحبش في الضحك بل انه كوجه حقيقي يعبر عن حقيقة مظلمة وراءه ، ولكن سرعان ما يخلفه وجه آخر ضاحك وهو وجه الصباح الجميل ، وعلى هذا النمط نرى في شعر ابن المعتز صوراً متحركة قد أعطاهها أوضاع تؤكد حقيقتها وتجعلنا كأننا نلمسها ونشاهدها.

(١) (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) ، د شوقي ضيف ، ص ٢٧٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧١

قوله (١):

ماء دارس الآثار خال كدمع حار في جفن كحيل  
وحقا إنها لصورة تذهل كل إنسان إزاء هذه الروعة في التصوير، وكذلك نموذج آخر لابن  
المعتز يصف الرياض في منظومته<sup>(١)</sup> ذم الصَّبوح<sup>(٢)</sup> إذ يقول :

أما ترى البستان كيف نوراً ونثرَ المنثورُ برداً أصقراً  
وضحكَ الوردُ إلي الشَّقَائِقِ واعتقَ الغصنَ اعتناقَ وامِقِ  
في روضة كحلَّة العروس وخُرَّم كهامة الطاووس  
وياسمين في ذرى الأغصان منتظم كقطع العقيانِ  
والسُرُو مثل قصب الزبرجد قد استمدَّ الماء من تُربِ ندى  
على رياضٍ وثيري ثريٍّ وجدول كالمبردِ المَجَلِيّ  
وفرَج الخشخاش جيباً وفتق كأنه مصاحفُ بيضُ الورق  
صار كأقداحٍ من البلور كأنما تجمست من نور

وقد استخرج من صبغ التشبيه أوضاع كثيرة يصف فيها تلك الرياض وما يجري فيها من  
تلك الصور المختلفة التي يغرق فيها البصر ؛ فهنا صفرة عسجدية ، وهناك خضرة  
زبرجدية ، وأخرى حمرة وردية ، وليس من شك في أن قاري ابن المعتز إذا كان مرهف  
الحس إرهافه علاه ذهول وحيرة إزاء تلك الصور والأوضاع لصبغ التشبيه التي يعرضها  
علينا في تلك الأشكال والطرائف النادرة .

(١) (الفن ومذاهبه في الشعر العربي) د شوقي ضيف ، ص ٧٢  
(٢) ديوان ابن المعتز ص ٣٠٧

# الفصل الخامس

تقنيات شعر الهجاء في العصر العباسي وخصائصه الفنية

الصورة والخيال

الرمز ودلالاته

## الفصل الخامس

### تقنيات شعر الهجاء في العصر العباسي وخصائصه الفنية

#### الصورة والخيال:

يعرف معجم (مجدي وهبة) الصورة البلاغية بأنها : " كل حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد - لا القريب - للألفاظ .. وتندرج هذه المعاني كلها في البلاغة العربية تحت علومها الثلاثة : المعاني، و البيان، و البديع " (١) أو هي " كل وسيلة بلاغية للتعبير عن المعنى المقصود بطرق التشبيه أو المجاز أو الكناية، وكل عدول عن الاستعمال المألوف للألفاظ بالزيادة فيها أو الحذف منها أو بهما معاً، وذلك بقصد تجميل الجملة أو تقويتها " (٢). كما يفرد مجدي وهبة للصورة البيانية تعريفاً خاصاً هو أنها هي " التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية، أو تجسيد المعنى " (٣).

ويُطلق مفهوم الصورة في الدراسات البلاغية العربية القديمة: " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي " (٤)، وهي تأتي غالباً في التراث الأدبي مرادفة لما يدخل تحت علم البيان من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية ، حيث تمتزج اللغة بذات الفنان وفكره مثيرة في ذهنه من الرؤى والأفكار ، ما لا يلبث المبدع أن يحيلها إلى صورة مبتكرة ، لاعهد

(١) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها .

(٤) مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص ٣.



للوّاقع المرئي بها، معاً عناصرها من هذا الواقع، ومن ثم تثير هذه الصور في وجدان المتلقي وفكره شتى الأحاسيس والانفعالات، محققة وضوح المعنى.

والصورة الناجحة لدى بعض البلاغيين القدماء هي ما كان لها القدرة على الجمع بين الصور المتباعدة؛ فتحرك المشاعر وتهز الوجدان كما يقول عبد القاهر الجرجاني : "وهكذا إذا استقرت التشبيهات وجدت التباعد بين الشئيين كلما كان أشد كانت النفوس لها أطرب.. وذلك أن موضع الاستحسان أنك ترى بها الشئيين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين.."<sup>(١)</sup>.

و سيقف الباحث عند الباعث البلاغي للصورة الفنية، من خلال دراسة علاقة علوم البلاغة العربية بمصطلحات شكلت صورة " الرثاء " الفنية، مثل التشبيه و الاستعارة والمجاز..<sup>(٢)</sup>. ولا يمكن الفصل عملياً بين التشبيه والاستعارة و المجاز و الكناية إلا لغايات التدريس؛ لأن عمود الصورة البلاغية هو التشبيه، الذي يمتزج مع باقي الأنماط البلاغية

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، مكتبة محمد على صبيح، القاهرة، ط(٦)، ١٩٥٩م، ص ١٠١.

(٢) للاستزادة ينظر في تشكل الصورة البلاغية المصادر التالية : ابن طباطبا : عيار الشعر، ص ٥ - ٧ وأبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص ١٣٣-١٣٩، والجاحظ: البيان والتبيين، ص ٩، و عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص ٣٤٧. واستفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات الأدبية والنقدية، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

وفي المراجع الحديثة:

إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط(٦)، ١٩٩٣م، ص ٨٢-٨٤.

مصطفى ناصف: نظرية المعنى في النقد العربي ، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٣٨.

عبد الحميد يونس: الأسس الفنية للنقد، دار المعرفة، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢٤-٢٦.

الأخرى، فنتحقق وحدة فنية متكاملة للصورة الكلية التي قد نعد التشبيه خلالها صورة جزئية والاستعارة كذلك، وكذلك الكناية، ثم تشكل فيما بينها صورة كلية لبيت أو مجموعة أبيات في القصيدة، وهذا لا يندرج على الأبيات كلها، فيد يوجد في البيت تشبيه، ولا يوجد به كناية، وهكذا و تعامل ابن الرومي مع الصورة الفنية في الديوان من باعثها البلاغي من خلال علومها الثلاثة، و جعل منها أدوات ترسم الكلمة صورة يختلط إحساسه معها.

لقد اعتمد ابن طباطبا (٣٢٢٣هـ) على التشبيه وعدّه ضرباً مهماً في عيار الشعر عند العرب، بل ربط ما يتشكل من صورة شعرية تشبيهية بعدة أضرب، فجعلها : صورة تشبيهية حركية، أو لونية، أو صوتية، أو سريعة، أو بطيئة، أو ذات هيئة أو ذات معنى .. لكنه تعتمد في تشكلها على التشبيه، وما يحدثه في الصورة من معنى وهيئة<sup>(١)</sup>.

و عدّ التشبيه من أهم أنماط بواعث الصورة البلاغية. وبه جاءت أحكام النقاد تكشف عن ذلك الميل وتوضيحه. وقد واكب الربط بين الشاعرية والقدرة على التشبيه، عند بعض اللغويين ربطاً آخر بين الشاعرية والابتكار عند المبدعين الشعراء<sup>(٢)</sup>.

ويستجلب ابن الرومي الصورة التشبيهية في معرض غرض الهجاء كثيراً وهو

عمدة البلاغة العربية، ومنه وهو يُخاطب في الهجاء:

لك أنف يا ابن حرب \* \* أنفت منه الأنوف

أنت في القدس تصلي \* \* وهو في البيت يطوف

(١) ابن طباطبا : عيار الشعر، ص ٢٣ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن : الشعر الجاهلي " قضاياها الفنية و الموضوعية "، ص ١٩٨، وما بعدها .

فيكون قد شبّه ممدوحه بتشبيهين ظاهرين يمكن استدراج تشبيهين آخرين باطنين؛ ففي الظاهر يبدو أنفه ذا شكل قبيح، تخشاه الأنوف، وهو من شدة كبره يبدو يطوف في البيت الحرام وصاحبه يصلي بعيدا عنه في بيت المقدس. وفي الباطن يمكن أن نقول عن ذم ابن الرومي لبعض أخلاقه، وهو بذلك يعقد مقارنة بين صورتين، أولاهما متألفة من محسوس مُبصر، وهو المهجو، ومن ذهني مجرد غير محسوس، وهو أخلاقه، بعنصرين محسوسين جميعهما ( الطواف والأنفة ) " فليست اللغة سوى فواصل، وليست الألفاظ سوى حركات لذبذبات النفس ومشاعرها " (١).

لقد كان ابن الرومي شديد الإحساس باللغة وهي تقف أمام مقاصده الشعرية، وقد جمع شعره الهجائي بين الفخامة والسلاسة في الأساليب والتراكيب اللغوية، كما كان كذلك في ما يتعلق بالصورة البلاغية، فلم يبالغ في الإغراب والعمق والتعقيد في رسم صورهِ البلاغية، ليكون كل ذلك مُعينا له على التعبير عما يجول في خواطره بألفاظ الطرق وأبسطها، وهذا يمكن أن نطلق عليه الأسلوب، و بدأ يصبح " الأسلوب يعني شخصية مؤلف النص و طبيعته " (٢).

وقد ظهرت عناصر للتشبيه في صورهِ الشعرية، منها عناصر الصورة الحسية البصرية (٣)، فلا يبتعد ابن الرومي في التقاطهِ لعناصر التشبيه في شعرهِ عن ديدن

---

(١) عبد الفتاح نافع : لغة الحب في شعر المتنبي، دار الفكر، عمان، ط(١)، ١٩٨٣م، ص ٤١٣ .

(٢) ريم الحسين: الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، وأحمد بدوي : من النقد الأدبي، مكتبة نهضة مصر، مصر، ط(٢)، ١٩٦٠م، ص ١٩٠ .

(٣) استفاد الباحث من مقدار رحيم : الصورة البلاغية في شعر ابن زيدون، د.ت .

الشعراء، كما لا يبتعد عن أساليبهم في التشبيه جُملةً، إلا أنه يتميز بما تميزت به لغة الهجاء من مباشرة، وعدم إطالة في الوصف، وكثرة الصناعة، ففي قوله:

وجهك يا عمرو فيه طول \* \* وفي وجوه الكلاب طول

مقابح الكلاب فيكطراً \* \* يزول عنها ولا تزول

وفيه أشياء صالحات \* \* حماكها الله والرسول

فالكلب واف وفيكغدر \* \* ففياك عن قدره سفول

وقد يحامي عن المواشي \* \* وما تحامي ولا تصول

وأنت من بيت أهل سوء \* \* قصتهم قصة تطول

مستفعلن فاعلن فعولن \* \* مستفعلن فاعلن فعول

بيت كمعناك ليسفيه \* \* معنى سوى أنه فضول

يصور وجه ابن عمرو بوجوه الكلاب، إلا أنه يسلب منه صفة (الوفاء) التي هي صفة ملازمة للكلاب، ويزيد من الوصف فيشبه الحماية بين الكلب وابن عمرو ويضع لهما ميزانا بين قوله (يحامي = الكلب) و(تحامي = ابن عمرو)، وشتان بين سلبت عنه الصفة ومن التصقت به. ثم يشبه بيته أي عشيرته وعائلته بأنها تشبه البيت الشعري المكون من تفعيلات :

مستفعلن فاعلن فعولن \* \* مستفعلن فاعلن فعول

وهي بلا معنى إلا إن ملأها الف شاعر بما وجود به. وبيتك يا ابن عمرو " ليس فيه

معنى " كالوزن العروضي المفرغ إلا من القاعدة.

إلا أن أغلب صور ابن الرومي بسيطة في تركيب الألفاظ، وفي تركيب عناصر التشبيه ، وهو يُميط اللثام عما كانت تتطوي عليه نفسيته في الصورة من اهتمام بالجمال، دون فلسفة، ونزوع إلى البساطة في المواقف وفي النظر إلى الأشياء، دون تعقيد، فضلاً عن إيمانه بأثر الشعر في النفس، هذا من الناحية الفنية والشكلية، أما الناحية المتعلقة بالدلالة فنجد شعره فيها يتفاوت في أجوائه ومُعطياته النفسية وصوره وتشبيهاته، وإن كانت جميعاً تقوم على الوصف، لكن بما أن الأسلوب " يعد نتيجة لاختيار المؤلف من مختلف التحولات الاختيارية الممكنة " (١)، فابن الرومي يمثل ذلك خير تمثيل وتعرف له اتجاهها معيناً في تشكيله الصوري.

أما حال الصورة الذهنية المجردة عنده، فيستعير للطرف المقابل بقية حال الصورة التشبيهية، فيقول:

وَوَغْدٍ وَهَبْتُ لِهَكْمَةٍ	وَأَمَلْتُ مِنْكَ وَدَمَوْهُوبِهِ
فَكَرَيْتُ كَعَابِدٍ مَنْحَوْتِيهِ	وَمَسْتَرْزُقُ رِزْقَ مَنْصُوبِهِ

فيشبه الوغد بالمعبود ونفسه بالعابد مستدركاً بحرف ( الكاف )، وهو وغد ( يمدح ويهجي حسب ما تريده الأحوال ! فيقول عن حاله :

وَلَوْ قَدْ أَلَحَّ عَلَيْهَا لَهَجَاءُ	جَرَجَرَ مَنْ عَضَّ كَلْبُهُ
وَلَمَّا غَدَا كُلُّ هَذَا لَوْرِي	وَمَمْدُوخُهُ مِثْلُ مَنْدُوبِهِ

و إنَّ اهتمام ابن الرومي بالصورة التشبيهية بهذا القدر، يدلُّ على أنه شاعر من الطبقة الرفيعة، اتخذ من الشعر أداة تعبيرٍ مهمة عن مشاعره وقضاياه الأساسية في الحياة .

(١) صلاح فضل : علم الأسلوب ( مبادئه وإجراءاته )، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م،

أما الصورة الاستعارية، فهي وليدة الصورة التشبيهية؛ لأن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، والاستعارة أقرب لصنع العقل في ارتياد الواقع، والاستعارة هي أداة التجسيم والتشخيص، والتشخيص صفة حاجة الإنسان إلى ربطه بالطبيعة<sup>(١)</sup> و ربط مصطفى ناصف بين بلاغة الاستعارة و الخيال في الصورة الفنية بكون الاستعارة "صورة ذات صفات حسية، ومرجعها أن الصورة ذات الصفات الحسية تعبير عن تمثّل خيالي"<sup>(٢)</sup>.

وإن هناك ربطاً ما بين الصورة الاستعارية والتشبيهية؛ ذلك أن الصورة الاستعارية هي صورة تتدرج من الصورتين: الإشارية، والتشبيهية، وهذه الصورة تغذي الحس قبل أن تغذي الفكر، فهي استعارة مثلية: مبنية على أساس حلول حسي محل حسي آخر، أو استعارة تجسدية: تعني بتقديم المعنى في جسد شئني، وهناك استعارة تشخيصية: وهدفها الإنسان، إذ تكسب المواد الجامدة إنسانية الإنسان وأفعاله. واستعارة تجسيمية: تسعى إلى إيصال المعنى المجرّد مرتبة الإنسان في قدرته واقتداره. وإذا ما حولنا المعنى إلى جسم، ثم منحنا هذا الجسم حياة ونشاطاً ومشاعر وأفكاراً، كانت عمليتنا تتم في عقل ذي نفس صافية، ووعي أصيل، وتجربة خصبة وخيال واسع<sup>(٣)</sup>.

والاستعارة تتبع التشبيه في الأهمية، كما ترتبط أهمية الاستعارة بالمجاز الذي هو: أسلوب خاص في الإدراك، و به يتشكل المعنى نفسه، الذي لم يكن موجوداً من قبل.

وتضع الاستعارة شيئاً حسياً محل شيء آخر مثله، فيكون محور الاستعارة والصورة في الشعر هو تجاوز اللغة الدلالية إلى اللغة الإيحائية، والاستعارة الشعرية ليست مجرد تغيير في المعنى. إنها تغيير في طبيعة أو نمط المعنى، انتقال من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي.

<sup>(١)</sup> مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، ص ١٢٩، و ص ١٣

<sup>(٢)</sup> استفدنا من ريم الحسين: الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، ومصطفى ناصف: الصورة الأدبية،

ص ١٣٨ .

<sup>(٣)</sup> اعتمد الباحث في تعريف أنواع الصور الاستعارية على عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٦٧-١٧٢ .

إن لأي صورة بلاغية معنى ووظيفة في القصيدة بشكل عام، وليس من صنع الباحث هنا تتبع ذلك، بل توضيح الاستخدام لها من خلال أمثلة. أما النظر بشكل عام فهو حديث في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

و مثال ذلك صورة السيف، الذي رأيناه بكثرة في الصورة التشبيهية، ها هو موجود في الصورة الاستعارية، كما في التشبيه، يقول ابن الرومي:

لو تَلَفَّتْ في كساءِ الكسائي \* \* وتلبستَ فروة الفراءِ

فقد استعار الكساء من الكسائي، ونفاذه، واقتبس الفروة من الفراء .

والخيال يزيد الصورة الفنية تكثيفاً ، فيصنع أكبر الأثر في الاستعمالات الاستعارية. وقد يكرر ابن الرومي في صورته الاستعارية ، ولكنه لا يكرر اللفظة نفسها، فيكون الهجاء هو الصورة المقابلة للمدح، انظر قوله :

مدحتُ إلهاً جميلاً التثاء	مصـدوقُهُ غيرُ مكذوبِـه
ألا يا فراسي خذها إليك	من ثاقب الحدمش بوبه
حليم تَعَوَّذْ منجهاه	إذا ما حُصِبْ تَبَشُّوبُوبه

و المعنى : لما مدحته كانت هذه صفاته، فلما زالت عنه زال مدحي إياه!

وسنقف مع قصيدته التي مطلعها :

شاهدت في بعض ماشهدت مُسمعةً	كأنما يومها يومان فييوم
تظل تلقي على من ضممجلسها	قولا ثقيلاً على الأسماع كاللوم
لها غناءً يثيب اللهُسامة	ضعفَى ثواب صلاة الليل والصوم

هذه صورة بلاغية قوية في مطلع لافِت للسامع قبل القارئ؛؛ لأنه يصنع تقابلات بين أربعة ألفاظ هي على الترتيب: مسمعة، ضمّ، مجلسها، غناء . والمعنى يأخذ بالمقابلة والتضاد فلا غناء جميل، ولا الليل كان أجمل ! بل ملل وغناء قبيح ومسمع فظ !

فجعل من مقدمة القصيدة (المطلع) قصة تشبيب بامرأة - ليس كالتشبيب الذي نعرف - فالمرأة موجودة، ولكن وجودها هنا لغرض آخر وهو قوله في البيت التالي للصورة السابقة:

عليه بل طلباً للسكر والنوم

ظلتُ أشرب بالأرطال لأطرباً

وقد كان الخيال عند ابن عربي أعظم قوة خلقها الله" فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجوداً من الخيال، فيه ظهرت القدرة الإلهية والافتقار الإلهي... فهو أعظم شعائر الله... إن الخيال وإن كان من الطبيعة، فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله من القوة الإلهية".

و قد جاء ذكر للخيال عند "حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في حديثه عن المعاني الشعرية، التي جعلها تتحصر في معنيين هما:

الأول: التي يكون مقصد الكلام وأسلوب الشعر فيها يقتضيان ذكرها وبنية الكلام عليها، وقد سماها: "أوائل"، والثاني: "الثواني" التي لا يقتضي مقصد الكلام وأسلوب الشعر فيها بنية الكلام عليها: وقد سماها "ثوان" (١).

فالمعنى الثاني -عنده- هو المعروف الظاهر، أمّا المعنى الأول فهو: الخفي، ويأتي عن طريق الخيال. وعلينا ألا ننسى إشارة حازم القرطاجني إلى ما يسميه: "بالقوة المائزة": "التي بها يميز الإنسان ما يلائم الموضع والنظم والأسلوب"، والقوة الصانعة "التي تتولى العمل في ضمّ بعض أجزاء الألفاظ والمعاني والتركيبات النظميّة والمذاهب الأسلوبية إلى بعض والتدرج من بعضها إلى بعض" (٢).

و لقد قسم "كولردج" في العصر الحديث الخيال إلى خيالين: الأول هو: الخيال الذي يشترك فيه الناس جميعاً، و الثاني هو: الخيال الفني، وله عند "كولردج" وظيفة تحليل الأشياء أو التأليف بينها أو توحيدها والتسامي بها ليخرج من كل ذلك بخلق جديد. وهكذا فإن التعريف الذي وضعه "كولردج" للخيال، يعد الخيال، إمّا أولياً (Primary) أو ثانوياً (Secondary)، فالخيال الأولي -عنده- هو القوة الحيوية أو الأولية، التي تجعل الإدراك

(١) حازم القرطاجني، أبو الحسن منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار

الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م، ص ٢٣-٢٤.

(٢) نفسه، ص ٤٣.



الإنساني ممكناً. أما الخيال الثانوي فهو: صدى للخيال الأولي، غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية، وعمله أن: "يُحلل وينشر و يجزئ لكي يخلق من جديد"<sup>(٣)</sup>.

والخيال الفني عند " كولدرج" هو الذي يخلق أدبا جديداً " ينكسر فيه الحاجز الذي يبدو عصياً بين العقل والمادة، فيصبح الخارجي داخلياً، والداخلي خارجياً، وتتحول الطبيعة إلى فكر، والفكر إلى طبيعة، وهذا موطن السر في الفنون" وممّ يتولد خيال الشاعر ؟

لعله يتولد من الذاكرة، فهل تحتفظ الذاكرة بكل الصور التي تراها، فتولدها لحظة طلب الخيال لها ؟ لا، " لا تحتفظ الذاكرة بكل ما يفد عليها من الأشياء وإنما تحتفظ فقط بما يستجيب لشحنتها العاطفية، كما لا تثار الصور داخل الذاكرة بكثافة ونماء إلا في موقف تجريبي يستدعيها"<sup>(٢)</sup>. ويمكن أن نعد كل ما ينفد من الذاكرة إلى سطح عقل الشاعر قابلاً أن يرسمه صورة شعرية أخاذة ذات بعد قريب لها عنده ؛ فكل صورة خيالية عند ابن الرومي تقترب منه أكثر من غيرها، فيها يعيش الماضي، ويستذكر ما حلا له من أوقات، أو قد يستذكر ذكريات صعبة.. فكل ذلك يصلح أن يولد صورة خيالية. و يمكن عدّ الخيال عنصراً مهماً من عناصر الصورة الحاضرة في فكر ابن الرومي، وتقوم الصورة الخيالية مقام خليط من العواطف والأفكار التي من الأهمية بمكان أن يُتم الشاعر على ضبطها عاطفياً. و هي نتاج الخيال كما قال محمد غنيمي هلال<sup>(٣)</sup> . اقرأ قول ابن الرومي:

كأنني صائمٌ ولمأصمٌ

يطولُ يومي إذا قرنتُبه

فقد قرن طول اليوم بيوم الصيام. و المعنى : أنه في خياله وذاكرته يعد يوم الصيام من أطول الأيام .

و من الخيال الشعري ما ينسبه ابن الرومي إلى أشخاص معينين بالذات دون أن يسميهم -وكان لهم وجود فعلي- يُداخلها بعض عناصر الخيال، كما يقول:

<sup>(٣)</sup> كوليردج : سيرة أدبية " النظرية الرومانتيكية في الشعر"، ترجمة : عبد الحكيم حسان، دار المعارف،

مصر، ١٩٧١م، ص ٢٥١، مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص ٢٧.

<sup>(٢)</sup> عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في النقد الشعري، ص ٩١ .

<sup>(٣)</sup> محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص ٣٨٨ بتصريف.

حضضتَ على حطبي لناري فلاتدعُ	لك الخيرُ تحذيري شرورَ المحاطبِ
وأنكـرتَ إشـفاقي وليسـبـمانعي	طـلابي أن أبـغي طـلابَ المكاسبِ

والمعنى : رسالة استهجان مع ما رافقها من رسالة الهجاء إلى من يدعي عليه التكسب.. فكثيراً ما تنسج المخيلة الشعرية الإبداعية أحداثاً وأموراً لم تحدث على الإطلاق، أو أنها قد تُنسب إلى أبطال وشخصيات خيالية فهي صفات وخصائص وأفعال غريبة. وهذا الجانب المتخيل هو جزء من "الصنعة" الفنية التي يلجأ إليها الشاعر لاستكمال عناصر صورته الفنية، وهو ما سمي بالخيال الابتكاري<sup>(١)</sup>.

ولكن صناعة الصورة الخيالية لا ينبغي أن تكون سبباً في التشكك في صدق وواقعية كل الأحداث التي يرد ذكرها في القصيدة، وإن كان هذا العنصر الخيالي يلقي ببعض ظلال الريبة والشك على مدى إمكانية الاعتماد على الصورة الخيالية كمصدر للمعلومات عن ماضي ابن الرومي أو مجتمعه وما عايشه في عماه.

والصورة عند عبد القادر الرباعي هي ابنة للخيال الشعري ، إذ يقول : "والصورة ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف - عند الشعراء - من قوى داخلية تفرق العناصر وتنتشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم " (٢) .

كم أن علاقة الصورة بالخيال تبرز من خلال علاقة الصورة النفسية بالخيال، فيصنع الشاعر الصورة النفسية هنا، من صورة ذاتية أو أخرى غير ذاتية .. كما في قول ابن الرومي:

ومن يلقَ ما لاقيتُ في كل مجتنيٍّ	من الشوك يزهدُ في الثمار الأَطايِبِ
----------------------------------	-------------------------------------

فمناسبة القصيدة عظيمة، وهي لومه على تكسبه، لكنه يلم من يلومه .

فيقول في حضرة من يستمع:

أذاقتنيَ الأسفارُ ما كَرَّهَ الغنى	إليَّ وأغراني برفض المطالبِ
------------------------------------	-----------------------------

(١) أحمد أبو زيد :مقال الملاحم كتاريخ وثقافة، عالم الفكر، الكويت، مجلد (١٦) ع (١)، ابريل - مايو - يونيو، ١٩٨٥م، ص ١٣.

(٢) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص ١٤ .

فأصبحتُ في الإثراء أزهذاهدِ	وإن كنت في الإثراء أرغبَ راغبِ
حريصاً جباناً أشتهي ثمأنتهي	بلحظي جناب الرزق لحظَ المراقبِ

إنه خيال مبدع، يصف أسفاره، وحياته، حتى صار بالإثراء (أزهذاهدِ). ثم انظر

إليه يقول :

إلى الله أشكو سخفَ دهريفانه	يُعابثني مذ كنت غيرَ مُطائبِ
-----------------------------	------------------------------

وعلى الرغم من اهتمام ابن الرومي بالصورة الذهنية المرتكزة إلى الخيال إلا أنه لم ينسج عناصرها جميعاً من العناصر الذهنية المحض، فلم يجد الباحث -على حد ما استطاع - في شعره صورة ذهنية محضاً، تتألف عناصرها من المجردات في الطرفين<sup>(١)</sup>.  
 " و بذلك تكون القيمة الكبرى للصورة الشعرية المتولدة من الخيال، في أنها تعمل على تنظيم التجربة الإنسانية الشاملة للكشف عن المعنى الأعمق للحياة والوجود؛ المتمثل في الخير والجمال من حيث المضمون والمبني بطريقة إيحائية مخصصة من حيث الشكل"<sup>(٢)</sup>.  
 و يعيد مصطفى ناصف التصوير الخيالي إلى النواحي البصرية و السمعية أكثر من الحواس الأخرى<sup>(٣)</sup>، فتبدو الصورة الخيالية بصرية.

وقد يتخيل الشاعر حدثاً ويجري عليه قصة كاملة، مثل حدث (خان ابن الرومي) في قوله :

سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلّة	تمايلُ صاحبها تمايلُ شاربِ
لتعويق سيوري أو دحوض مطيبي	وإخصابِ مُزورٍ عن المجدناكبِ
فملت إلى خانٍ مرثبناؤه	مميلَ غريق الثوب لهفان لاغبِ
فلم ألق فيه مستراحاً لمتعابِ	ولا نزلأ أيانَ ذلك لساغبِ
فما زلت في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ	وفي سهرٍ يستغرق الليل واصبِ
يُورقني ساقفُ كأنيتحتّه	من الوكفِ تحت لمذجنات الهواضبِ

(١) رأي قابل للمناقشة .

(٢) عبد القادر الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام : ص ١٤ .

(٣) مصطفى ناصف : الصورة الأدبية، ص ١٣٨ .

تَـصِرُّ نَوَاحِيهَ صرِيرِ الْجَنَادِبِ	تَـرَاهُ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَتَقَلَّمَتَهُ
كَمَا انْقَضَ صَقْرُ الدَجْنِ فَوْقَ الأَرَانِبِ	وَكَمْ خَانَ سَفْرٍ خَانَ فَاانْقَضَ فَوْقَهُمْ
مِنَ الصَّرِّ فِيهِ وَالتَّلُوجِ الأَشَاهِبِ	وَلَمْ أَنَسَ مَا لِأَقْيَمْتُ أَيَّامَ صَحْوِهِ

و للخيال بعد نفسي، وآخر رمزي، نستشفه من خلال النظر بصورة كلية لمعطيات صورة الهجاء عند ابن الرومي، فهجاؤه إما :

- لعاذليه في إسرافه وغلوه.

- أو لأشخاص بعينهم .

- أو لحادثة يجري عليها من الخيال مجراه.

و أخيرا فقد كان شعر ابن الرومي يميل إلى التجديد في المعاني، وابتكار الصور

الجديدة، والاعتماد على الخيال المجنح؛ وهذه إحدى روائعه الخيالية:

أَصْلَاعٌ يُكْنَى بِأَبْيَالِجَلَّاتِ	حَبَّاقٌ كَالْمَاعِزِ الْكَلَوَّخَاتِ
ذُو هَامَةٍ مِثْلِ الصَّافَةِ الْمَرْتِ	تَتَصَبُّ فِي مَهْوَى جَبِينِ صَلَاتِ
تَبْرِقُ بِاللَّيْلِ بِرِيْقِ الطُّسْتِ	صَبَّحَهَا اللَّهُ بِفَقْدِ سَخْتِ
وَلَحِيَةٍ مِثْلِ غَرَابِالْحَمْتِ	كَأَنَّهَا مَدَهونَةٌ بَزْفَاتِ
سَرَّحَهَا اللَّهُ لَهَبِ السَّاتِ	تَعْرِفُهُ الأَنْبَاطُ بِالْبَذَنْقَاتِ
وَفَارِسِ الأَحْرَارِ بِالْبَذَنْخَاتِ	قَضَى عَلَيْهِ بِقَضَاعِبَتِ
مَنْ أَكَلَ النَّاسِ لَخْبِزِ بَخَاتِ	يَيْلَتُهُ بِالرَيْقِ أَيْلَاتِ
أَحْسَبَ حُسَّابِ بَنِيْنَ وَبَخَاتِ	بِأَنَّهُ نَحْسُ شَقِيِّ البَخَاتِ
يَلْقَطُ حَبَّ الأَدَمِ المُنْفَتِ	لَقَطَ حَمَامٍ جَاءَ مِنْ جِيرْفَتِ
كَأَنَّهَا يَلْقَطُهُ بِشَقَاتِ	يُؤَدِي النَّدَامَى بَعْدَ طَوْلِ الصَّمْتِ
يَذَكِّرُ حَمْدَانَ عَمِيدِ البَرْتِ	مَعَبُّسُ الوَجْهِ طَوِيلُ السَّكْتِ
كَأَنَّهَا عَضَّ عَلَى جَأْفَاتِ	أَثْقَلُ مَنْ طَلَعَةَ يَوْمَ السَّبْتِ
عَلَى ابْنِ كُتَّابِ بَلِيْدِهِبَتِ	مَذْبَذِبِ بَيْنَ الجِهَاتِ السَّسْتِ
ابْنَ كَبِيْرٍ وَأَخْ كَأَخَاتِ	

## الرمز ودلالاته

إن في الصورة الرمزية رغبة تواقه لخلق أداة توصيل خاصة توحى وتعبير ولكن تتطلب عوناً من القارئ ذاته واجتهاداً في البحث بين المعاني. إن لغة الرمز تستخدم اللغة المعروفة ولكنها تركيبها بعلاقات جديدة في مدلولها، وكأنها لا تدل على المساحة المعروفة لها دلاليّاً من قبل، وهذا ما أدى فيما بعد إلى الخروج الواضح عن منطقية اللغة لكي تتميز بالإحساس الداخلي وأطوار الحلم. فمن حق الشاعر أن يصور ما يحس و يحلم به<sup>(١)</sup>. فتكون " الصورة الرمزية صورة لشيء أو لموقف " <sup>(٢)</sup>.

وأما استخدام الصورة في المتشكل الرمزي فهذا شأن آخر وإن اتفق مع "الرمزية" في التعبير غير المباشر وتجاوز الوضوح القريب إلى الإيحاء وتطلب الجهد في القراءة والتأمل. لكن الاستفادة من الرمز في الشعر تعني تداولاً للكلمات في مدلولاتها الحقيقية، فيأخذها الشاعر من التاريخي، و الثقافة الدينية، أو التراث الشعبي، أو الحكم أو الأمثال ... ثم يربطها بأجزاء القصيدة لتكون جزءاً من التجربة الشعرية، ولعل الربط بين هذين الطرفين هو الذي ينتج الصورة الرمزية؛ فبين يدي الشاعر كلمات هي واضحة ومحددة المعالم لكنها في ترابطها وأبعادها تحمل رؤى وتتعدّد فيها خيوط غنية في نسيجها<sup>(٣)</sup>. و " يكون الرمز شيئاً ملموساً يوحى عن طريق تداعي المعاني إلى ملموس أو مجرد " <sup>(٤)</sup>.

ثم إننا نبحت في الأشكال الفنية التي جسدت الصورة الرمزية ، فأين هي في شعر الهجاء عند ابن الرومي ؟ هل هي أبيات في قصيدة تشكل مقطعاً من هذه القصيدة والتجربة؟ وكيف كان انتلافها وتداخلها مع الأجزاء الأخرى؟ أم هي تنويعات هنا أو هناك في قصائده؟ أم تمثل لمواقف له تختصر في أبيات تشكل خلفية أو أرضية للعمل الفني الفكري؟ هذا ما سيحاول الباحث أن يستجليه، بحول الله تعالى لكن مم يتشكل الرمز عند ابن الرومي؟

(١) استفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، ومجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٠ .

(٣) عز الدين إسماعيل : الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، مصر، ط(٧)، ١٩٧٨م، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) مجدي وهبة : معجم مصطلحات الأدب، ص ٥٥٢ .

إنه - بظني - من تلك الحادثات التي يرمز لها أو تصوير من تركيز عدسة صورته عليها  
رمزا.. كقوله :

يسير إلى متاحه فيجوده	ويكفي أبا الإمال زمالكائب
ومن يك مثلاً للحياء فيعلوه	يكن مثله في جوده بالمواهب
وإن نفاري منه وهو يريغني	لشيء لرأي فيه غير مناسب
وإن قعودي عنه خيفة نكبة	للؤم مهز وانشاء مضارب
أقر على نفسي بعيب يلائني	أرى الصدق يحو بينات المعاييب
لؤمت لعمر الله فيما أتيت	وإن كنت من قوم كرام المناصب
لهم حلم إنس في عرامة جنبة	وبأس أسود في دهاء ثعالب
يصولون بالأيدي إذا الحرب أعملت	سيوف سريج بعد أرماع زاعب
ولا بد من أن يلوؤ المرء نازعا	إلى الحمأ المسنون ضربة لازب
فقل لأبي العباس لقي توجهه	وحسبك مني تلك دعوة صاحب
أما حق حامي عرض مثلك أن يرى	له الرفذ والترفيه أوجب

ومن سمات الشخصية التي يذكرها ابن الرومي في هجائه أنها :

- تقترن بالوجه الآخر (المدح) من زاوية ما.
- ليست رمزية في اسمها إنما ترمز إلى حدثها.

ومن الشخصيات التي شكلت صورة رمزية في شعر ابن الرومي شخصية (عمرو)،

فيذكره باسمه:

علي لعمرو نعمة بعدنعة	لوالده ليست بذات عقارب
وما عقرب أدهى من البينانه	له لسعة بين الحشا والترائب

و من الصور الرمزية شخصية الأصلع، فيذكره بصفته:

أصلع يكنى بأبيالجلحت	حبلق كالماعز الكلوخت
----------------------	----------------------

وله سمات يقف عندها :

ذو هامةٍ مثل الصّفاةِ المرتِ	تتصبُّ في مهوى جبينِ صَانتِ
تبرقُّ بالليلِ بريقَ الطُّسْتِ	صَبَّحَهَا اللَّأْمُ بَقْفِدِ سَخْتِ
ولحيةٍ مثل غرابِ الحَمْتِ	كأنَّهَا مدهوننةٌ بزفوتِ

وكذلك الحال حينما يستدعي حدثاً معيناً، وهو يرمز إلى هنا أو هناك ما يصور له حالا من الحاسدين والمنافسين له غير الشريفين كما يقول. فيبعث الرمز قصة ما يستدعيها ابن الرومي من مبعثها.

فيتغلغل المكان وعاءاً رامزاً، خاصة حينما يُستلهم من طرف من يريد من مدحه أن يسلب كل ما له من مهجوه، دون العودة لإطار تاريخي معين:

يا صلعة لأبيحفص مجردة كأن ساحتها مرآة قولاذ

ترن تحت الأكفالواقعات بها حتى ترن بها أكناف بغداد

إنه يؤدي وظائف دلالية ورمزية، فالمكان وعاء الحدث وله مغزى يتخذ أبعاده من السياقات التي تعاقبت عليه من صنعة الشاعر؛ ومن رمزية الشخصيات التي استدعاها؛ ومن قيمة الأحداث التاريخية والسياسية التي وقعت فيه، ومما صنعه بالمكان، مشحونا بالدوال، امتلأت الرمزيات فاقراً قوله :

كأنّي أرى فيهنّ فرسانَ بُهْمَة	يليحون نحوي بالسيف القواضب
فأن قلت لي قد يُركب اليّ مُطامياً	ودجلة عند اليمّ بعض المذانب
فلا عذرَ فيها لامرئٍ هابمئتها	وفي اللجة الخضراء عذرٌ لهائب
فإنّ احتجاجي عنك ليس بنائمٍ	وإن بياني ليس عني بعازب
لدجلة خبٌّ ليس لليمّ، إنّها	ترأى بحلمٍ تحته جهلٌ واثب
تطمأنّ حتى تطمئنّ لو بنا	وتغضب من مزح الرياح الواعب
وأجرافها رهنٌ بكلّ خيانةٍ	وغدرٍ ففيها كلّ عيبٍ لعائب
ترانا إذا هاجتُ بها الرّيحُ هيّجةً	نزكزلُ في حوماتها بالقوارب

وقد تتحول ( الأحداث ) إلى دوال رمزية تضيق الخناق على الشاعر، فيصبغها برؤاه المختلفة أو قد يتشكل الرمز من (فكرة) يستدعيها الشاعر، فيرمز لحال معينة تنتمي للشاعر، و لم يقلها صراحة، فيرمز لها باستدعائه لذلك الحدث، كما في قوله:

يقتر عيسى على نفسه \* \* وليس بباق ولا خالد

فلو يستطيعلتقتيره \* \* تنفس من منخر واحد

فيريد أن يرمز لصورة بخل شديد، فاستدعى حدثاً عادياً وأظهر احتمالاً لم يخطر على بال صاحبه فلو استطاع لتنفس من مكان واحد.

وإن علاقة ابن الرومي بالأفكار تعني قدرته على تقديم " كل صورة من الصور نفسها في شكل بلاغي تختاره لتحقيق وظيفتها في التعبير عن المعنى، أو الإيحاء بالانفعال والفكر الداخلي للصورة " (١).

ولعلنا إذا ما اعتبرنا منبع الصورة يكون من تصوّر المعاني لفكرة مجردة، فإن المعنى يكون تابعا لفكرة تُجسّم الحقيقة من خلال أنواع من الصور، لتصور المعاني، ولعلنا بذلك المفهوم لتصوير المعنى فإننا نعلم على نوعي الصورة : التقريرية دون تشبيهه أو مجاز، أو الصورة التشبيهية، بالعلاقة بين حدّين وفيها تجسيم للمعنى (٢).

ثم إن الأفكار الرمزية في الصورة الشعرية عند ابن الرومي ليست استنساخا للواقع، بل تتشكل انطلاقاً من ما تمثّل به ذاكرته من صور موجودة، وتشكل بشكل مسبق ثقافة الشاعر. إن علاقة الصورة بالأفكار الرمزية هي ما يشكل الحدث الثقافي عند الشاعر ذاتياً، كما لا يمكن فصل ذات الشاعر ثقافياً عن التنظيم الاجتماعي لثقافة مجتمعه، ويدرس الباحث توليد صور الشاعر ذات الأفكار من خلال تعريفنا بذاته وحياته وثقافته وثقافة مجتمعه، فيستمد شاعرنا أفكاره من موردين هاميين: أولهما ثقافته.. وثانيهما تجاربه، مع افتراض الباحث أن أفكار الصورة الشعرية عند ابن الرومي تدور في فلكين كبيرين هما :

- الحرمان .

(١) د. عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، منشورات جامعة اليرموك، إربد - الأردن،

ط(١)، ١٩٨٠م، ص ١٦١ . واستفاد الباحث من ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون.

(٢) نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ص ١١-١٩.



- البؤس .

مع ما في هذين الفلكين من رؤى تتفرع عنهما، وتشكل بعدا لفكرة هنا أو هناك، منها : فكرة الأمل والعمل ، والخير والشر، و الزمان و المكان، و الحياة والموت، والقناعة والطموح، إلى غير ذلك من الأفكار المتولدة التي سيحاول الباحث دراستها مستنيراً بعلاقة الصورة الشعرية التي يقدمها ابن الرومي مع أفكار شعره. فقد تكون الفكرة عظيمة، ولكن ابن الرومي لا يقف عندها فيصورها، وقد يكون العكس، ويسهب ابن الرومي في تصويره. إنَّ هذا الاهتمام من لدن الشاعر بالصورة على هذا النحو ( المبالغ فيه في الفكرة ) لا يعطيه الحق لأنه يكتب شعر هجاء فقط ! بل يدلُّ على اتساع ذهنه واستجابته لغير العادي المألوف في الأساليب الشعرية، وبصيرة حادة مكنَّته من النظر في مناسبة الصورة للحال الموصوفة وجهة التخاطب، حيث لجأ إلى رسم الصورة بالعناصر المحسوسة في موضع، ولم يلجأ إلى العناصر الذهنية المحض لعدم مناسبتها ولياقتها بهذا الموضع، بينما استكثر منها في موضع آخر ولكل مقام مقال.

إنَّ هذا الفعل الشعري الذي يبدو وكأنه تقسيمٌ من لدن الشاعر للصورة على ما تُحَقِّقُه من أغراض يرجوها الشاعر استناداً إلى بلاغتها وقوة معانيها، يدلُّ على تمكُّنه من أدواته الشعرية الذي وسمه بسمة الإبداع.

فيثير إحساسه الإبداعي ما في واقعه، فتولد صورة ذات فكرة من واقعه وهو قوله :

فالكلب واف وفيكغدر \* \* ففيك عن قدره سفول

وقد يحامي عنالمواشي \* \* وما تحامي ولا تصول

فصور وفاء الدنيا كلها ونصرتها بوفاء الكلب، وذكر الكلب وأراد الوفاء على سبيل المجاز المرسل الذي علاقه الحالية. وسلب فكرة الوفاء عن المهجو، فجعلها نابعة من الكلب. والوفاء صورة من صور واقع الحياة العربية ومعرفتهم لكلب الرعي .

إنها وحدة من التناغم الواقعي، فابن الرومي لم يبدع صورته من خيال متميز، رغم رقة وصفه وهو يلامس الطبيعة، وإذا لم تستجب له يسرق منها ما يجعلها تستجيب :

وأنت من بيت أهلسوء \* \* قصنتهم قصة تطول

و ثمة علاقة بين الرمز والبعد النفسي للصورة الفنية التي يشكلها ابن الرومي، فإنه إذا ما انتقل من الرمز والتلميح إلى المباشرة والتصريح، فإنه لا يستقيم معه هذا الانتقال إلا من خلال وضع الصورة الفنية التي يريد تشكيلها ضمن مدارها النفسي، كما يظهر ذلك جليا في غرض شعر الشكوى في شعره المرتبط بالهجاء. ومن أقوى العلاقات بين الرمز و الصورة النفسية تلك الصورة اللونية الرمزية التي تتخذ من البعد النفسي أرضية لتشكيلها، فترى الرمز اللوني حاضرا من خلال ما تحمله الصورة من اختزال لدلالات عميقة في التأمل والحياة و النظرة للمستقبل، كما يقول حسين شنوان : " فلم يعد اللون ذلك المدرك الحسيّ الذي تستمتع به العين فحسب، بل تجاوزت آلة إدراك اللون إلى بواطن النفس "(1) .  
أقرأ قول ابن الرومي :

وتكوّنت من سوادِ أبي الأسو  
دِ شخصاً ، يُكنى أبا السوداء  
لأبي الله أن يعدّك أهل العل  
م إلا من جملة الأغياء

ومن الصور النفسية في شعر ابن الرومي تلك التي توحى بعماءه، فقد كان العمى من أشد المراحل تعباً تلك التي مرت عليه :

سأسترُ نفسي أجادَ اللئي	مُ أم ضنَّ عنيبموهوبه
فَحَظِّي وإن كنتمغصوبه	فَسِترِي لستبمغصوبه

فلعل الخطر الذي يتصوره ابن الرومي، يشكل أنماطا من الصِّراع لا تُحرِّكها بواعث واضحة وصورا مباشرة، إنما - ولا شك - في أن ما نُسَميه مشهد استدعائه للمثل والحكمة، تلك التي أعان الشاعر عليها وظائف اجتماعية نفسية، لم يتخط الشاعر أزمته إلا من خلالها، وهو الشاعر الذي يلوذ بالشعر من ظلم ألم به بعد سجنه، فيقول:

وريبُ الزمان غداً كائنٌ	وغالبُة مثلُ مغلوبِ به
فلا تهربنَّ إلى ذلّة	ذليلُ الزمانِ كمنكوبِ به

(1) ريم الحسين : الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، وحسين شنوان : اللون في شعر ابن زيدون، ص

أما في الزمان فتى ماجد	ي نفس كربة مكروبه
------------------------	-------------------

و يريد بتلك الصورة أن يبعث ما في نفسه لسامعه فما يتصل ببعده نفسي عنده قد تترجمه الصورة في عبارة (أما في الزمان فتى ماجد).

و من الصور ذات البعد الرمزي ذي الدلالة النفسية تلك التي في معرض استدعائه لقصته مع الوغد :

ووغدٍ وهبت لهكمه	وأملت منكودموهوبه
فكنت كعابد منحوته	ومسـترزق رزق منصوبه

فانظر للحالة النفسية عنده وهو يصور كيف خدعه الوغد وكم هو البعد الرمزي ذي الدلالة الفكرية أن وغداً يخدعك وأنت تتق به !

أما حالته النفسية وربط ذلك بالرمز فنراها في قصيدته المطولة :

دع اللوم إن اللوم عون النوائب	ولا تتجاوز فيه حدّ المعائب
-------------------------------	----------------------------

كيف صورها في قصيدة الهجاء وجعلها خليطاً من أمثال وحكم ومدح، ومما سنقف عنده تلك الرموز التي صنعها لنفسه ولمن يسنق وسلبها عن لا يستحق، وهو قوله:

وما زال ضاحي البرّ يضربأهله	بسوطي عذاب جامدٍ بعد ذائب
فإن فاته قطرٌ وتلجفإنه	رهين بساف تارة أو بحاصب
فذاك بلاء البرّ عنديشائياً	وكم لي من صيف به ذي مثالب

وقوله :

فدع عنك ذكر البرّ إنيرأيته	لمن خاف هول البحر شرّالمهارب
كلا نزلأيه صيف هوشتاؤه	خلاف لما أهواه غير مصاقب
لهاث مميت تحت بيضاء سُخنة	وريّ مفيت تحت أسحاصائب
يجف إذا ما أصبح الريق عاصباً	ويغدق لي والريق ليس بعاصب
ويمنع مني الماء واللوح جاهدٌ	ويغرقني والري رطب المحالب

وقوله :

وما زال يبغي الحتوفموارباً	يحموم على قتلي وغير موارب
فظوراً يغبني بلصمصمات	وطوراً يمسني بوردالشوارب
إلى أن وقاني الله محذور شره	بعزته والله أغلب غالب
فأفأت من ذؤبانه وأسوده	وحرابه إفلات أتوب تائب

وقوله :

ولم أتعلم قط من ذي سباحة	سوى الغوص، والمضعوف غير مغالب
فأيسر إشفاعي من الماء أنني	أمر به في الكوز مرّ المجانب

ونصل إلى قوله :

فدعني من حكم الكتابة إنه	عدو لحكم الشعر غير مقارب
--------------------------	--------------------------

فمن لا يملك الماء لا يعطيه، وليس للغواص إلا ما قد غاصه ولن يأخذ من الماء شيء، وهنا نستطيع أن نحكم على الصورة الرمزية ذات البعد النفسي الفكري عنده بأنها صورة فاعلة، تؤدي وظيفة فنية في القصيدة. ويمكن أن تكون نمط قصيدة في فنّ الرثاء .

## الخاتمة وأهم النتائج:

خلص البحث إلى أنشعرنا العربي ثري بقيم إنسانية وحضارية لا حصر لها، ويقوم هذا البحث على دراسة الهجاء في العصر العباسي الثاني، متضمنة شعراؤنا الثلاثة البحتري وابن الرومي وابن المعتز، وأهم النتائج التي توصلت إليها يمكن رصد بعض منها:

(١) الشعر العربي في العصر العباسي معين لا ينضب ومادة خصبة للبحوث العلمية والدراسات الأدبية العميقة، وما زالت فيه كثير من المواضيع البكر التي لم يتناولها أحد بعد بالدراسة والبحث.

(٢) يعتبر الهجاء في فكر الإنسان العربي ووجدانه عميق الجذور في تراث الشعر العربي من العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي .

(٣) الارتباط الوثيق بين الهجاء والأغراض الأخرى على مر العصور ولكن الذين تميزوا به من شعراء العصر العباسي مثل ابن الرومي وغيره من الشعراء.

(٤) نلاحظ في هجاء ابن الرومي أنه لا يكتفي بصورة واحدة لمهجوّه ، بل يتناول جوانب مختلفة ليخرج له صوراً عديدة تبرز عيوبه الشكلية والخلقية والاخلاقية الاجتماعية.

(٥) إن ابن الرومي يتخذ أسلوب البحث المنطقي في المقارنة والاستنتاج والأدلة ، أما إذا تناولنا الهجاء عند البحتري لا يقف في صورة واحدة للرجل بل تناول هجاء المدينة والمرأة فنجد بعضه اخلاقي وبعضه في جاء في صورة كاركتورية ساخرة، وكذلك الهجاء عند ابن المعتز تعددت أغراضه وصوره وأشكاله .

(٦) أدى عنصر التأثير والتأثر دوراً فاعلاً في العصر العباسي بين الأمة العربية والأمم الأخرى، أو يمكن أن نطلق عليه التماس الحضاري بين الشعوب، فقد نقلت الأمم الأخرى من العرب علومهم وحضارتهم، ونقل العرب منهم بعض مظاهر السلوك والعادات والتقاليد.

(٧) لم يهتم العرب بسقوط بني أمية فقد استمرت اللغة العربية كلغة رسمية للدولة العباسية ، وكان الخلفاء العباسيون عرباً أقحاحاً من بني هاشم ، وكانوا يعتزون بنسبهم وكان أكثر الولاة والأمراء كانوا من العرب الخالص المقربين من بني العباس.

(٨) اتحدت السياسة مع الدين في العصر العباسي ، وحاول الخلفاء العباسيون تقريب الموالي إلا أنهم أخفقوا في تكوين وحدة سياسية متجانسة في دولتهم .

(٩) تجلت الوحدة العربية الإسلامية في كل مراحل العصر العباسي .

- (١٠) يعد شعر الهجاء في العصر العباسي صدى للتحويلات السياسية المهمة وقد أغدق الشعراء مدائحهم للقادة الأبطال الذين تحملوا مسؤولية التصدي للغزاة ألوانهم وأزمانهم .
- (١١) بني شعراء الهجاء وعيهم الإنساني على معرفة تراث الأمة العربية وماضيها معرفة واعية ، وفهم دقيق للعوامل التاريخية التي شكلت نفسية الإنسان العربي .
- (١٢) استطاعت اللغة العربية أن ترسم لنا صورا متحركة تنبض بالإحياءات والدلالات الفكرية ، وفق شعراء الهجاء في اختيار الألفاظ الملائمة للجو النفسي فجاءت التعبيرات قوية الجرس ،متينة النسيج ،رصينة الأسلوب جزلة العبارة ناتجة عن عاطفة صادقة ،وقد كانت هذه العاطفة مستوحاة من رافدين هما العلم والثقافة .
- (١٣) إن الشاعر العباسي أحسن في اختيار البحر العروضي الذي يلائم غرض القصيدة ، يقوده إلي ذلك طبعه وملكته الإبداعية النابعة من بيئته .
- (١٤) إتقان شعراء الهجاء في فلسفة العنصر الموسيقي توظيفا ينم عن براعة ومقدرة في تطويع هذه الملكة الإبداعية في قصائدهم .
- (١٥) عدم النظر إلي الحياة العباسية بأنها جملة صراعات بل أنها حقبة حضارية بلغت فيها الحضارة الإسلامية ذروتها من الانجازات الأدبية والثقافية .
- (١٦) هناك معجم شعري جديد تكوّن بالتدرّج، عناصره مشتقة من لغة الحياة السائدة ،وتشمل الألفاظ الأعجمية وخصوصا فيما يتعلق بمظاهر الحضارة الشائعة آنذاك مثل الأطعمة والملابس والزهور، ومن الشعراء من أكثر من استخدام الألفاظ الفارسية على وجه الخصوص .كما دخلت في معجم الشعر العباسي مصطلحات فلسفية وكلامية ومنطقية وشعبية.
- (١٧) لاحظ بعض الدارسين دوران قدر غير يسير من المعجم القرآني في أشعار العباسيين ، فقد كان حفظ القرآن ضرورة من ضرورات الإبداع والثقافة ، وليس من شك أنها تعبر عن شيوع ظاهرة التمسك بالدين .
- (١٨) اشتد تيار البديع في هذا العصر، وأتى الشعراء بفنون متنوعة منه ، وهو ليس تيارا حديثا، ولكن كثير من الشعراء توغّلوا فيه .
- (١٩) وهكذا نرى أن الهجاء في هذا العصر العباسي أصبح يمثل هجاء عقيدة يعتمد على الفكر ويتأثر بالحضارة والتيارات المختلفة التي تعددت .

## فهرست المصادر والمراجع:

- (١) ابن أبي يعلى: ديوان علي بن الجهم ، المجمع العلمي العربي بدمشق ، ( د . ت )
- (٢) ابن طباطبا العلوي : عيار الشعر ، شرح وتحقيق : عباس عبد الستار ، دار الكتب العلمية بيروت - ط ١  
السنة ( ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م )
- (٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : ديوان ابن المعتز  
مطبعة المعارف القاهرة  
السنة ١٩٤٥ م
- (٤) أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى: ديوان البحتري  
دار المعارف القاهرة  
السنة ١٩٧٧ م
- (٥) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، الطبعة العاشرة -  
دار المعرفة للطباعة والنشر  
والتوزيع السنة (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)
- (٦) أنيس المقدسي : أمراء الشعر العربي في العصر العباسي  
دار الملايين للكتب  
السنة مايو ٢٠٠٣ م
- (٧) إيمان البقاعي: أحلى ما قيل في الهجاء  
دار الكتاب العربي " بيروت  
السنة ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
- (٨) حسن عبدالعليم يوسف: النزعة الحضريّة في شعر ابن المعتز  
(٩) د طه حسين: النثر والشعر  
دار المعارف بمصر  
السنة ( د . ت )
- دار يسري حسن إسماعيل للطباعة والنشر
- (١٠) يحيى شامي : أروع ما قيل في الهجاء

دار الفكر العربي بيروت للطباعة والنشر

السنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

السنة ( د. ت )

(١١) محمد مندور : الأدب وفنونه

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثالثة ، السنة (٢٠٠٥) م

(١٢) محمد سليمان براوي : "نزعة العروبة في الشعر العباسي"

العصرين الأول والثاني رسالة دكتوراه

جامعة النيلين السنة ٢٠٠٣ م

(١٣) محمد صالح الشنقيطي : الأدب العربي القديم " العصر العباسي والأندلس"

دار الأندلس للنشر

المجلد الثاني ، الطبعة الرابعة

السنة : ( ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م )

(١٤) محمد عبد العزيز الكفراوي : الشعر العربي بين الجمود والتطور،

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

السنة ( د ت )

(١٥) محمد عبد المنعم خفاجة : الحياة الأدبية في العصر العباسي

دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر

السنة (٢٠٠٣ م)

(١٦) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث

دار نهضة مصر للطباعة والنشر

السنة ١٩٩٦ م

(١٧) محمد مصطفى هذارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري

دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة

السنة ( ١٩٦٣ م )

(١٨) عباس محمود العقاد : ابن الرومي حياته من شعره



المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت

( د.ت )

(١٩) عبد الأمير علي مهنا : ديوان ابن الرومي

المجلد ( الأول.....السادس )

دار مكتبة الهلال بيروت

السنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٢٠) عبد الرحمن البرقوقي :ديوان المتنبي

دار الكتاب العربي بيروت

السنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

(٢١) عبد الكريم الأشتري : شعر دعبل بن علي الخزاعي

دار المجمع العلمي العربي بدمشق

(د.ت)

(٢٢) دعبل الله التطاوي : مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص

ومداخل مبدئية لقراءة المرحلة

الطبعة الأولى: الدار المصرية اللبنانية

السنة ( ١٤٢٧ هـ - مارس ٢٠٠٦ م )

الطبعة الثامنة

(٢٣) عبد الله الطيب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

الطبعة العاشرة - الجزء الثاني

في الجرس الفظي

الخرطوم سنة ١٩٩١ م ١٤

( ٢٤ ) \_\_\_\_\_ : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها،

الجزء الرابع (القسم الثاني)

في الأغراض والأساليب

(٢٥) عبد بدوي : دراسات في النص الشعري ( العصر العباسي ) ،

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة جدة

السنة (د.ت)

الخرطوم سنة ١٩٩١ م

(٢٦) عزالدين إسماعيل : الأدب وفنونه دراسة ونقد

دار الفكر العربي للطباعة والنشر

السنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م)

(٢٧) فوزي عطوي : ابن الرومي شاعر الغربة النفسية

دار الكتاب العربي - الجزء الأول

السنة (١٩٦٦م)

(٢٨) سراج الدين محمد : الهجاء في الشعر العربي

دار الراتب الجامعية بيروت

(د.ت)

(٢٩) شقيق النقاش : الحديث في الأدب العربي

دار المعارف بمصر

السنة (١٩٥٢) م

(٣٠) شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي

الطبعة الثانية عشر - دار المعارف -

السنة (١٩٩٣)

(٣١) \_\_\_\_\_ : تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني،

الطبعة الثانية - دار المعارف

السنة (١٩٧٣)

(٣٢) \_\_\_\_\_ فصول في الشعر ونقده

الطبعة الثالثة - دار المعارف

السنة ١٩٨٨ م

(٣٣) خليل مردم بك : ابن الرومي،

الطبعة الأولى ، دار صادر بيروت

السنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)